PS
7631
A163
1955
v.9

CORNELL
UNIVERSITY
LIBRARY

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 088 035 534

DATE DUE

MAR 11 1970 PM

GAYLORD PRINTED IN U.S.A.

Aghani vol 9
AL-AGHANI

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد التاسع

القسم ٣٣-٣٦

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٧

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد التاسع

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٧

PJ
7631
A163
1955
v.9

بسم الله الرحمن الرحيم

B917120
55

NPK

المجلد التاسع
من كتاب الاغاني

ذكر اخبار كثير ونسبه

هو، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ، أبو صخر كُثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيْمر بن مَخلَد ابن سعيد بن سُلَيع بن جِعثِمة بن سعد بن مُلَيح بن عمرو وهو خُزاعة بن رَبيعة وهو يحيي بن حارثة بن عمرو وهو مُزَيقيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن امرئ القيس البِطريق بن ثَعلبة البُهلول بن مازِن بن الأزد وهو دَرْء — وقيل دِراء ممدوداً — بن الغَوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعرُب بن قَحطان.

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحرميّ قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزَّعراء الخُزاعيّ عن أُمّه ليلى بنت كثيِّر قالت: هو كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مَخلَد بن سُلَيع بن سعد بن مُلَيح ابن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وأمه جُمْعة بنت الأشيَم بن خالد بن عُبيد بن مُبشِّر بن رِياح بن سيالة بن عامر بن جِعثِمة بن كعب بن عمرو

ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وكانت كنية الأشيَم جدِّه أَبي أمّه أَبا جُمُعة؛ ولذلك قيل له أَبن أَبي جُمُعة .

وكان له أَبن يقال له ثَواب من أشعر أَهل زمانه ، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له .

ومات كثيِّر سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك . وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى . ولليلى بنته أَبنٌ يكنى أَبا سَلَمة شاعر، وهو الذي يقول :

صوت

وكان عزيزاً أَن تَبيتي وبيننا حجابٌ فقد أمسيتِ مني على شهرِ
ففي القرب تعذيبٌ وفي النأي حَسرةٌ فيا وَيح نفسي كيف أصنع بالدهر

في هذين البيتين غناء لمقاسة . ولحنه من الثقيل الاول بالخنصر عن حَبَش .

كنيته وطبقته في الشعراء ونحلته :

ويكنى كثيِّر أَبا صخر . وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله أَبن سَلَّام في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدقَ والأخطلَ والرَّاعي . وكان غالياً في التشيُّع يذهب مذهب الكَيسانية[1]، ويقول بالرَّجعة والتَّناسخ، وكان مُحمَّقاً مشهوراً بذلك . وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محلّه في أنفسهم وعندهم . وكان من أَتيهِ الناس وأذهبِهم بنفسه على كل أحد .

---

(١) الكيسانية : فرقة من الشيعة الإمامية، وهم اصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب .

الحديث عنه وعن شعره :

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني هارون بن عبد الله الزُّهريّ قال حدثني سليمان بن فُلَيح قال : سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصّد القصيدَ ولا نعت الملوكَ مثلُ كثيّر .

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدثني الزبير بن بَكّار قال كتب إليّ إسحاق ابن إبراهيم الموصليّ حدثني إبراهيم بن سعد قال : إني لأروي لكثيّر ثلاثين قصيدة لو رُقِي بها مجنون لأفاق .

أخبرني الحرميّ قال حدثني الزبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال :

كنّا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث[1] النفس، فنسأله عن شعر كثيّر فتطيب نفسه ويحدثنا .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال :

من لم يجمع من شعر كثيّر ثلاثين لاميّةً فلم يجمع شعرَه . قال الزبير قال المؤمّليّ : وكان ابن أبي عُبيدة يُملي شعر كثيّر بثلاثين ديناراً . قال وسئل عمي مصعب : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : كثيّر بن أبي جمعة، وقال : هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامّتهم (يعني الشعراء)، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيّر .

---

(١) المراد بخبث النفس : غثيانها .

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازةً قال حدثنا محمد بن سلّام الجمحيّ قال :

كان كثيّر شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنه منقوصٌ حظَّه بالعراق.

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلّام قال سمعت يونس النحويّ يقول :

كثيّر أشعرُ أهلِ الإسلام . قال ابن سلّام : وسمعت ابن أبي حفصة يُعجبه مذهبه في المديح جدًّا، ويقول : كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خطَلٌ وعُجْب .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال :

سمعت المِسور بن عبد الملك يقول : ما ضرَّ مَن يروي شعرَ كثيّر وجميلٍ ألّا تكون عنده مغنّيتان مُطربتان .

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدثنا عمر بن شبّة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوَقّاصيّ قال :

رأيت كثيّراً يطوف بالبيت، فمَن حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذّبه؛ وكان اذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول : طأْطِئْ رأسَك لا يُصِبه السقف.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني إسحاق ابن إبراهيم عن المدائنيّ، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه عبد العزيز وأُمّه جمعة بنت كثيّر قال :

قال جريرٌ لكثيّر : أيُّ رجلٍ أنت لولا دَمامتك ! فقال كثيّر :

إن أك قَصْداً[1] في الرجال فإنني اذا حلّ أمرٌ ساحتي لطويلُ

ما كان بينه وبين الحزين الديلي :

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوَقَّاصيّ قال، وأخبرنا الحرميّ ابن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدِّيليّين قال :

إلتقى كُثيِّر والحزين الدِّيليّ بالمدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم، فضمّهما المجلس . فقال كثيِّر للحزين : ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما تُوصل الشيء الى الشيء. فقال له الحزين : أتأذَن لي أن أهجوَك ؟ قال نعم . وكان كثيِّر قال قبل ذلك وهو ينتسب الى بني الصَّلت[2] بن النَّضر بن كِنانة :

أليس أبي بالنَّضرِ أو ليس إخوتي بكلِّ هِجانٍ من بني الصَّلت أزهَرَا
فإن لم تكونوا من بني الصَّلت فاتركوا أَراكاً بأذيال الخمائل[3] أخضرا

قال : فلما أذِن كثيِّر للحزين أن يهجوه قال الحزين :

لقد عَلِقتْ زُبَّ الذُّبابِ كُثيِّراً أساودُ[4] لا يُطنينه وأراقمُ
قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته يَعَضّ القُراد بأسته وهو قائم

---

(١) القصد : الربعة من الرجال .

(٢) الصلت بن النضر : أبو خزاعة .

(٣) الخميلة : المنهبط الغامض من الرمل .

(٤) الأساود : الحيات . ولا يطنينه : لا يبقين عليه؛ والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس .

وما أنتُمُ منّا ولكنكم لنا عبيدُ العصا ما ابتلّ في البحر عائمُ
وقد عَلِم الأقوامُ أن بني اَستِها خُزاعةَ أذنابٌ وأنّا القَوادِم
ووالله لولا اللهُ ثم ضِرابُنا بأسيافنا دارتْ عليها المَقاسم
ولولا بنو بكر لَذَلّتْ وأُهلِكتْ بطعنٍ وأفنتْها السيوف الصوارم

قال: فقام كثيّر فحمل عليه فلَكَزه. وكان الخزين طويلًا أيّداً. فقال له الخزين: أنت عن هذا أعجز، واحتمله فكان في يده مثلَ الكُرَة، فضرب به الأرض، فخلّصه منه الأزهريّون. فبلغ ذلك أبا الطُّفيل عامر بن واثِلة وهو بالكوفة؛ فأقسم لئن ملأ عينيه من كثيّر ليضربنّه بالسيف أو ليَطعُننّه بالرمح. وكان خِندِفٌ الأسديّ صديقاً لأبي الطُّفيل؛ فطلب الى أبي الطفيل في كثيّر واستوهبه إيّاه فوهبه له. والتقيا بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن عليّ بن أبي طالب، فقال: أما والله لولا ما أعطيتُ خِندِفاً من العهد لَوَفيت لك. فذلك قول كثيّر في قصيدته التي يرثي فيها خِندِفاً:

ينال رجالًا نفعُه وهو منهمُ بعيدٌ كعَيُّوقِ[1] الثريّا المُحلِّقِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدثنا عمر بن شَبّة قال:

قال كثيّر: في أيّ شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوصَ عشرةَ آلافِ دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان مالي طارفاً من تجارةٍ وما كان ميراثاً من المال مُتلَدَا
ولكن عطايا من إمامٍ مُبارَكٍ مَلا الأرضَ معروفاً وجُوداً وسُودَدا

(١) العيّوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا في ناحية الشمال، ويطلع قبل الجوزاء.

فقال كثيّر : إنه لَضرعٌ قَبحه الله ! أَلا قال كما قلتُ :

صوت

دَعْ عنكَ سَلمى إذ فاتَ مَطلبُها وأذكر خليلَيكَ من بني الحكمِ
ما أعطياني ولا سألتُهما إلّا وإنّي لحاجزي كَرَمي
إنّي متى لا يكن نوالهما عندي بما قد فعلتُ أحتشم
مُبدي الرِّضا عنهما ومُنصرفٌ عن بعض ما لو فعلتُ لم أُلَم
لا أنزُر النائل الخليلَ إذا ما أعتلّ نَزْرَ الظَّؤورِ لم تَرِم[1]

عروضه من المُنسرِح . غنّى في هذا الشعر يونس ثانيَ ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنّى فيه الغريض ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لحن من الثقيل الأوّل يُنسب الى مَعبد ، وليس بصحيح له . قال الزُّبير بن بكّار في تفسير قوله : « لا أنزر النائل الخليل » يقول : لا ألحّ عليه بالمسألة ؛ يقال : نَزَرته أنزُره إذا ألححتَ عليه . والظَّؤور : المتعطِّفة على غير أولادها .

أخبرني الحرميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثنا المؤمّليّ عن أبي عُبيدة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عبدالله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال :

دخل كثيّر على عبد الملك بن مَروان فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ أرضاً لك يقال لها غُرَّب[2] ربما أتيتها وخرجت اليها بولدي وعِيالي فأصبنا من رُطَبها وتَمرها

---

(١) ترم : تحن وتعطف .

(٢) غرّب : ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير .

بشراء مرّة وطُعمة مرّة . فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعمِّرَنيها فعل . فقال له عبد الملك : ذلك لك . فندّمه الناس وقالوا له : أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة ، فهلّا سألتَ الأرض قطيعةً ! فأتى الوليد فقال : إن لي الى أمير المؤمنين حاجةً فأجلِسني قريباً من البِرْذَوْن . فلما استوى عليه عبد الملك قال له : إيهٍ ! وعلم أنّ له اليه حاجةً . فقال كثيِّر :

جزَتكَ الجوازي عن صديقكَ نَضرةً وأدناكَ ربّي في الرفيق المُقرَّبِ
فإنّك لا يُعطى عليك ظُلامةً عدوٌّ ولا تنأى عن المتقرِّب
وإنّك ما تمنع فإنك مانعٌ بحقٍّ ، وما أعطيتَ لم تَتعقّب

فقال له : أترغب غُرَّباً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : اكتبوها له ، ففعلوا .

أخبرني الحرميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤمّلي قال حدثني عبدالله بن أبي عُبيدة قال :

كان الحزين الكِنانيّ قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر منهم ابنُ أبي عتيق . فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أعجف — قال : وكثيِّر مع ابن أبي عتيق — فدعا ابنُ أبي عتيق للحزين بدرهمين . فقال الحزين لابن أبي عَتيق : مَن هذا معك ؟ قال : هذا أبو صخر كثيِّر بن أبي جُمعة — قال : وكان قصيراً دميماً — فقال له الحزين : أتأذَن لي أن أهجوه ببيت من شعر ؟ قال : لا ! لعمري لا آذَن لك أن تَهجو جليسي ، ولكني أشتري عِرضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : لا بدّ من هجائه ببيت . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ، ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين . فقال له كُثيِّر : ايذَن له ، ما عسى أن يقول في بيت ! فأذِن له ابن أبي عتيق . فقال :

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته يَعَضّ القُرادُ بِاستــه وهو قائمُ

قال : فوثب كثيّر اليه فلكزه ، فسقط هو والحمار ، وخلّص ابنُ أبي عتيق بينهما ، وقال لكثيّر قبحك الله ! أتأذَن له وتَسفَهُ عليه ! فقال كثيّر : أوَ أنا ظننتُه أن يبلغ بي هذا كلّه في بيت واحد !

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزه ، وأخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثنا عبد الرحمن بن الخضر الخُزاعيّ عن ولد جُمعة بنت كثيّر أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثيّر : أنّ عبد الملك بن مروان قال له : ويحك ! إلحقْ بقومك من خُزاعة ؛ فأخبر أنه من كِنانة قريش ، وأنشد كثيّر قوله :

أليس أبي بالصَّلْتِ أم ليس إخوتي ... بكل هِجانٍ من بني النَّضر أزهرَا
فإن لم تكونوا من بني النَّضر فاتركوا ... أراكاً بأذناب القوابل أخضرا
أبيتُ التي قد سُمتَني ونَكِرْتُها ... ولو سُمتَها قبلي قَبيصةَ أنكرا
لَبِسنا ثيابَ العَصْبِ[1] فاختلط السَّدَى ... بِنا وبهم والحضرَميَّ المُخَصَّرا

فقال له عبد الملك : لا بُدّ أن تُنشد هذا الشعر على مِنبري الكوفة والبصرة ، وحمله وكتب الى العراق في أمره . قال عمر بن شبّة في خبره خاصّة : فأجابته خُزاعة الحجازِ الى ذلك . وقال فيه الأحوص — ويقال : بل قاله سُراقة البارقيّ — :

لَعمري لقد جاء العراقَ كُثَيِّرٌ ... بأحدوثةٍ من وَحْيِه المُتكَذِّبِ
أيزعمُ أنّي من كِنانةَ أوّلي ... وما ليَ من أُمٍّ هناك ولا أب
فإن كنتَ حُرًّا أو تخاف مَعَرَّةً ... فخذْ ما أخذتَ من أميرِك واذهب

فقال كثيّر يجيبه — وفي خبر الزُّبير : قال هذا لأبي عَلقمة الخُزاعيّ — :

(١) العصب : برود يمنية يعصب غزلها (أي يجمع ويشد) .

أَيا خُبَثٌ أكرِمْ كِنانةَ إنَّهم ... مَواليك إنْ أمرٌ سما بك معلق

— وفي رواية الزُّبير : « أبا عَلْقَمٍ » —

بنو النَّضرِ ترمي من ورائك بالحصى ... أُولُو حَسَبٍ فيهم وفاءٌ ومَصدَقُ
يُفيدونكَ المالَ الكثيرَ ولم تجد ... لمُلكهمُ شِبهاً لَوَ انَّك تصدُق
اذا ركِبوا ثارتْ عليك عَجاجةٌ ... وفي الأرضِ من وقع الأسنَّة أوْلَق [1]

فأجابه الأحوص بقوله :

دَعِ القومَ ما حَلُّوا ببطن قُراضِمٍ [2] ... وحيث تَفشَّى بيضُه المتفلِّقُ
فإنك لو قاربتَ أو قلتَ شُبهةً ... لذي الحقِّ فيها والمخاصم مَعلَق
عذَرناك أو قلنا صدقتَ وإنما ... يُصدَّق بالأقوال من كان يصدُق
ستأبى بنو عمرٍو عليك وينتمي ... لهم حسبٌ في جِذْمِ [3] غسَّانَ مُعرِق
فإنك لا عمراً أباك حَفِظتَه ... ولا النَّضرَ إن ضَيَّعتَ شيخك تَلحَق
ولم تُدرِك القومَ الذين طلبتَهم ... فكنتَ كما كان السِّقاء المعلَّق
بجذْمةِ [4] ساقٍ ليس منه لحاؤها [5] ... ولم يَكُ عنها قلبُه يتعلَّق
فأصبحتَ كالمُهريقِ فضلةَ مائه ... لبادي سَرابٍ بالمَلا [6] يترقرق

---

(١) الأولق : الجنون .

(٢) قراضم : موضع بالمدينة .

(٣) الجذم : الأصل .

(٤) الجذمة : القطعة .

(٥) اللحاء : قشر الشجرة .

(٦) الملا : الصحراء .

قال : فخرج كثيّر فأتى الكوفةَ . فرُمي به الى مسجد بارِق . فقالوا له : أنت من أهل الحجاز ؟ قال نعم . قالوا : فأخبرنا عن رجل شاعر ولدِ زِناً يُدعى كثيّر. قال : سبحان الله ! أَما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان ! قالوا : هو ما قاله لنفسه . فانسلّ منهم وجاء الى والي الكوفة حسّان بنِ كَيسان ، فطيّره على البريد . وقال عمر بن شبّة في خبره : ان سُراقة البارقيّ هو المخاطب له بهذه الشتيمة وإنه عرَفه وقال له : إن قلتَ هذا على المنبر قتلتُك قَحطان وأنا أوّلهم ؛ فانصرف الى منزله ولم يَعُدْ الى عبد الملك .

كان سراقة شاعراً ظريفاً :

وكان سُراقة هذا شاعراً ظريفاً . فأخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ عن النَّضر بن عمر عن الهيثم بن عَديّ عن الأعمش عن إبراهيم قال :

كان سُراقة البارقيّ من ظُرفاء أهل العراق ، فأسره المختار يومَ جَبّانة[1] السَّبيع ، وكانت للمختار فيها وقعةٌ مُنكرة ، فجاء به الذي أسره الى المختار فقال له إني أسرتُ هذا . فقال له سُراقة : كذَب ! ما هو الذي أسرني ، إنما أَسرني غلامٌ أسود على بِرْذَون أبلق عليه ثيابٌ خضرٌ ، ما أراه في عسكرك الآن ، وسلّمني اليه . فقال المختار : أَما انّ الرجل قد عاين الملائكةَ ! خلّوا سبيله فخلّوه ؛ فهرب فأنشأ يقول :

أَلا أَبلِغْ أَبا إسحاق أَنّي رأيتُ البُلْقَ دُهماً مُصْمَتات
أُري عَيْنَيَّ ما لم تُبْصِراه كلانا عالمٌ بالتُّرّهات
كفرتُ بدينِكم وجعلتُ نذراً عليَّ قتالَكم حتى الممات

---

(١) جبانة السبيع : محلة بالكوفة مضافة الى السبيع وهي قبيلة .

أخبرنا الحرميّ قال أخبرنا الزُّبير قال أخبرنا عمرو ومحمد بن الضحّاكِ قالا :

كان كثيِّر يتشيَّع تشيُّعاً قبيحاً ، يزعم أنّ محمد بن الحنفيَّة لم يمت . قال : وكان ذلك رأيَ السيِّد ؛ وقد قال فيه (يعني السيد) شعراً كثيراً ، منه :

أَلا قُلْ للوَصِيّ فدتْك نفسي ... أطلتَ بذلك الجبلِ المُقامَا
أَضرّ بعْشَرٍ والَوْكَ منًّا ... وسَمَّوْك الخليفةَ والإماما
وعادَوْا فيك أهلَ الأرضِ طُرًّا ... مُقامُك عنهمُ ستِّين عاما
وما ذاق ابْنُ خَولةَ(١) طعمَ مَوْتٍ ... ولا وارتْ له أرضٌ عِظاما
لقد أَوْفى بمُورِق شِعبِ رَضوى ... تُراجعه الملائكةُ الكلاما
وإنّ له به لمقيلَ صدقٍ ... وأنديةً تحدِّثه كِراما
هدانا الله إذ جُرْتم لأمرٍ ... به ولديه نَلتمس التَّماما
تمامَ مَوَدّةِ المهديِّ حتى ... تَروْا راياتنا تَترَى نِظاما

وقال كثيِّر في ذلك :

أَلا إنّ الأئمّةَ من قُرَيشٍ ... وُلاةَ الحقّ أربعةٌ سواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بَنيه ... همُ الأسباطُ ليس بهم خَفاءُ
فسِبْطٌ سِبطُ إيمانٍ وبِرٍّ ... وسِبطٌ غَيَّبَته كَرْبَلاءُ
وسِبطٌ لا تراه العينُ حتى ... يقودَ الخيلَ يقدُمها اللِّواءُ
تغيَّب لا يُرَى عنهم زماناً ... برَضوَى عنده عسلٌ وماءُ

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ قال :

---

(١) خولة : اسم أم محمد بن الحنفية .

كان عبد الله بن الزُّبير قد أُغري ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويُغري بهم ويخطُب بهم على المنابر ويصرّح ويعرّض بذكرهم . فربما عارضه ابن عبّاس وغيره منهم . ثم بدا له فيهم فحبس ابنَ الحنفيَّة في سجن عارِم[1] ، ثم جمعه وسائرَ من كان بحضرته من بني هاشم ، فجعلهم في محبس وملأه حطباً وأضرم فيه النار . وقد كان بلغه أنّ عبد الله الجَدَليّ وسائر شيعة ابن الحنفيَّة قد وافَوْا لنُصرته ومحاربة ابن الزبير ؛ فكان ذلك سبب إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبرُ فوافى ساعةَ أُضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم ، وأخرج ابن الحنفيَّة عن جِوار ابن الزبير منذ يومئذٍ . فأنشدنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثيِّر يذكر ابن الحنفيَّة وقد حبسه ابن الزُّبير في سجن يقال له سجن عارِم :

مَن يَرَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من مِنًى ... من الناسِ يعلَمْ أنه غيرُ ظالمِ
سَمِيُّ النبيِّ المصطفى وابن عمّه ... وفَكَّاكُ أغلالٍ ونفّاعُ غارِم
أَبَى فهو لا يَشري هدًى بضلالةٍ ... ولا يتّقي في الله لومةَ لائِم
ونحن بحمد الله نتلو كتابه ... حُلولًا بهذا الخَيفِ خَيفِ المحارِم
بحيث الحمامُ آمِنُ الرَّوْعِ ساكنٌ ... وحيث العدوّ كالصديق المسالم
فما فَرَحُ الدُّنيا ببـاقٍ لأهله ... ولا شِدّةُ البَلْوَى بضربة لازِم
تُخَبِّرُ مَن لاقيتَ أنك عائذٌ ... بل العائذُ المظلوم في سجن عارِم

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانيّ قال حدثنا يحيى بن الحسن العَلَويّ قال حدثنا الزبير بنُ بَكّار ، وأخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد ابن إسماعيل الجعفريّ عن سعيد بن عُقبة الجُهَنيّ عن أبيه قال :

سمعت كثيِّرا يُنشد عليَّ بن عبد الله بن جعفر قولَه في محمد بن الحنفيَّة :

---

(١) سجن بمكة .

أقرّ اللهُ عينيَ إذ دعاني أمينُ الله يلطُف في السؤالِ
وأثنى في هَوايَ عليَّ خيراً وساءلَ عن بنيَّ وكيف حالي
وكيف ذكرت حال أبي خُبَيبٍ وزَلّة فعله عند السُّؤالِ
هو المهديّ خَبَّرناهُ كَعبٌ أخو الأحبارِ في الحِقَبِ الخوالي

فقال له عليّ بن عبد الله : يا أبا صخر ، ما يُثني عليك في هواك خيراً إلا من كان على مثل مذهبك . قال : أَجل بأبي أنت وأمي ! قال : وكان كثيِّر كَيسانيًّا يرى الرَّجعة . قال الزُّبير : أبو خبيب عبد الله بن الزُّبير ، كناه بابنه خُبَيب وهو أكبر ولدِه ، وكان كثيِّر سيِّئ الرأي فيه . قال الزُّبير : فأخبرني عمي قال : لمَّا قال كثيِّر :

هو المهديّ خَبَّرناه كعبٌ أخو ألأحبار في الحِقَبِ الخوالي

فقيل له : ألقيتَ كعبا ؟ قال : لا . قيل : فلِمَ قلتَ « خَبَّرناه كعب » ؟ قال : بالتوهُّم .

قال : وكان كثيِّر شِيعيًّا غالياً يزعم أن الأرواح تتناسخ ، ويحتجّ بقول الله تعالى : (في أيِّ صورةٍ ما شاء رَكَّبَكَ) ويقول : ألا ترى أنه حوَّله من صورة في صورة !

قال : فحدثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال : خِندِفٌ الأسديّ الذي أدخل كثيِّراً في الخشبيَّة .

أخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني إبراهيم بن المُنذِر الحِزاميّ عن محمد بن مَعن الغِفاريّ قال :

كنَّا بالسَّيالة[1] في مَشيخةٍ نتحدّث ، إذا بكثيِّر قد طلَع علينا مُتَّكئاً على

(١) السيالة : موضع بجوار المدينة .

عصا . فقال : كنّا ببيداء[1] بأشرافِ السَّيالة وبهذه الناحية ، فما بقي موضع ببيداء إلا وقد جئته، فاذا هو على حاله ما تغيَّر وما تغيَّرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نَرجِع اليه . وكان يُؤمِن بالرَّجعة .

أَخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد قال :

دخل عبد الله بن حسن على كثيِّر يعوده في مرضه الذي مات فيه . فقال له كثيِّر : أَبشِر ! فكأنّك بي بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق . فقال له عبد الله بن حسن : ما لك عليك لعنة الله ! فوالله لئن متّ لا أشهدُك ولا أعودك ولا أُكلِّمك أبداً .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسَبه عن ابن الماجِشون قال :

وكان أَبو هاشم عبد الله بن محمد بن عليّ قد وضع الأرصاد على كثيِّر فلا يزال يؤتى بالخبر من خبره، فيقول له إِذا لَقِيه : كنتَ في كذا وكنت في كذا ؛ الى أن جرى بين كثيِّر وبين رجل كلامٌ فأُتي به أَبو هاشم . فأقبل به على أدراجه؛ فقال له أَبو هاشم : كنتَ الساعةَ مع فلان فقلتَ له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا . فقال له كثيِّر : أشهد أنّك رسول الله .

أَخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال حدثنا محمد، وأخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسَب قال :

نظر كثيِّر الى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال : بأبي أنتم ! هؤلاء الأنبياء

(١) بيداء : يريد بها موضعاً بعينه .

الصغار . وكان يرى الرَّجعة . وروى عليّ بن بشر بن سعيد الرازيّ عن محمد بن حُمَيد عن أَبي زُهير عبد الرحمن بن مَغراء الدَّوسيّ عن محمد بن عُمارة قال :

مرّ كثيِّر بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو في المكتب، فأكبّ عليه يقبِّله وقال : أَنت من الأنبياء الصغار وربِّ الكعبة !

أَخبرنا أَحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قَعنَب بن المُحرِز قال حدثني إبراهيم بن داجة قال :

كان كثيّر شيعيًّا، وكان يأتي ولدَ حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم ويقول : وابأبي الأنبياء الصغار ! وكان يؤمن بالرَّجعة . فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهم لأُمِّهم، يا عمّ هَبْ لي؛ فيقول : لا ! لستَ من الشجرة .

أَخبرنا محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا أَحمد بن يحيى ثَعلَب قال حدثني الزبير بن بكَّار قال حدثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عُبيد الله قال :

قال عمر بن عبد العزيز : إني لأعرف صُلَّاح بني هاشم من فُسَّادهم بحبِّ كثيِّر : مَن أحبَّه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح؛ لأنه كان خشبيًّا يقول بالرجعة .

أخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدَّراوَردِيّ[1] عن أَبي لَهِيعة عن رَجاء بن حَيوَة قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : إن مما أعتبر به صُلَّاح بني هاشم وفُسَّادهم حُبَّ كثيِّر، ثم ذكر مثلَه .

---

(١) الدراوردى : بلد بفارس .

قال لعمته إنه يونس بن متى :

أَخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا عليّ بن صالح عن ابن دَأْب قال :

كان كثيِّر يدخل على عَمَّة له بَرزةٍ[١] فتُكرمه وتطرَح له وسادةً يجلس عليها. فقال لها يوماً : لا والله ما تعرفيني ولا تُكرميني حقَّ كرامتي ! قالت : بَلى والله إني لأعرفك . قال : فمَن أنا ؟ قالت : ابن فلان وابن فلانة ، وجعلت تمدح أَباه وأُمّه . فقال : قد عرفتُ أنكِ لا تعرفينني . قالت : فمَن أنت ؟ قال : أَنا يونس بن مَتَّى .

كان عاقًّا لأبيه :

أَخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني أَبي قال :

كان كثيِّر عاقًّا لأبيه ، وكان أَبوه قد أصابته قُرحَةٌ في إصبع من أَصابع يده. فقال له كثيِّر : أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك ؟ قال : لا أدري . قال : مما ترفعها الى الله في يمين كاذبة .

أَخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغِفاريّ عن أبيه وغيره قال حدثني رجل من مُزَينة قال :

ضِفتُ كثيِّرا ليلةً وبتُّ عنده ثم تحدّثنا وغِنا . فلما طلع الفجر تضوَّر[٢] ثم

---

(١) البرزة : المرأة الكهلة التي لا تحتجب احتجاب الشواب وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس الى الناس وتحدثهم .

(٢) التضوّر : التلوّي .

قمت فتوضّأت وصلّيت وكثيّر راقد في لِحافه . فلما طلع قرن الشمس تضوّر ثم قال: يا جارية اُسجُري لي ماء . قال قلتُ : تَبًّا لك سائرَ اليوم ! أَو هذه الساعةَ هذا ! وركبتُ راحلتي وتركته . قال الزبير : أسخِني لي ماء .

أَخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن عِمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طَلحة بن عُبيد الله قال :

ما رأيتُ قطُّ أحمق من كثيّر . دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنّا كثيراً ما نتهزّأ به، وكان يتشيّع تشيُّعاً قبيحاً . فقلت له : كيف تَجِدُك يا أَبا صخر ؟ وهو مريض؛ فقال : أجدني ذاهباً . فقلت : كَلّا ! فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلت : نعم ! يتحدثون أنك الدجّال . قال : أماَ لئن قلتَ ذاك إنّي لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام .

أَخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن عِمران :

أن ناساً من أَهل المدينة كانوا يلعبون بكثيّر فيقولون وهو يسمع : إن كثيّراً لا يلتفت من تِيهه . فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكِبَر ويمضي في قميص .

أَخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدثنا عبد الله بن مُسلم بن قُتيبة قال :

بلغني أن كثيّراً دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به . فقال : وحقّ عليّ بن أَبي طالب إنه كما ذكرتَ ؟ قال كثيّر : يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقّك لصدَقتُك . قال : لا أسألك إلا بحقّ أَبي تُراب[1] . فحلف له به فرضي .

---

(١) أبو تراب : لقب علي بن أبي طالب عليه السلام .

أخبرنا الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلّام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال حدثنا محمد بن يزيد المبرّد قال، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدثنا عمر بن شبّة، وأخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثنا المؤمّلي عن ابن أبي عُبيدة، قالوا جميعاً:

لما أراد عبد الملك الخروجَ الى مُصعَب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وهي أمّ ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنةَ لحرب مُصعَب، فإنّ آل الزبير ذكّروا خروجك، وابعث اليه الجيوش، وبكتْ وبكى جواريها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابنَ أبي جُمعة! فأين قوله:

صوت

إذا ما أراد الغزوَ لم تثنِ همَّه حَصانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يَزِينُها
نهتْه فلما لم تَرَ النَّهيَ عاقه بكت فبكى مما شجاها قَطِينها [1]

— غنّاه ابنُ سُرَيج ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق — والله لكأنه يراني ويراكِ يا عاتكة؛ ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحويّ في خبره — ووافقه عليه عمر بن شبّة —: فلما خرج عبد الملك نظر الى كثيّر في ناحية عسكره يسير مُطرِقاً؛ فدعا به وقال: لأعلَمُ ما أسكتك وألقى عليك بَثَّك؛ فإن أخبرتُك عنه أتصدُقني؟ قال نعم! قال: قل وحقّ أبي تُراب لَتَصدُقَنّي؛ قال: والله لأصدُقَنّكَ. قال: لا أو تحلفَ به، فحلَف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقى أحدُهما صاحبَه فيحاربُه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيري مع

(١) القطين: الخدم والأتباع والحشم.

أحدهما الى الآخر ولا آمَن سهماً عائراً لعلّه أن يصيبَني فيقتلَني فأكونَ معهما! قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأتَ. قال: فارجِعْ من قريب؛ وأمر له بجائزة.

بكى لقتل آل المهلب:

أخبرنا وَكيع قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو تَمّام الطائيّ حَبيب ابن أوس قال حدثني العَطّاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دمشق قال حدثني حَفص الأَمَويّ قال:

كنت أختلف الى كثيِّر أتروّى شعرَه. قال: فوالله إني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال: قُتِل آلُ المُهلَّب بالعَقْر. فقال: ما أَجلَّ الخطبَ! ضحّى آلُ أبي سُفيان بالدِّين يوم الطَّفِّ، وضحّى بنو مَروان بالكَرَم يوم العَقْر! ثم انتضحت عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنةُ الله! أُترابيَّة وعَصَبيَّة! وجعل يضحك منه.

أخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد عن أبيه قال:

قال عبد الملك بن مروان لكثيِّر: مَن أَشعرُ الناس اليومَ يا أبا صخر؟ قال: مَن يروي أمير المؤمنين شعره. فقال عبد الملك: أَما إنّك لمنهم.

أخبرنا وكيع قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدثنا حمّاد ابن اسحاق عن ابن أبي عَوْف عن عَوانة قال:

قال كثيِّر لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال أراه يسبِق السحرَ، ويغلِب الشعر.

أخبرنا عمي عن الكُرانيّ عن النَّضر بن عمر قال:

كان عبد الملك بن مروان يُخرج شعرَ كثيّر الى مؤدِّب ولده مختوماً يروِّيهم إياه ويردّه .

أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزُّبير قال حدثنا عبد الله بن خالد الجُهَنيّ :

أن كثيّراً شبّ في حجر عمٍّ له صالح ، فلما بلغ الحُلُم أشفق عليه أن يَسفَه ، وكان غير جيّد الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور . فاشترى له عمه قطيعاً من الإبل وأنزله فَرشَ[1] مَلَل فكان به ، ثم ارتفع فنزل فَرعَ المِسوَر بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عَوف من جبل جُهَينة الأصغر ، وكان قبل المسور لبني مالك ابن أفصى ، فضيَّقوا على كثيّر وأساءوا جواره ؛ فانتقل عنهم وقال :

أَبَتْ إبلي ماءَ الرَّداة[2] وشَفَّها ... بنو العَمِّ يحمون النَّضيحَ[3] المُبَرَّدا
وما يمنعون الماء إلّا ضَنانةً ... بأصلاب عُسرى[4] شوكها قد تخدّدا
فعادتْ فلم تَجهَدْ على فضل مائه ... رِياحاً ولا سُقياً ابن طَلْقِ بنِ أسعدا

قال : ويُروَى أنه أوّل شعر قاله .

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمي قال :

قال كثيّر : ما قلتُ الشعر حتى قُوِّلتُه . قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : بينا أنا يوما نصفَ النهار أسير على بعيرٍ لي بالغَميم أو بقاع حَمدان ، إذا راكبٌ قد

---

(١) فرش ملل : واد بين عميس الحمائم وصخيرات الثمامة بالقرب من ملل قرب المدينة .

(٢) الرداة : الصخرة .

(٣) النضيح : الحوض .

(٤) العسرى : البقلة اذا يبست .

(٥) الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .

دنا مني حتى صار الى جنبي ؛ فتأملته فاذا هو من صُفر[1] وهو يجرّ نفسه في الأرض جرًّا . فقال لي : قل الشعر وألقاه عليّ قلت : مَن أنت ؟ قال : أنا قرينك من الجنّ . فقلتُ الشعر .

ونُسِب كثيِّر لكثرة تشبيبه بعَزّة الضَّمريّة اليها ، وعُرِف بها وقيل كثيِّر عَزّة . وهي عزّة بنت حُمَيل بن وَقّاص . أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن الحسن قال :

أبو بَصرة الغفاري المحدّث واسمه حُمَيل بن وَقّاص هو أبو عَزّة التي كان ينسب بها كثيِّر . وكان ابتداء عشقه إياها — على أنه قد قيل : إنه كان في ذلك كاذباً ولم يكن بعاشق ، وذلك يُذكر بعد خبره معها — فيم أخبرني به الحرميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم السعديّ قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن جَميع الخُزاعيّ :

أنه كان أوّل عشق كثيِّرٍ عَزّةَ أن كثيِّراً مرّ بنسوة من بني ضَمرة ومعه جَلَبُ غنمٍ ، فأرسلن اليه عزّة وهي صغيرة ؛ فقالت : يقلن لك النسوة : بِعنا كَبشاً من هذه الغنم وأنسِئنا بثمنه الى ان ترجع ؛ فأعطاها كبشاً وأعجبته . فلما رجع جاءته امرأة منهنّ بدراهمه ؛ فقال : وأين الصبيَّة التي أخذت مني الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ! هذه دراهمك . قال : لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعتُ الكبش اليها . وخرج وهو يقول :

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفّى غَريمه وعَزّةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمُها

قال : فكان أوّلَ لقائه إياها .

---

(١) الصفر : النحاس .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عبد الرحمن بن الخضِر بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي جَندل عن أبيه عبد العزيز الخُزاعي — وأمّه جمعة بنت كثيِّر — عن أمه جمعة عن أبيها كثيِّر :

أنّ أوّل علاقته بعزّة أنه خرج من منزله يسوقُ خَلْفَ غنمٍ الى الجار[1] ، فلما كان بالخُبْت وقف على نسوةٍ من بني ضمرة فسألهنّ عن الماء ، فقلن لعزّة وهي جارية حين كَعَب ثدياها : أرشديه الى الماء ، فأرشدته وأعجبته . فبينا هو يسقي غنمه إذ جاءته عزّة بدراهم ، فقالت : يقلن لك النسوةُ : بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضَأْنك : فأمر الغلام فدفع اليها كبشاً ، وقال : رُدّي الدراهم وقولي لهنّ : إذا رحتُ بكنّ اقتضيتُ حقي . فلما راح مرّ بهنّ ؛ فقلن له : هذا حقُّك فخذه . فقال : عَزَّةُ غريمي ، ولست أقتضي حقي إلا منها . فمزحن معه وقلن : ويحك ! عَزّة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقِّك فأحِله على إحدانا فإنها أملأ به منها وأسرع له أداء . فقال : ما أنا بمحيلٍ حقي عنها . ومضى لوجهه ، ثم رجع اليهنّ حين فرغ من بيع جَلَبِه فأنشدهنّ فيها :

نظرتُ اليها نظرةً وهي عاتقٌ على حين أن شَبَّتْ وبان نُهودها
وقد درَّعوها وهي ذات مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ ولمَّا يَلبَس الدِّرعَ رِيدُها[2]
من الخَفِراتِ البِيض وَدّ جليسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

في هذا البيت وأبياتٍ أخَر معه غناءٌ يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف اليه من جنسه . وأنشدهنّ أيضاً :

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفّى غريمَه وعَزّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غريمُها

---

(١) الجار : موضع على ثلاث مراحل من المدينة بساحل البحر .

(٢) المؤصد : صدار تلبسه الجارية (الفتاة الصغيرة) . والمجوب : الذي جعل له جيب . وريدها : تربها وندها .

فقلن له : أبيتَ إلّا عزّةَ ! وأبرزنها اليه وهي كارهة . ثم أحبَّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبّه إيّاها . قال الزُّبير : فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الُخزاعيّ المعروف بأبي جَندل عن هذا الحديث ، فعرفه وحدّثنيه عن أبيه عن جدّه عبد العزيز بن أبي جندل عن أمّه جمعة بنت كثيّر عن أبيها .

وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدثنا النَّضر بن عمرو قال حدثني عمر بن عبد الله بن خالد المُعَيطيّ ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدثني يعقوب بن نُعَيم قال حدثني إبراهيم بن اسحاق الطَّلحيّ ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأسديّ وغيره ، قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال :

دخلتْ عزّة على عبد الملك بن مروان وقد عَجزتْ ؛ فقال لها أنت عزّة كثيّر ! فقالت : أنا عزّة بنت حُميل . قال : أنت التي يقول لك كثيّر :

لِعَزَّةَ نارٌ ما تَبوخُ[1] كأنها إذا ما رَمَقناها من البعدِ كوكبُ

فما الذي أعجبه منكِ ؟ قالت : كلّا يا أمير المؤمنين ! فوالله لقد كنتُ في عهده أحسن من النار في الليلة القَرّة . وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي : فقالت له : أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيّروك خليفة . قال : وكانت له سِنٌّ سوداء يخفيها ؛ فضحك حتى بدتْ . فقالت له : هذا الذي أردتُ أن أُبديه . فقال لها : هل تروين قول كثيّر فيك :

وقد زعمتْ أنّي تغيَّرتُ بعدَها ومَن ذا الذي يا عزُّ لا يَتغيَّرُ

(١) تبوخ : تسكن .

تغيَّر جسمي والخليقةُ كالتي عَهِدْتِ ولم يُخبَرْ بسرّك مُخبَرُ

قالت لا! ولكني أروي قوله:

كأنّي أُنادي صخرةً حين أعرضتْ من الصُمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زَلَّت
صَفوحاً(١) فما تلقاكَ الّا بخيلةً فمَن مَلّ منها ذلك الوصلَ مَلّتِ

فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد — وفي غير هذه الرواية: أنها أُدخلت على أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان — فقالت لها: أرأيتِ قول كثيِّر:

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفّى غريمَه وعزَّة ممطولٌ معنًّى غريمُها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبلةٌ وعدتُه اياها. قالت: أنجزيها وعليّ إثمها.

أخبرنا الحسن بن الطيِّب البَجَليّ الشُجاعيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا حدثنا عمر بن شبَّة قال روى ابن جُعدُبة عن أشياخه، وأخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُبير بن بكّار قال حدثنا أبو بكر بن يزيد بن عِياض بن جُعدُبة عن أبيه:

أنّ كثيِّراً كان له غلام تاجر؛ فباع من عزَّة بعض سِلَعه ومَطَلتْه مُدّة وهو لا يعرفها. فقال لها يوماً: أنت والله كما قال مولاي:

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفّى غريمَه وعزّة ممطولٌ معنًّى غريمُها

فانصرفت عنه خَجِلة. فقالت له امرأة: أتعرف عزّة؟ قال: لا والله! قالت: فهذه والله عزَّة. فقال: لا جَرَمَ والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا أقتضيها. ورجع الى كثيِّر فأخبره بذلك؛ فأعتقه ووهب له المال الذي كان في يده.

(١) صفوحاً: معرضة صادّة.

أخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثني يعقوب بن حكيم السُّلَميّ عن قسيمة بنت عِياض بن سعيد الأسلمية ؛ وكنيتها أمّ البنين ، قالت :

سارت علينا عزّة في جماعة من قومها بين يدي يَربوع وجُهَينة ، فسمعنا بها ؛ فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن ؛ فجئناها فرأينا امرأةً حُلْوةً حُمَيراء نظيفة ، فتضاءلنا لها ، ومعها نسوةٌ كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال والخُلق ، إلى أن تحدَّثت ساعةً فاذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً ، فما فارقناها إلّا ولها علينا الفضلُ في أعيننا ، وما نرى في الدنيا امرأةً تروقها جمالًا وحسناً وحلاوة .

أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيديّ عن اسحاق الموصليّ عن أبي نصر (شيخٍ له) عن الهيثم بن عديّ :

أنّ عبد الملك سأل كثيِّراً عن أعجب خبر له مع عزّة ؛ فقال :

حَجَجتُ سنة من السنين وحجّ زوج عزّة بها ، ولم يعلم أحد منّا بصاحبه . فلما كنّا ببعض الطريق أمرها زوجها بابتياع سمن تُصلح به طعاماً لأهل رُفقته ؛ فجعلتْ تَدور الخيامَ خيمةً خيمةً حتى دخلت اليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي ، وكنت أَبري أسهُماً لي . فلما رأيتها جعلت أَبري وأنا أنظر اليها ولا أعلم حتى بريتُ عظامي مرّات ولا أشعر به والدم يجري . فلما تبيَّنتْ ذلك دخلتْ إليّ فأمسكت يدي وجعلتْ تمسح الدم عنها بثوبها ؛ وكان عندي نِحيٌ[1] من سمن ، فخلفتُ لتأخذنّه ، فأخذته وجاءت الى زوجها بالسمن . فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته ، حتى حلف لتَصدُقنّه فصدَقتْه ؛ فضربها وحلف لَتشتمنّي في وجهي . فوقفت عليّ وهو معها فقالت لي : يابْنَ الزانية وهي تبكي ، ثم انصرفا . فذلك حين أقول :

---

(١) النحي : زق للسمن .

يُكَلِّفها الخِنزيرُ شَتمي وما بها هَواني ولكن للمليكِ أستذلَّتِ

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

خَليلَيَّ هذا رَسمُ عَزَّةَ فاعقِلا قَلوصيكما ثم ابكيا حيث حَلَّتِ
وما كنتُ أدري قبل عزّة ما البكا ولا مُوجِعاتِ القلب حتى تَوَلَّت
فليتَ قَلوصي عندَ عزّة قُيِّدتْ بحبلٍ ضعيفٍ بانَ منها فضلَّت
وأصبح في القوم المقيمين رحلُها وكان لها باغٍ سِوايَ فبلَّت
فقلتُ لها يا عزّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَت يوماً لها النفسُ ذلَّت
أَسيئي بنا أو أَحسِني، لا ملومةٌ لدينا ولا مَقلِيَّةٌ إن تَقَلَّت[1]
هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامِرٍ لِعَزَّةَ من أعراضنا ما أستَحَلَّت
تَمَنَّيتُها حتى إذا ما رأيتُها رأيتُ المنايا شُرَّعاً قد أظلَّت
كأنّي أُنادي صخرةً حين أعرضتْ من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصمُ زَلَّت
صَفوحاً فما تلقاكَ إلّا بخيلةً فمَن مَلّ منها ذلك الوصلَ مَلَّت
أصابَ الرَّدَى مَن كان يهوى لكِ الرَّدى وجُنّ اللواتي قلن عَزَّةُ جُنَّت

عروضه من الطويل. غنى معبد في الخمسة الأوَل ثقيلًا أوّل بالوسطى. وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلًا أوّل بالبنصر عن عمرو وغنّى في «هنيئاً مريئاً» والذي بعده خفيف رملٍ بالوسطى. وغنى إبراهيم في الخامس وما بعده ثانيَ ثقيل. وذكر الهشاميّ أنّ لابن سُرَيج في «هنيئاً مريئاً» وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر. وذكر أحمد بن المكيّ أن لإبراهيم في «كأني أنادي» والذي بعده وفي «أسيئي بنا أو أحسني» هزجاً بالسبّابة في مجرى البنصر؛ ولإسحاق فيه هزج آخر به.

(١) تقلى: تبغض.

ولعَريبَ في « كأني أنادي » أيضاً رمل . ولإسحاق في « وما كنت أدري » ثقيل أوّل . وله في « أصاب الردى » ثقيل أوّل آخر ، وقيل : إن لإبراهيم في « فقلت لها يا عزّ » خفيفَ ثقيل ينسب إلى دَحمان والى سِياط .

أخبرني الحرميّ وحبيب بن نَصر قالا حدثنا الزُّبير قال حدثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أَبي عمرو الجُهَنيّ عن أبيه قال :

سارت علينا عزّة في جماعة من قومها ، فنزلت حِيالنا . فجاءني كثيِّر ذات يوم فقال لي : أُريد أن أكون عندك اليوم فأذهبَ الى عزَّة ؛ فصرتُ به الى منزلي . فأقام عندي حتى كان العِشاء ، ثم أرسلني اليها وأعطاني خاتمه وقال : اذا سلَّمتَ فستَخرُج اليك جارية ، فادفع اليها خاتمي وأعلمها مكاني . فجئت بيتها فسلَّمتُ فخرجتْ إليَّ الجارية فأعطيتها الخاتم . فقالت : أَين الموعد ؟ قلت : صَخَراتُ أَبي عُبيد الليلةَ ، فواعدتها هناك ؛ فرجعتُ اليه فأعلمتُه . فلما أمسى قال لي : انهَض بنا ؛ فنهضنا فجلسنا هناك نتحدّث حتى جاءت من الليل فجلستْ فتحدّثا فأطالا ، فذهبت لأقوم . فقال لي : الى أين تذهب ؟ فقلت : أُخَلّيكما ساعةً لعلكما تتحدثان ببعض ما تكتُمان . فقال لي : اجلس ! فوالله ما كان بيننا شيءٌ قطُّ . فجلستُ وهما يتحدّثان وإنّ بينهما لَثُمامةً عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحَرْنا ، ثم قامت فانصرفت ، وقمت أنا وهو ؛ فظلّ عندي حتى أمسى ثم انطلق .

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن أَبان بن سعيد بن العاصي قال :

خرج كثيِّر في الحاجّ بجمل له يبيعه ، فمرّ بسُكَينة بنت الحسين ومعها عَزّة وهو لا يعرفها . فقالت سُكَينة : هذا كثيِّر فسُومُوه بالجمل ؛ فساموه فاستام مائتي درهم فقالت : ضَعْ عنّا فأبى . فدعت له بتمر وزُبد فأكل ؛ ثم قالت له : ضع عنا كذا وكذا (لشيء يسير) فأبى . فقالوا : قد أكلتَ يا كثيِّر بأكثر مما

نسألك ! فقال : ما أنا بواضعٍ شيئاً . فقالت سُكينة : اكشِفوا ، فكشفوا عنها وعن عزَّة . فلما رآهما استحيا وانصرف وهو يقول : هو لكم هو لكم !

قيل انه لم يكن صادقاً في عشقه :

مَنْ ذكر أن كثيِّراً كان يكذِب في عشقه

أَخبرنا أَبو خَليفة قال حدثنا ابن سَلَّام قال :

كان كثيِّر مدَّعياً ولم يكن عاشقاً ، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعشق .

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدثنا عمر ابن شبَّة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أَبا عُبَيدة يقول : كان جميلٌ يصدُق في حبه ، وكان كثيِّر يكذِب .

ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أَحد أَنه نظر الى عزَّة ذات يوم وهي منتقبة تميس في مِشيتها ؛ فلم يعرفها كثيِّر ، فاتّبعها وقال : يا سيدتي ! قِفي حتى أكلِّمك فإني لم أَر مثلك قطُّ ، فمَن أَنتِ ويحكِ ؟ قالت : ويحكَ ! وهل تركت عزَّة فيك بقيَّة لأحد ؟ قال : بأبي أَنت ! والله لو أَنَّ عزَّة أَمةٌ لي لوهبتها لك . قالت : فهل لك في المخالَلة ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ قالت : أَنّى وكيف بما قلتَ في عزّة ؟ ! قال : أقلبه فأحوِّله اليك . فسفَرت عن وجهها ثم قالت : أَغدراً يا فاسق وإنك لهكذا ! فأبلَس[1] ولم ينطق وبُهت . فلما مضت أنشأ يقول .

أَلا ليتني قبل الذي قلتُ شِيبَ لي من السمّ جَدْحاتٌ[2] بماء الذَّرارح

---

(١) أبلس : سكت وتحير .

(٢) الجدحة : اللتة . والذرارح : دويبات أعظم من الذباب .

فمتُّ ولم تعلم عليَّ خيانة وكم طالبٍ للربح ليس برابحِ
أبوء بذنبي إنني قد ظلمتُها وإني بباقي سِرِّها غيرُ بائح

لقي عزة في طريقه الى مصر وتعاتبا :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عمر بن شبَّة قال زعم ابن الكلبيّ عن أبي المقوَّم قال أخبرني سائب راوية كثيِّر قال :

خرجتُ معه نريد مصرَ، فمررنا بالماء الذي فيه عزّة فاذا هي في خِباء؛ فسلّمنا جميعاً؛ فقالت عزّة : وعليك السلام يا سائب . ثم أقبلتْ على كثيِّر فقالت : ويحك ! ألا تتّقي الله ! أرأيتَ قولك :

بآيةِ ما أتيتُكِ أمَّ عمرٍو فقمتِ لحاجتي والبيتُ خالِي

أخلوتُ معك في بيت أو غير بيت قطُّ ؟ ! قال : لم أقُلْه، ولكنني قلتُ :

فأقسم لو أتيتُ البحرَ يوماً لأشربَ ما سقتْني من بِلالِ
وأقسم إنّ حُبَّكِ أمَّ عمرٍو لَداءٌ عند منقطَع السُّعال

قالت : أمَّا هذا فنَعَمْ . فأتينا عبدَ العزيز ثم عُدنا؛ فقال كثيِّر : عليكِ السلام يا عزّة . قالت : عليك السلام يا جملُ . فقال كثيِّر :

صوت

حَيّتكَ عَزّةُ بعد الهجر فانصرفتْ فَحَيِّ ويحكَ مَن حيَّاكَ يا جملُ
لو كنتَ حيَّيتَها ما زلتَ ذا مِقَةٍ[1] عندي وما مَسّك الإدلاج والعمل

(١) المقة : المحبة .

ليتَ التحيَّةَ كانت لي فأشكُرَها مكانَ يا جملٌ حُيِّيتَ يا رجلُ

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات غناءً لِمَعبَد . وذكر الهشاميّ أنّ فيها لُبَّينة خفيف رملٍ بالبنصر . وذكر حَبَشٌ أنّ فيها للغَريض خفيف ثقيل اول بالوسطى، ولإبراهيم ثانيَ ثقيل بالوسطى .

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدثني عليّ بن محمد البرمكيّ قال حدثني إبراهيم بن المهديّ قال :

قدِم عليَّ هشامُ بن محمد الكلبيّ فسألته عن العشَّاق يوماً فحدثني قال : تعشَّق كثيِّر امرأةً من خُزاعة يقال لها أُمّ الحُوَيرِث فنسَب بها، وكَرِهتْ أن يُسمِع بها ويفضَحها كما سمّع بعزّة؛ فقالت له : إنك رجلٌ فقير لا مالَ لك؛ فابتغِ مالًا يُعفِّي عليك ثم تعالَ فاخطُبْني كما يخطُب الكِرام . قال فاحلفي لي ووثِّقي أنّك لا تتزوّجين حتى أقدمَ عليك؛ فحلفتْ ووثّقت له . فمدح عبد الرحمن بن إبريق الأزديّ، فخرج اليه، فلقيته ظِباءٌ سوانح ولقي غراباً يفحَص التراب بوجهه؛ فتطيّر من ذلك حتى قدِم على حيٍّ من لِهْب[1] فقال : أيُّكم يَزجُر ؟ فقالوا : كلُّنا، فمَن تريد ؟ قال : أعلَمُكم بذاك . قالوا : ذاك الشيخ المنحني الصُّلب . فأتاه فقص عليه القصة؛ فكرِه ذلك له وقال له : قد تُوُفِّيتْ أو تزوّجتْ رجلًا من بني عمها . فأنشأ يقول :

صوت

تَيمَّمتُ لِهْباً أبتغي العلمَ عندهم وقد رُدَّ علمُ العائفين الى لهبِ
تيمَّمتُ شيخاً منهمُ ذا بَجالةٍ[2] بصيراً بزجر الطيرِ منحنيَ الصُّلب

(١) لهب : قبيلة من اليمن معروفة بالعيافة وزجر الطير .

(٢) ذا بجالة : يبجله الناس ويعظمونه .

فقلت له ماذا ترى في سَوانحٍ وصوتِ غُرابٍ يفحَص الوجهَ بالتُّربِ
فقال جرى الطيرُ السَّنيح ببَينِها وقال غرابٌ جَدَّ مُنهَمِرُ السَّكب
فإلَّا تكن ماتت فقد حال دونَها سواكَ خليلٌ باطنٌ من بني كَعْب

— غنّاه مالك من رواية يونس ولم يجنّسه — قال : فمدح الرجلَ الأزديّ ثم أتاه فأصاب منه خيراً كثيراً، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوّجت رجلًا من بني كعب، فأخذه الهُلاس[1]، فكُشِح[2] جنباه بالنار . فلما اندمل[3] من عِلّته وضع يده على ظهره فاذا هو برَقمتين؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنه أخذك الهُلاس وزعم الأطبّاء أنه لا عِلاجَ لك إلا الكَشح بالنار فكُشِحْتَ بالنار . فأنشأ يقول :

صوت

عفا الله عن أُمِّ الحُوَيرِثِ ذنبَها علامَ تُعنّيني وتَكمي[4] دَوائيا
فلو آذنوني قبل أن يرقموا بها لقلتُ لهم أُمّ الحُوَيرث دائيا

— في هذين البيتين لمالك ثقيلٌ اول بالوسطى . ولابن سُرَيج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمرو والهشاميّ . وقيل : إن فيهما لمعبد لحناً — وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد ابن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه : إنه قصد ابن الأزرق بن حَفْص بن المُغيرة المخزوميّ الذي كان باليمن، وإنه فعل ذلك بعد موت عزّة . وسائر الخبر متقارب .

وأخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن محمد بن سليمان بن فُلَيح أو فليح بن سليمان — أنا شككتُ — عن أبيه عن جدّه قال :

---

(١) الهلاس : داء يهزل الجسم او هو السل .
(٢) الكشح : الكيّ بالنار .
(٣) أي تماثل للشفاء .
(٤) تكمي : تستر .

جاء كثيّر الى عبد الله بن جعفر وقد نَحِلَ وتغيّر . فقال له عبد الله : ما لي أراك متغيراً يا أبا صخر ؟ قال : هذا ما عملتْ بي أُمّ الحُوَيرِث، ثم ألقى قميصه فاذا به قد صار مثل القَشّ وإذا به آثار من كَيّ؛ ثم أنشده :

عفا الله عن أُمّ الحويرث ذنبَها

الأبيات .

أغرت عزة به بثينة لتتبين حاله :

أَخبرني عمي قال حدثني ابن أَبيّ قال حدثني الحزاميّ عمن حدثه من أَهل قُدَيد[1] :

أن عزّة قالت لبُثينة : تَصدَّيْ لكثيّر وأطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به . فأقبلت اليه وعزّة تمشي وراءها مختفيةً؛ فعرضت عليه الوصلَ؛ فقارَبها ثم قال :

رمتني على عَمْدٍ بُثينةُ بعد ما تولّى شَبابي وارجحنّ[2] شبابُها

وذكر أَبياتاً أُخَرَ سقط من الكتاب ذكرُها . فكشفتْ عزّةُ عن وجهها؛ فبادرها الكلامَ ثم قال :

ولكنَّما تَرمِينَ نفساً مريضةً لِعَزّةَ منها صَفوُها ولُبابُها

فضحِكتْ ثم قالت : أولَى لك بها قد نجوتَ؛ وانصرفتا تتضاحكان .

أَخبرنا الحَرَميّ بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُهريّ قال :

بكى بعضُ أَهل كثيّر عليه حين نزل به الموت . فقال له كثيّر : لا تبكِ، فكأَنّك بي بعد أربعين ليلةً تسمع خَشفةَ[3] نَعلي من تلك الشِّعبةِ راجعاً اليكم .

(١) قديد : اسم موضع قرب مكة .
(٢) ارجحن شبابها : اهتز نضارة وحسناً .
(٣) خشفة النعل : صوتها .

مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة ١٠٥ :

أخبرني الفضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلّام قال حدثني ابن جُعدُبة وأبو اليَقظان عن جُوَيرية بنِ أسماء قال :

مات كثيّر وعِكرِمة مولى ابن عبّاس في يوم واحد، فاجتمعت قُرَيش في جنازة كثيّر ولم يوجد لعِكْرمة مَن يحمله .

أخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن مُصعَب قال حدثني الواقديّ قال حدثني خالد بن القاسم البَياضيّ قال :

مات عِكرِمةُ مولى ابن عبّاس وكثيّر بن عبد الرحمن الخُزاعيّ صاحب عزّة في يوم واحد في سنة خمس ومائة، فرأيتُهما جميعاً صُلِّي عليهما في يومٍ واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس : مات اليومَ أفقهُ الناس وأشعرُ الناس .

وقال ابن أبي سعد الورّاق حدثني رَجاء بن سَهْل أبو نصر الصاغانيّ قال حدثنا يحيى بن غَيلان قال حدثني المُفضَّل بن فَضالة عن يزيد بن عُروة قال :

مات عكرمة وكثيّر عَزّة في يوم واحد، فأخرِجتْ جِنازتاهما، فما علمتُ تخلّفتِ امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جِنازتيهما . قال : وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلمُ الناس . قال : وغلَب النساء على جنازة كثيّر يَبكِينه ويذكُرنَ عزّةَ في نُدبتهنّ له . قال : فقال أبو جعفر محمد بن عليّ : أفرِجوا لي عن جِنازة كثيّر لأرفَعها . قال : فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهنّ محمد بن عليّ بكُمّه ويقول: تَنحَّينَ يا صواحِبات يوسف . فانتدَبتْ له امرأةٌ منهنّ فقالت : يابن رسول الله لقد صَدَقتَ، إنّا لصواحباتُ يوسف وقد كنّا له خيراً منكم له . قال : فقال أبو جعفر لبعض مَواليه : احتفِظْ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا . قال : فلما انصرف أُتِيَ بتلك المرأة كأنها شَرارةُ النار . فقال لها محمد بن عليّ : أنت القائلةُ إنّكن

ليوسفَ خيرٌ منّا ؟ فقالت : نعم ! تُؤمِنني غضبَك يابنَ رسول الله ؟ قال : أنت آمنةٌ من غضبي فأبيني . قالت : نحن يابنَ رسول الله دعوناه الى اللذّات من المَطعَم والمَشرَب والتمتُّع والتنعُّم ، وأنتم معاشرَ الرجال ألقيتموه في الجُبّ وبِعتُموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السِّجن . فأيُّنا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟ ! فقال محمد : لله دَرُّكِ ! ولن تُغالَبَ امرأةٌ إلّا غلبتْ . ثم قال لها : ألَكِ بعلٌ ؟ قالت : لي من الرجال مَن أنا بعلُه . قال : فقال أبو جعفر : صَدَقتِ ، مثلُك من تَملِك بعلَها ولا يملِكها . قال : فلما انصرفتْ قال رجلٌ من القوم : هذه زينب بنت مُعَيقِب .

نسبة ما في هذه الاخبار من الغناء :

صوت

نظرتُ اليها نَظرةً وهي عاتقٌ ... على حينِ أن شَبَّتْ وبانَ نُهودُها
نظرتُ اليها نظرة ما يسُرُّني ... بها حُمْرُ أنعامِ البلادِ وسُودُها
وكنتُ إذا ما جئتُ سُعدى بأرضِها ... أَرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخَفِراتِ البِيض وَدّ جَليسُها ... اذا ما انقضت أحدوثةٌ لو تُعيدها

عَروضه من الطويل . البيت الاول لكثيّر ، والثاني والثالث لنُصَيب من قصيدته التي اولها :

لقد هجرت سعدى وطال صدودُها

غنى في البيت الثاني والثالث جَحدَرٌ الراعي خفيف رَمَلٍ بالبنصر . وغنى فيهما الهُذَليّ رملًا بالوسطى . وغنى في الثالث والرابع دِعامة ثقيلًا اول بالبنصر .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَماد عن أبيه قال قال عمر الواديّ ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني مَكِينٌ العُذريّ قال :

سمعت عمر الوادي يقول : بينا أنا أسيرُ بين الرَّوْحاء والعَرْج إذ سمعتُ إنساناً يغني غناءً لم أسمع قطُّ مثله في بيتَيْ كثيِّر :

وكنت إذا ما جئتُ سُعدى بأرضها أرى الأرض تُطوَى لي ويدنو بعيدُها
من الخَفِرات البِيضِ وَدّ جليسُهـا اذا ما انْقضَتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

قال : فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً ، وقلت : والله لأَلتمسنّ الوصولَ الى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي ، فتيمَّمتُ سَمْتَه[1] فإذا راعٍ في غنم ، فسألته إعادته عليّ . قال : نعم ! ولو حضرني قِرًى أُقريكَه ما أعدتُه ، ولكني أجعله قِراكَ ، فربما تَرنَّمتُ به وأنا غَرثانٌ فأشبَع ، وعطشانٌ فأروَى ، ومستوحشٌ فآنس ، وكَسلانٌ فأنشَط . قال : فأعادهما عليّ حتى أخذتُهما ، فما كان زادي حتى ولجتُ المدينةَ غيرَهما .

(١) سمته : ناحيته وجهته .

أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

هو عُبَيد الله بن عبدالله بن طاهر بن الحُسين ، ويُكنى أبا أَحمد . وله محلٌّ من الأدب والتصرُّف في فنونه وروايةِ الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يَجلُّ عن الوصف ويكثر ذكره . وله صنعةٌ في الغناء حسنةٌ مُتقَنة عجيبة تدلّ على ما ذكرناه هاهنا من توصُّله الى ما عجز عنه الأوائل من جَمع النَّغم كلِّها في صوت واحد تتبَّعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها . وكان المعتضِد بالله ، رحمة الله عليه ، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناءً وبحضرته أكابرُ المغنِّين مثل القاسم بن زُرزور وأحمد بن المكيّ ومَن دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء وطبقتهم ، فيعدِل عنهم اليه فيصنع فيها احسنَ صَنعة ، ويترفَّع عن إظهار نفسه بذلك ، ويُومئ الى أنه من صَنعة جاريته شاجي ، وكانت إحدى المحسنات المبرّزات المُقدَّمات ؛ وذلك بتخريجه وتأديبه ، وكان بها مُعجَباً ولها مُقدِّماً .

فأخبرني احمد بن جَعفر جَحظة قال : لمَّا اختلت حالُ عُبيد الله بن عبدالله بن طاهر كان المعتضد يتفقَّده بالصِّلات الفَيْنَةَ بعد الفينة . واتفق يوماً كان فيه مصطبحاً أن غُنِّي بصوتٍ الصنعة فيه لشاجي جاريةِ عُبيد الله ، فكتب اليه كتاباً يُقسم أن يأمرها بزيارته ففعل . قال : فحدثني مَن حضر من المغنيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت : دخلتْ الينا وما منَّا إلَّا من يَرفُل في الحُلِيِّ والحُلَل وهي في أثواب ليست كثيابنا ، فاحتقرناها ؛ فلمَّا غنَّت احتقرنا أنفسنا . ولم تزل تلك حالَنا حتى صارت في أعيننا كالجبل وصرنا كلا شيء . قال : ولمَّا انصرفتْ أَمر لها المعتضد بمال وكسوة . ودخلت الى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأت

مما استظرفت وسمعتْ مما استغربت . فقالت : ما استحسنتُ هنـاك شيئاً ولا استغربته من غناءٍ ولا غيره إلا عوداً من عود محفور فإني استظرفتُه . قال جحظةُ : فما قولكَ فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمدّ عينه لشيء يستحسنه فيها إلّا عوداً !

قال محمد بن الحسن الكاتب وحدثني النُّوشجانيّ قال :

كان المعتضِد اذا استحسن شعراً بعث به الى شاجي جاريةِ عُبيد الله بن طاهر فتغنّي فيه . قال : وكانت صنعتها تسمَّى في عصره غناء الدار .

قال محمد بن الحسن : وماتت شاجي في حياة عُبيد الله بن عبـدالله بن طاهر وكان عليلًا ، فقال يرثيها — وله فيه صنعةٌ من خَفيف الثقيل الأوّل بالوسطى — :

يَميناً يقيناً لو بُليتُ بفقدهـا وبي نَبضُ عِرقٍ للحياة أو النُّكسِ
لأوْشكتُ قتلَ النفسِ قبل فِراقِها ولكنها ماتت وقد ذهبت نفسي

ومن نادر صنعة عُبيد الله وجيّد شعره قوله — وله فيه لحنان ثقيلٌ أوّل وهزج ، والثقيل الأول أجودُهما — :

فأَنفِق إذا أَيسرتَ غـيرَ مقتِّرٍ وأَنفِق على ما خيَّلت حين تُعسِرُ
فلا الجودُ يُفني المالَ والمالُ مقبلٌ ولا البخلُ يُبقي المالَ والجدّ مُدْبِرُ

وأشعاره كثيرةٌ جيّدة كثيرةُ النادر والمختار . وكتابه في النَّغَم وعِلَل الأغاني المسمَّى « كتاب الآداب الرفيعة » كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌّ عـلى فضل مؤلِّفه .

أَخبرني جَحظة قال حدثني الحرميّ بن أَبي العـلاء قال حدثني موسى بن هارون ، فيما أُرى ، قال :

كنتُ عند عُبيد الله بن عبدالله بن طاهر وقد جاءه الزُّبير بن بَكَّار فأعلمه أَن المتوكِّل أَو المعتزّ — وأراه المعتزّ — بعث الى أَخيه محمد بن عبدالله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء. فقال له الزُّبير بن بكَّار: قد بلغتُ هذه السنّ وأتولَّى القضاء! او بعد ما رويتُ أنّ من ولي القضاءَ فقد ذُبح بغير سكين! فقال له: فتلحَق بأمير المؤمنين بسُرّ مَن رأى، فقال له: أفعل. فأَمر له بمال ينفقه، وبظَهرٍ يحمله ويحمل ثَقَلَه. ثم قال له. إن رأيت يا أَبا عبدالله أَن تُفيدنا شيئاً قبل أن نفترق! قال: نعم! انصرفتُ من عُمرة المحرّم؛ فبينا أَنا بأُثايَةِ[1] العَرج، إذا أَنا بجماعة مجتمعة، فأقبلتُ اليهم واذا رجل كان يقنِص الظباء وقد وقع ظبي في حِبالته فذبحه، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدرَه فنشِب القرن فيه فمات. وأقبلت فتاة كأنها المَهاةُ، فلما رأت زوجها ميّتاً شَهِقَت ثم قالت:

يا حُسنُ لو بَطَلٌ لكنه أجل ... على الأثاية ما أَوْدى به البطلُ
يا حُسن جمَّع أَحشائي وأَقلقها ... وذاك يا حسن لولا غيرُه جَلَلُ
أضحت فتاةُ بني نَهدٍ عَلانِيَةً ... وبعلُها بين أيدي القوم محتَمَلُ

قال: ثم شهقت فماتت. فما رأيتُ أَعجبَ من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل جريح ميت، والفتاة ميتة حَرَّى. فأمر له عُبيد الله بمال آخر. ثم أقبل الى أخيه محمد بن عبدالله بعد خروج الزبير فقال: أَما إنّ الذي أَخذناه من الفائدة في خبر حُسن وفي قولها:

أضحت فتاةُ بني نَهد علانيةً

— تريد ظاهرة — أكثرُ عندي مما أعطيناه من الحِباء والصِّلة. وقد أخبرني

(١) الأثاية: موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً وهو بين الرويثة والعرج.

الحسين بن عليّ عن الدمشقيّ عن الزبير بخبر حُسن فقط ، ولم يذكر فيه من خبر عُبيد الله شيئاً .

ومن الأصوات التي تجمع النَّغَم العشَر

صوت

وهو يجمع النَّغم العشر كلَّها على غير تَوالٍ :

وإنّكِ إذ أطمعتِني منكِ بالرّضا ... وأيأستني من بعد ذلك بالغضبْ
كَمُمْسِكَةٍ من ضَرْعِها كفَّ حالبٍ ... ودافقةٍ من بعد ذلك ما حَلَبْ

عروضه من الطويل . الشعر لإبراهيم بن عليّ بن هَرمة . والغناء في هذا اللحن الجامع للنَّغم لعُبيد الله بن عبدالله بن طاهر ، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها وعليها ٱبتدأ الصوت .

وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدثني بعض أصحابنا عن أبي نُوَاس أنه قال : شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه . فلو أُخذ البيتُ الثاني من شعر أحدهما فجُعِل مع بيت الآخر ، وأُخذ بيتُ ذاك فجعل مع هذا لصار متَّفقاً معنًى وتشبيهاً . فقلت له : أَنَّى ذلك ؟ فقال : قول جَرير للفرزدق :

فإنكَ إذ تهجو تَميماً وترتشي ... تَبابِينَ[1] قيس أو سُحوق العمائمِ
كمُهْرِيقِ ماءٍ بالفَلاةِ وغَرَّه ... سرابٌ أذاعتْه رياح السَّمائمِ

(١) التبابين : جمع تبان وهو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين . والسحوق : جمع سحق ، وهو الثوب الخلق البالي .

وقول ابن هرمة :

وإنّي وتركي ندى الأكرمينَ وقدحي بكفّيَّ زنداً شحاحا
كتاركةٍ بيضَها بالعَراء ومُلْبِسةٍ بيضَ أخرى جَناحا

فلو قال جرير :

فإنك إذ تهجو تميماً وترتشي تَبابِينَ قيسٍ أو سُحوق العمائمِ
كتاركةٍ بيضَها بالعَراء ومُلْبِسةٍ بَيضَ أخرى جَناحا

لكان أشبه منه ببيته . ولو قال ابنُ هرمة مع بيته :

وإني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفَّيَّ زَندا شَحاحا
كمُهْريقِ ماءٍ بالفلاة وغَرَّه سرابٌ أذاعته رياح السمائم

كان أشبه به . ثم قال : ولكن ابن هرمة قد تلافى ذلك بعدُ فقال :

وإنكِ إذ أطمعتِني منكِ بالرّضا وأيأستني من بعد ذلك بالغضبْ
كمُمكنةٍ من ضرعها كفَّ حالب ودافقةٍ من بعد ذلك ما حلبْ

وقد أتى عُبيد الله بن عبدالله بهذا الكلام بعينه في « الآداب الرفيعة » . وإنما أخذه من أبي نُواس على ما رُوي عنه .

ووجدتُ في كتابٍ مؤلَّفٍ في النَّغم غيرِ مسمًّى الصانع : أنّ من الأصوات التي تجمع النَّغم العشرَ صوتَ ابنِ أبي مطر المكيِّ في شعر نُصَيب وهو :

(١) زند شحاح : لا يوري .

صوت

أَلا أَيُّها الرَّبـعُ المُقيمُ بعُنْبُبِ[1] سَقَتْكَ السَّواقي من مُراحٍ ومَعزَبِ
بذي هَيدَبٍ أمَّا الرُّبى تحت وَدقِه فَتَرْوى وأمَّا كلُّ وادٍ فيزعَبِ

عروضه من الطويل . ويروى «الربع الخلاء بعُنْبُبِ» أي الخالي . وعُنبب : موضع ، ويروى «سقتك الغوادي من مرادٍ» . والمَراد : الموضع الذي يُرتاد فيُرْعى فيه الكلأ . والمُراحُ : الموضعُ الذي تَرُوح اليه المواشي وتَبيت فيه . وفي الحديث أنه رخّص في الصلاة في مُراحِ الغنم ونَهى عنها في أعطانِ الإبل . والمَعزَب : الموضع الذي يعزُب فيه الرجلُ عن البيوت والمنازل . وأصل العزوب : البُعْد يقال عزَب عنه رأيُه وحلمُه أي بعُد ، والعَزَب مأخوذٌ من ذلك . وهَيدَبُ السماءِ أطرافٌ تراه في أذنابه كأنه معلّق به . قال أَوْسُ بن حَجَر :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيقَ الأرضِ هَيدَبُه يكاد يدفَعه مَن قام بالراحِ

ويزعب : يطفَح ، يقال : زعَبه السيلُ إذا ملأه . الشعر لنُصَيب يقوله في عبد العزيز بن مروان .

أَخبرنا الحرميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني جميع بن عليّ النُّميريّ عن عبدالله بن عبد العزيز بن مِحجَن بن النُّصَيب، قال الزبير و كتب إليّ بذلك عبدالله ابن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصَيب قالت :

وَفد أبي على عبد العزيز بن مَروان بمصر ، فوقف على الباب فاستأذن فلم يُؤذَن له . فأرسل اليه حاجبه فقال : أستنشِدْه ، فإن كان شعره رديئاً فأردُده ، وإن

(١) عنبب : موضع .

كان جيّداً فأَدخله. فقال نُصَيب: قد جلَبنا شيئاً للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلّا طويناه ورجعنا به. فقال عبد العزيز. إنّ هذا لكلامُ رجلٍ ذَهِنٍ، فأَدخله. فلمّا واجهه أنشده قصيدَته التي يقول فيها:

ألا هل أتى الصقرَ بنَ مَروان أنّني أُرَدُّ لدَى الأبوابِ عنه وأُحْجَبُ
وأنّي ثَوَيتُ اليومَ والأمسِ قبلَه على الباب حتى كادت الشمسُ تغرُبُ
وأنّي إذا رمتُ الدخولَ تَرُدُّني مهابةُ قَيسٍ والرّتاجُ المُضَبَّبُ[1]

قال: وكان حاجب عبد العزيز يُسمى قَيساً. قال: وتشبيب هذه القصيدة:

ألا أيها الرّبعُ المقيمُ بعُنْبُب سقتْك السَّواقي من مُراحٍ ومَعزَبِ

قال: فلمّا دخل على عبد العزيز أُعجِب بشعره وأوجَهَه[2]، وقال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حسنٌ إلّا من لغته. قال: هذا والله أشعرُ منك! قال: وقال نُصَيب فيها أيضاً:

وأهلي بأرضٍ نازحون وما لهم بها كاسبٌ غيري ولا مُتَقَلِّبُ
فهل تُلحِقَنّيهِمْ بعَبْلٍ[3] مُواشِكٍ على الأين من نُجبِ ابنِ مَروانَ أصهَبُ
أبو بَكَراتٍ إن أردتُ افتحالَه وذو ثَبَتاتٍ بالرّديفَين مُتْعَبُ

فقال له عبد العزيز: ادخُلْ على المَهارى[4] فخُذ منها ما شئت، فلو كنتَ سألت

(١) رتاج مضبب: مجعولة له ضبة.

(٢) أوجهه: جعله وجيهاً وشرفه.

(٣) العبل: الضخم. والمواشك: السريع. والأين: الإعياء والتعب.

(٤) المهرية: إبل منسوبة الى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة.

غيره لأعطِيتَه . فدخل فردَّه الجمَّال . فقال عبد العزيز : دَعْه فإنما يأخذ الذي نَعت ، فأخذه .

قال الزُّبير وحدثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال :

نزل عبد العزيز بن عبد الوهَّاب على المَهدي بعُنْبُب من وادي السَّراة الذي عنى نُصَيب بقوله :

أَلا أيها الرَّبعُ الخلاء بعُنْبُبِ

والمَهدي هو الذي يقول فيه الشاعر .

اسلمي يا دارُ من هِندِ بالسُوَيقاتِ الى المَهدي

صوت

وهو يجمع من النَّغم ثمانياً :

يا مَن لقَلبٍ مُقصِرٍ ترك المُنى لِفَواتها
وتظلَّف النفس التي قد كان من حاجاتها
وطِلابُكَ الحاجاتِ مِن سَلمى ومِن جاراتها
كَتَطَرُّد العَنس الذَّمُو لِ[1] الفَضْلَ من مَثناتِها

قوله : « يا من لقلب مقصر » تأسُّفٌ على شبابه ؛ ويدلّ على ذلك قوله :

وتظلّف النفس التي قد كان من حاجاتها

يقال : أظلِف نفسك عن كذا أي امنعها منه لئلّا يكون لها أثر فيه . وهو مأخوذ من ظَلَف الأرض وهو المكان الذي لا أثر فيه . قال عوف بن الأحوص :

ألم أظلِف عن الشعراء عِرضي كما ظُلِفَ الوَسيقةُ بالكُراع

(١) ناقة ذمول : تسير سيراً سريعاً ليناً . والمثناة : الحبل .

الوسيقة : الجماعةُ من الإبل . يعني أنها تُساق فلا يوجد لها أثر في الكُراع ، وهو مُنقَطَع الجبل . قال الشاعر :

أمستْ كُراعُ الغَميمِ[1] مُوحِشةً بعد الذي قد خلا ، من العَجَبِ

وقوله :

كَتَطَـرُّدِ العَنسِ الذَّمُو لِ الفضـلَ من مَثناتها

يقول : طِلابُك هذه الحاجاتِ ضلالٌ وتتابعٌ كتطرُّد العَنس (وهي الناقة المذكَّرة الخَلق) الفضلَ من مَثناتها . والتطرُّد : التتبُّع ؛ ومثله قول الشاعر :

خَبَطتُ الصِبا خَبطَ البعيرِ خِطامَهُ فلم أَنتبِهْ للشَّيبِ حتى عَلانِيا

الشعر لمسافر بن أَبي عمرو بن أميَّة بن عبد شمس . والغناء لابن مُحرز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وهذا الصوت يجمع من النَّغم ثمانيا ، وكذلك ذكر إسحاق ووصف أنه لم يجمع شيءٌ من الغناء قديمه وحديثه الى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت ، ووصف أنه لو تلطَّف متلطِّف لأن يجمع النغم العشر في صوت واحد لأَمكنه ذلك ، بعد أَن يكون فَهِماً بالصناعة طويلَ المُعانات لها وبعد أَن يُتعب نفسَه في ذلك حتى يصحّ له . فلم يقدر على ذلك سوى عُبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا .

(١) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

ذكر مسافر ونسبه

مسافر بن أَبي عمرو بن أُميَّة، ويكنى أَبا أميَّة . وقد تقدّم نسبه وأنساب أهله. وأُمّه آمنة بنت أَبان بن كُلَيب بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعة، وهي أمّ أَبي مُعَيط أَبان بن عمرو بن أُميَّة . وأَبو مُعَيطٍ ومُسافِرٌ أخوان لأب وأمّ، وهما أخوا عمومتهما أَبي العاصي وأخويه من بني أُميَّة الذين أُمّهم آمنة ؛ لأنّ أَبا عمرو تزوّجها بعد أبيه . وكان سيّداً جَواداً، وهو أحد أزواد[1] الركب ؛ وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لا يَدَعون غريباً ولا مارَّ طريقٍ ولا محتاجاً يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفَّلوا به حتى يظعَن .

وهو أحد شعراء قُرَيش؛ وكان يُناقض عُمارة بن الوليد الذي أمر النَّجاشيُّ السواحر فسحرته . فمن ذلك قول عُمارة :

خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا وجِيادُ الرَّيطِ والأُزُرُ
كابِراً كنَّا أحقَّ بـه حين صِيغَ الشمسُ والقمرُ

وقال مسافر يردّ عليه :

أُعمارَ بنَ الوليد وقد يذكر الشَّاعِرُ مَن ذَكَرهْ
هل أخو كأسٍ مُحقِّقُها ومُوَقٍّ صحبَه سُكْرَه
ومُحيِّيهمْ إذا شَربوا ومُقِلٌّ فيهمُ هَذَرَه

(١) أزواد الركب : ثلاثة نفر من قريش : مسافر بن أبي عمرو بن أمية ، وزمعة بن الاسود ابن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم .

خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا وجِيادُ الرَّيطِ والحِبَرَهْ
كابِراً كنَّا أحقَّ بـه كلُّ حَيٍّ تابعٌ أَثَرَهْ

وله شعر ليس بالكثير . والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شَمْس، وكان يهواها . فخطَبها الى أبيها بعد فِراقها الفاكِهَ بن المُغيرة، فلم ترضَ ثروَته ومالَه . فوفد على النُّعمان يستعينه على أمره ثم عاد ؛ فكان اول مَن لقيه أبو سُفيان، فأعلمه بتزويجه من هند . فأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال حدثني ابن أبي سَلَمة عن هشام، قال ابن عَمَّار وقد حدّثناه ابنُ أبي سَعد عن عليّ بن الصبَّاح عن هشام، قال ابن عَمَّار وحدّثنيه عليّ بن محمد بن سليمان النَّوفليّ عن أبيه — دخل حديثُ بعضهم في بعض — :

أنّ مسافر بنَ أبي عمرو بن أُميَّة كان من فِتيان قريش جمالًا وشعراً وسخاء. قالوا : فعشِق هنداً بنت عُتبة بن ربيعة وعشِقتْه ؛ فأُتُهم بها وحملتْ منه . قال بعض الرواة : فقال معروف بن خَرَّبُوذ : فلما بانَ حَمْلُها او كاد قالت له : اخرُجْ ؛ فخرج حتى أتى الحِيرَة ، فأتى عمرو بن هند فكان يُنادمه . وأقبل أبو سُفيان بن حَرْب الى الحِيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقِي مُسافِراً، فسأله عن حال قريش والناس؛ فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوّجتُ هنداً بنت عُتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه حتى استَسقى(١) بطنُه . قال ابن خَرَّبُوذ : فقال مُسافِرٌ في ذلك :

ألا إنّ هنداً أصبحتْ منك مَحرَما وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا
وأصبحتَ كالمقمورِ جَفْنَ سلاحه يقلِّب بالكفَّينِ قوساً وأسهُما

فدعا له عمرُو بن هند الأطبَّاء، فقالوا : لا دواء له إلّا الكَيّ . فقال له : ما ترى ؟ قال : افعَل . فدعا له الذي يُعالجه فأحمى مَكاوِيَه ؛ فلما صارت كالنار قال : ادعُ

(١) استسقى بطنه : اجتمع فيه ماء أصفر . وهو المعروف بمرض الاستسقاء .

أقواماً يُمسكونه . فقال لهم مسافر : لستُ أحتاج الى ذلك . فجعل يضع المكاويَ عليه . فلما رأى صبره ضرط الطبيبُ؛ فقال مسافر :

قد يَضرِطُ العَيرُ والمِكواةُ في النارِ

– فجرتْ مثلًا – فلم يَزِده إلا ثِقَلًا . فخرج يُريد مكة . فلما انتهى الى موضع يقال له هُبالة[1] مات فدُفن بها، ونُعِي الى قُرَيش . فقال أبو طالب بن عبد المطَّلب يرثيه :

ليتَ شِعري مُسافِرَ بنَ أبي عمـــرٍو وليتٌ يقولها المحزونُ
رَجع الركبُ سالمين جميعاً وخليلي في مَرمَسٍ[2] مدفون
يُورِكَ الميّتُ الغريبُ كما بو رِكَ نَضرُ[3] الرَّيحان والزيتون
بيتُ صِدقٍ على هُبالةَ قد حا لت فيافٍ من دونه وحُزون
مِدرَهٌ يدفَع الخصومَ بأيـدٍ وبوجهٍ يَزِينُه العِرْنـين

صوت

كَمْ خليلٍ رُزئتُـه وابنِ عَمٍّ وحَميمٍ قضتْ عليـه المَنُونُ
فتعزَّيتُ بالتَّأسِّي وبالصبـــرِ وإنّي بصاحبي لضنـين

غنى في هذين البيتين يحيى المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابنه والهشاميّ .

وأنشدنا الحرميّ قال أنشدنا الزبير لأبي طالب بن عبد المطَّلب في مسافر بن أبي عمرو :

---

(١) هبالة : موضع لبني عقيل .

(٢) المرمس : القبر .

(٣) النضر : البلل .

أَلا إنّ خيرَ الناسِ غيرَ مُدافَعٍ بسَرْوِ سُحيمٍ[1] غيَّبَتْه المقابرُ
تُبكّي أباها أمُّ وَهْبٍ وقد نأى وريسانُ أمسى دونه ويُحابِرُ[2]
على خير حافٍ من مَعَدٍّ وناعلٍ إذا الخيرُ يُرجى أو إذا الشرُّ حاضر
تَنادَوْا ولا أبو أميَّةَ فيهمُ لقد بُلِغتْ كَظَّ النفوسِ الحناجر

قال وقال النَّوفليّ : إنّ البيتين :

أَلا إنّ هنداً أصبحتْ منك مَحرَما

والذي بعده لهشام بن المُغيرة ، وكانت عنده أسماء بنت مَخرَمَةَ النَّهشَليَّة، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث، ثم غضِب عليها فجعلها مثلَ ظهر أمّه — وكان اول ظِهار كان — فجعلته قريشٌ طلاقاً . فأرادت أسماء الانصراف الى أهلها؛ فقال لها هشام : وأين الموعد ؟ قالت : الموسم . فقال لها أبناها : أقِيمي معنا فأقامت معهما . فقال المغيرة بن عبد الله وهو أبو زوجها : أما والله لأزوجنّكِ غلاماً ليس بدون هشام؛ فزوّجها أبا ربيعة ولدَه الآخر؛ فولدت له عَيّاشاً وعبدَ الله . فذلك قول هشام :

تُحدِّثنا أسماء أن سوف نَلتقِي أحاديث طَسْمٍ[3]، إنما أنت حالمُ

وقوله :

أَلا أصبحتْ أسماء حُجْراً مُحرَّما وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَمَا

قال النَّوفليّ في خبره وحدثني أبي : أنه إنما كان مسافر خرج الى النُّعمان بن المنذر

(١) سرو سحيم : موضع .

(٢) يحابر : اسم قبيلة .

(٣) طسم : إحدى القبائل العربية القديمة البائدة .

يتعرّض لإصابة مال ينكِح به هنداً، فأكرمه النعمانُ واستظرفه ونادمه وضرب عليه قُبَّةً من أَدَمٍ حمراءَ. وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عُرِف قدرُه منه ومكانُه عنده. وقدِم أبو سُفيان بنُ حَرب في بعض تِجاراته؛ فسأله مسافر عن حال الناس بمكة؛ فذكر له أنه تزوَّج هنداً؛ فاضطرب مسافر حتى مات. وقال بعض الناس: إنه استسقى بطنُه فكُوِي فمات بهذا السبب. قال النَّوفليّ: فهو أحد مَن قتله العشق.

فأمَّا خبر هند وطلاقُ الفاكهِ بنِ المُغيرة إياها، فأخبرني به أحمد بن عُبيد الله ابن عَمَّار قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أبو السُّكَين زكريَّا بن يحيى بن عمرو ابن حِصْن بن حُمَيد بن حارثة الطائيّ قال حدثني عمي زَحر بن حِصن عن جدّه حُمَيد بن حارثة قال:

كانت هند بنت عُتبة عند الفاكِه بن المُغيرة، وكان الفاكه من فِتيان قُريش، وكان له بيتٌ للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيتُ ذات يوم، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته. وأقبل رجلٌ ممن كان يغشى البيت فولَجه؛ فلما رآها رجع هارباً؛ وأبصره الفاكه فأقبل اليها فضربها برجله وقال: مَن هذا الذي خرج من عندك!؟ قالت ما رأيت أحداً ولا انتبهتُ حتى أنبهتني. فقال لها: ارجعي الى أُمّك. وتكلَّم الناس فيها، وقال لها أبوها: يا بُنيَّة! إنّ الناس قد أكثروا فيكِ، فأنبئيني نَبَأَكِ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دَسَستُ عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة، وإن يك كاذباً حاكمتُه الى بعض كُهَّانِ اليمن. فقالت: لا والله ما هو عليّ بصادق. فقال له: يا فاكه، إنك قد رميتَ بنتي بأمرٍ عظيم، فاحكِمني الى بعض كُهَّان اليمن. فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عُتبة في جماعة من عبد مَناف ومعهم هند ونِسوة. فلمَّا شارفوا البلادَ وقالوا غداً نَرِد على الرجل تنكَّرتْ حال هند. فقال لها عُتبة: إنّي أرى ما حلَّ بك من تنكُّر الحال، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندكِ. قالت: لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه، ولكنّي أعرف أنكم تأتون بَشَراً يخطئ ويصيب،

ولا آمنه أن يَسِمَني مِيسماً يكون عليّ سُبَّةً . فقال لها : إني سوف أختبره لك؛ فصَفَر بفرسه حتى أدلى[1]، ثم أدخل في إحليله حبَّة بُرّ وأوكأ عليها بسَير . فلما أصبحوا قدِموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم . فلما قعدوا قال له عُتبة : جئناكَ في أمرٍ وقد خبأْتُ لك خَبئاً أختبرك به فانظر ما هو ؟ قال : ثَمَرةٌ في كَمَرة[2] . قال : إني أُريد أبيَنَ من هذا . قال : حَبَّة بُرّ في إحليل مُهر . قال : صَدَقتَ ؛ أنظُرْ في أمر هؤلاء النسوة . فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول : انهضي، حتى دنا من هند فقال لها : انهضي غير رَسحاء[3] ولا زانية، ولَتلِدنَّ مَلِكاً يقال له مُعاوية . فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها؛ فنثرتْ يدَها من يده وقالت : إليكَ عنّي ! فوالله لَأحرِصُ أن يكون ذلك من غيرك ؛ فتزوّجها أبو سُفيان .

وقد قيل : إنّ بيتيْ مسافر بن أبي عمرو أعني :

ألا إنّ هنداً أصبحت منك محرما

لابن عَجلان .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثني عبد الله بن عليّ بن الحسن عن أبي نَصر عن الأصمعيّ عن عبد الله بن أبي سَلَمة عن أيُّوبَ عن ابن سِيرِين قال :

خرج عبد الله بن العَجلان في الجاهليَّة فقال :

ألا إنّ هنداً أصبحت منك مَحرَما وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا
فأصبحتَ كالمقمورِ جَفْنَ سلاحِه يُقلِّب بالكَفَّين قوساً وأسهُما

(١) أدلى الفرس وغيره : أخرج جرذانه ليبول أو يضرب .

(٢) الكمرة : رأس الذكر .

(٣) الرسح : خفة العجيزة ولصوقها .

ثم مدّ بهما صوته فمات . قال ابن سيرين : فما سمعتُ أن احداً مات عشقاً غير هذا. ومما يغنّى فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيّد شعره قوله يفتخر :

صوت

ألم تَسقِ الحَجيجَ ونَنحَرِ المِذلاقةَ[1] الرُّفدا
وزمزمُ من أُرومتنا ونفقأُ عينَ مَن حَسَدا
وإنّ مناقبَ الخيرا ت لم تُسبَق بها عددا
فإن نَهلِكْ فلم نَملك وهل من خالدٍ خَلَدا

غنّاه ابن سُرَيج رملًا بالخنصر في مجرى البنصر عن اسحاق . وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى من رواية حمّاد . وفيه للزَّفّ ثقيل بالوسطى .

(١) المذلاقة : يريد بها النوق السريعة السير . والرفد : جمع رفود وهي التي تملأ الرفد من النوق في حلبة واحدة .

خبر عمارة بن الوليد والسبب الذى من أجله

أمر النجاشيُّ السواحرَ فسحرته

فإن الواقديّ ذكره عن عبد الله بن جعفر بن أبي عَون قال :

كان عُمارة بن الوليد المخزوميّ بعد ما مشتْ قُرَيش بعُمارة الى أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السَّهميّ ، وكان كلاهما تاجرين ، الى النجاشيّ ، وكانت أرض الحبشة لقرَيش مَتجراً ووجهاً ، وكلاهما مُشركٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما في جاهليَّتهما ؛ وكان عُمارة مُعجباً بالنساء صاحبَ محادثة ؛ فركبا في السفينة ليالِيَ فأصابا من خمر معهما . فلما انتشى عُمارةُ قال لامرأة عمرو بن العاص : قَبِّليني . فقال لها عمرو : قبّلي ابنَ عمك فقبَّلته . وحذِر عمرو على زوجته فرَصدها ورصدته ، فجعل اذا شرِب معه أقلّ عمرٌو من الشراب وأَرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ ان يسكَر فيغلبه عُمارةُ على أهله . وجعل عمارة يُراودها على نفسها فامتنعتْ منه . ثم إن عمراً جلس الى ناحية السفينة يبول ؛ فدفعه عُمارة في البحر . فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بالقَلْس[1] فارتفع فظهر على السفينة . فقال له عمارة : أَمَا والله لو علمتُ يا عمرو أنك تُحسن السباحة ما فعلتُ . فاضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله . فمضيا على وجههما ذلك حتى قدِما أرض الحبشة ونزلاها . وكتب عمرو بن العاص الى أبيه العاص أنِ اخلَعْني وتبرَّأ من جَريرتي الى بني المُغيرة وجميع بني مخزوم . وذلك أنه خشي على أبيه أن يُتبَع بجريرته وهو يَرصُد لعمارة ما يرصد . فلما ورد الكتابُ على العاص

(١) القلس : حبل غليظ من حبال السفن .

ابن وائل مشى في رجال من قومه منهم نُبَيه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج الى بني المغيرة وغيرهم من بني مخزوم فقال: إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شرّ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندري ما يكون. وإني أبرأ اليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتُه. فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم: أنت تخاف عمراً على عمارة! وقد خلعنا نحن عُمارةَ وتبرّأنا اليك من جريرته، فخلِّ بين الرجلين. فقال السَّهميون[1]: قد قبِلنا، فابعثوا منادياً بمكة أنّا قد خلعناهما. وتبرّأ كلُّ قوم من صاحبهم ومما جرّ عليهم، فبعثوا منادياً ينادي بمكة بذلك. فقال الأسود بن المطّلب: بَطَل والله دمُ عُمارة بن الوليد آخر الدهر! فلما اطمأنّا بأرض الحبشة لم يلبَث عُمارة أن دبّ لامرأة النجاشيّ فأدخلته فاختلف اليها. فجعل اذا رجع من مَدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره. فجعل عمرو يقول: ما أُصدِّقك أنّك قدَرتَ على هذا الشأن، إنّ المرأة أرفع من ذلك. فلما أكثر على عمرو مما كان يُخبره، وقد كان صدّقه ولكن أحبّ التثبُّت، وكان عمارة يغيب عنه حتى يأتيَه في السَّحَر، وكان في منزلٍ واحد معه؛ وجعل عمارة يدعوه الى ان يشرب معه فيأبى عمرو ويقول: إن هذا يشغلك عن مَدخلك، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دَفعَه إن هو رفعه الى النجاشيّ. فقال له في بعض ما يذكُر له من أمرها: إن كنتَ صادقاً فقل لها تَدهنك من دُهن النجاشيّ الذي لا يَدَّهِنُ به غيرُه فإني أعرفه، لو أتيتني به لصدَّقتك. ففعل عمارة فجاء بقارورة من دُهنه؛ فلمّا شمَّه عرَفه. فقال له عمرو عند ذلك: أنت صادقٌ! لقد أصبتَ شيئاً ما أصاب أحدٌ مثلَه قطُّ من العرب ونلتَ من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا — وكانوا أهلَ جاهليَّة — ثم سكت عنه؛ حتى اذا اطمأنّ دخل على النجاشيّ فقال: أيها الملك! إن ابن عمي سفيهٌ، وقد خشِيتُ أن يَعُرّني[2] عندك

---

(١) السهميون: قوم عمرو بن العاص، وبنو سهم من هصيص بن كعب بن لؤي.

(٢) عره: لطخه بعيب.

أمرُه ، وقد أردتُ أن أُعلِمك شأنه . ولم أفعل حتى استثبتُ أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر . وهذا من دُهنك قد أُعطِيَه ودَهنني منه . فلما شمّ النجاشيُ الدُّهن قال : صدَقتَ ، هذا دُهني الذي لا يكون إلّا عند نسائي . ثم دعا بعُمارةَ ودعا بالسواحر ، فجرّدوه من ثيابه فنفَخْن في إحليله ، ثم خلّى سبيله فخرج هارباً فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافةُ عمرَ بن الخطّاب . فخرج اليه عبد الله بن أبي ربيعة — وكان اسمه قبل ان يسلم بَحيراً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله — فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يَرِدُه مع الوحش ، فورد ؛ فلما وجد ريحَ الإنس هرَب ؛ حتى إذا أجهده العطشُ ورَد فشرب حتى تملّأ ، وخرجوا في طلبه . فقال عبد الله بن أبي ربيعة : فسعيت اليه فالتزمته ، فجعل يقول لي : يا بُجيرُ أرسلني ! يا بَجيري أرسلني ! إني أموت إن أمسكتموني . قال عبد الله : وضغطتُه فمات في يدي مكانَه . فواراه ثم انصرف . وكان شعره قد غطّى على كل شيء منه .

قال الواقديّ عن ابن أبي الزّناد : وقال عمرو لعُمارة : يا فائد ، إن كنتَ تحبّ أن أُصدِّقك بهذا أو أقبله منك فأتني بثوبين أصفرين . فلمّا رأى النجاشيّ الثوبين قال له عمرو : أتعرف الثوبين ؟ قال نعم .

وقال الواقديّ عن ابن أبي الزّناد عن أبيه ، قال النجاشيّ لعُمارة : إني أكره أن أقتل قُرَيشيًا ، ولو قتلتُ قرشيًا لقتلتك ، فدعا بالسواحر .

فقال عمرو بن العاص يذكر عُمارة وما صنع به — قال الواقديّ أخبرني ابن أبي الزّناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شُعَيب بن عبد الله بن عمرو يذكره لجدّه — :

تعلَّمْ عُمارَ أنّ من شرّ شِيمة ... لمثلِك أن يُدعَى ابنُ عَمٍّ له ابْنَما
وإن كنتَ ذا بُرْدَينِ أحوَى مُرَجَّلًا ... فلستَ براعٍ لابن عَمِّك مَحرَمَا
إذا المرءُ لم يترك طعاماً يُحِبُّه ... ولم يَنْهَ قلباً غاوياً حيث يَمَّما

قضى وَطَراً منه يسيراً وأصبحتْ ... اذا ذُكِرتْ أمثالُها تملأ الفما
فليس الفتى ولو أَتَمّتْ عروقُه ... بذي كرمٍ إلّا بأن يَتكرّما
صَحِبتُ من الأمر الرفيق طريقه ... وولّيتُ غيَّ الأمرِ مَن قد تَلَوّما
مِن الآن فانزِع عن مَطاعِمَ جَمّةٍ ... وعالِجْ أمورَ المجد لا تَتَندّما

قال اسحاق وحدثني الأصمعيّ : أنّ خَولة بنتَ ثابت أُختَ حسّان قالت في عمارة لمّا سُجِر :

يا ليلتي لم أَنَمْ ولم أكَدِ ... أَقطَعُها بالبكاء والسَّهَدِ
أبكي على فِتيةٍ رُزِئتُهمُ ... كانوا جِبالي فأوهنوا عَضُدِي
كانوا جمالي ونُصرتي وبهم ... أَمنَع ضَيمي وكلّ مُضطَهِدِ
فبعدَهم أرقُب النجومَ وأُذ ... ري الدمعَ والحزنُ والجٌ كَبِدِي

قال الأصمعيّ واجتاز ابنُ سريج بطُوَيس ومعه فِتيةٌ من قريش وهو يغنّيهم في هذا الصوت ، فوقف حتى سمعه ، ثم أقبل عليهم فقال : هذا والله سيّد مَن غنّاه :

هذه الأصوات التي ذكرتُها الجامعةُ للنَّغم العَشرِ والثاني النَّغم منها هي المشهورة المعروفة عند الرُّواة وفي روايات الرُّواة وعند المغنّين .

كان عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر يراسل المعتضد بالله اذا استزار جواريَه على ألسنتهنّ ومع ذوي الأنس عنده من رُسله : مع احمد بن الطَّيِّب وثابت بن قُرّة الطائي ، يذكر النَّغم وتفصيلَ مَجاريها ومعانيها حتى فَهِم ذلك . فصنع لحنًا لجميع النغم العشر في قول دُرَيد بن الصِّمّة :

يا ليتني فيها جَذَعْ ... أَخُبُّ فيها وأَضَعْ

(١) أتمت عروقه : بلغت تمامها في الكرم .

كان المكتفي يراسله في الغناء :

وصنع صنعةً مُتقنة جيّدة ، منها ما سمعناه من المُحسنين والمُحسنات ومنها ما لم نسمعه ، يكون مبلغُها نحوَ خمسين صوتاً . وقد ذكرتُ من ذلك ما صلح في أغاني الخلفاء . ثم صنع مثل ذلك للمكتفي بالله لرغبته في هذه الصناعة . فوجدتُ رقعةً بخطه كتب بها الى المكتفي نسختُها : « قال إسحاقُ بن إبراهيم حين صاغ عند أَبي العباس عبد الله بن طاهر بأمره لحنَه في :

يومَ تُبدي لنا قُتَيلةُ عن جِيدٍ تليعٍ[1] تَزينه الأطواقُ
وشَتيتٍ كالأقحُوانِ جَلاه الطَّلُّ فيه عُذوبةٌ واتّساقُ

إني نظرتُ مع إبراهيم وتصفَّحتُ غناءَ العرب كلَّه ، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من :

عادَكَ الهمُّ ليلةَ الإيجافِ[2] من غزالٍ مُخَضَّبِ الأطرافِ

ولحنه خفيفُ ثقيلٍ لابن مُحرز ؛ فإن إيقاعه ستة وخمسون دَوراً . ثم لحن مَعبَد :

هُرَيرةَ وَدِّعها وإن لامَ لائمُ غداةَ غدٍ أم أنتَ للبَيْنِ واجمُ

وهو أحد سبعته . ولحنه خفيفُ ثقيلٍ ، ودَوْر إيقاعه ستةٌ وخمسون دَوراً ، إلا أَن صوت ابن مُحرز سُداسيٌّ في العَروض من الخفيف ، وصوتَ مَعبَد ثُمانيٌّ من الطويل ؛ فصوتُ ابن محرز أعجبُ لأنه أَقصر . وما زلنا حتى تهيَّأ لنا شعرٌ رُباعيٌّ في سيّدنا أميرِ المؤمنين أَطال الله بقاءه ، دَورُ ايقاعه ستَّة وخمسون دوراً ، وهو يجمع من النغم العَشْرِ ثمانياً ؛ وهذا ظريف جِدًّا بديع لم يكن مثلُه . وأَمَّا الصوت الذي في تهنئة النَّوْروز فلأنفسنا عملناه ، إذ لم يكن لنا مَن يدبّر مثلُ

---

(١) تليع : طويل .

(٢) الايجاف : سرعة السير .

هذا معه غيرُه . وقد كتبنا شعره وشعر الآخر ، وإيقاعُ كلّ واحد منهما خفيفُ ثقيل ، والصنعةُ فيهما تُستَظرَف :

جُمِع الخلائفُ كلّهم لجميع ما بلَغوا وأعطوا في الإمام المكتفي
وله الهدايا ألفُ نَوْرُوزٍ وهذا الشعرُ منها لحنُه لم يُعرَفِ

والآخر :

دولةُ المكتفي الخليفةِ تُفني مَدَى الدُّوَلْ
يومُ عِيدٍ ويومُ عُرْ سٍ فما بعدَها أَمَلْ

الصنعة في البيت الأوّل خاصّةً تدور على ستة وخمسين إيقاعاً » .

هكذا وجدت في الرقعة بخط عُبيد الله . وما سمعتُ أحداً يغنّي هذين الصوتين . وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدّمين ومن مغنّيات القصور فما عرَفهما أحدٌ منهن . وذكرتهما في الكتاب لأن شريطته تُوجب ذكرهما .

الارمال الثلاثة المختارة

أَخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن خَلَف وكيع والحُسين بن يحيى قالوا حدثنا حمَّاد بن إسحاق قال حدثني أَبي، قال أَبو أَحمد رحمه الله وأَخبرني أَبي ايضاً عن إسحاق، وأخبرنا عليّ بن عبد العزيز قال حدثنا عُبيد الله بن خُرداذبه قال قال إسحاق: أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رَمَلٍ غُنّي رَمَلُ:

فلم أَرَ كالتَّجميرِ مَنظَرَ ناظر

ثم رملُ:

أفاطمُ مَهلًا بعضَ هذا التدلّلِ

ولو عاش ابنُ سُرَيج حتى يسمع لحني الرملَ:

لعلَّكَ إن طالت حياتُك أَن تَرَى

لاَستحيا أن يصنع بعده شيئاً. وفي روايتَيْ وكيع وعليِّ بن يحيى «ولعلم أني نعم الشاهد له».

نسبة الأصوات وأخبارها

صوت

فلم أَرَ كالتَّجمـير منظرَ ناظرٍ ولا كليالي الحجّ أَفلَتْنَ ذا هوَى

فكم من قتيلٍ ما يُباءُ به دمٌ ومن غَلِقٍ رهناً اذا لفَّه مِنَى
ومن مالئٍ عينيه من شيءِ غيره اذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمى
يُسحِّبْنَ أذيالَ المُروطِ بأسوُقٍ[1] خِدَالٍ وأعجازٍ مآكِمُها[2] رِوَا

عروضه من الطويل . الشعر لعمرَ بنِ أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر . وقد كان عَلّويه فيما بلغنا صنَع فيه رملًا ، وفي « أفاطم مهلًا » خفيفَ رملٍ ، وفي « لعلّك إن طالت حياتُك » رملًا آخر ، ولم يصنع شيئاً وسقطت ألحانُه فيها فما تكاد تُعرف . وهذه الأبيات يقولها عمرُ بن أبي ربيعة في بنت مَروان ابن الحَكَم .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا ابن كُناسة عن أبي بكر بن عَيّاش قال :

حجَّت أمُّ عمرو بنتُ مروان ، فلما قضتْ نُسُكها أتت عمرَ بن أبي ربيعة وقد أخفتْ نفسها في نساءٍ معها ، فحادثته ثم انصرفت ، وعادت اليه مُنصَرَفها من عرفات وقد أثبتها . فقالت له : لا تذكُرني في شعرك ، وبعثت اليه بألف دينار . فقبِلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطِيباً فأهداه اليها فردّته . فقال : إذاً واللهِ أُنهبه الناسَ فيكونُ مشهوراً ؛ فقبلتْه . وقال فيها :

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابتكارا قد قضى من تِهامةَ الأوطارَا
مَن يكن قلبُه الغداةَ خليًّا ففؤادي بالخَيفِ أمسى مُطارَا
ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلَّ يومين حِجَّة واعتمارَا

قال ابن كُناسة قال ابن عيّاش : فلما وَجّهت منصرفةً قال فيها :

---

(١) الأسوُق : جمع ساق . والخدال : الممتلئة .

(٢) المأكمة : العجيزة .

فكم من قتيلٍ ما يُباءُ به دمُ ومن غَلِقٍ رهناً إذا لفَّه مِنَى

قال : ويُروى « ومن غَلِقٍ رهنٍ » كأنه قال ومن رهنٍ غلِقٍ ؛ لا يُجعل من نعت الرهن . كأنه جعل الإنسان غَلِقاً وجعله رَهناً ؛ كما يقال : كم من عاشقٍ مُدنَف ، ومن كَلِفٍ صَبٍّ .

قال الزُّبير وحدثني مُسلم بن عبد الله بن مُسلم بن جُندب عن أبيه قال : أنشده ابنُ أبي عَتيق فقال : إن في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمَّال .

قال : وقال عبد الله بن عمر ، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعرَه هذا : يابن أخي ! أما اتَّقيتَ اللهَ حيث تقول :

ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلَّ يومين حِجَّةً واعتارَا

فقال له عمر بن أبي ربيعة : بأبي أنت وأمي ! إني وضعت لَيْتاً حيث لا تُغني .

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه ، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكَّار قال حدثنا مُصعب بن عثمان :

أنّ عمر بن عبد العزيز لمَّا وليَ الخلافةَ لم تكن له همةٌ إلا عمرَ بنَ أبي ربيعة والأحوصَ . فكتب الى عامله على المدينة : « قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشرّ . فإذا أتاك كتابي هذا فاشدُدهما واحملهما إليّ » . فلما أتاه الكتاب حملهما اليه . فأقبل على عمر فقال له هِيه !

فلم أرَ كالتَّجميرِ منظرَ ناظرٍ ولا كليالي الحجّ أفلَتْنَ ذا هوَى
وكم مالئٍ عينيه من شيءٍ غيرِه إذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمى

فإذا لم يُفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يُفلتون ! أما والله لو اهتممتَ بأمر

حجّك لم تنظر الى شيءٍ غيرك ! ثم أمر بنفيه . فقال : يا أمير المؤمنين ، أوَ خيرٌ من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أعاهد الله ألّا أعود الى مثل هذا الشعر ولا أذكر النساء في شعرٍ أبداً وأجدّد توبةً على يديك . قال : أوَ تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبةٍ وخلّاه . ثم دعا بالأحوص فقال هيه !

اللهُ بيني وبين قَيِّمها يهرُب منّي بها وأَتّبعُ

بل اللهُ بين قيّمها وبينك ! ثم أمر بنفيه الى بِيش[1] ، وقيل الى دَهلَك وهو الصحيح ، فنُفي اليها ، فلم يزل بها . فرحل الى عمر عدّةٌ من الأنصار فكلّموه في أمره وسألوه أن يُقدِمه وقالوا له : قد عرفتَ نسبه وقِدَمه وموضعه وقد أُخرج الى بلاد الشرك ، فنطلب اليك أن تردّه الى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه . فقال لهم عمر : مَنِ الذي يقول :

فما هو إلا أن أَراها فُجاءةً فأُبهَتَ حتى ما أكاد أُحيرُ

— وفي رواية الزبير « أُجيب » مكان « أُحير » — قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول :

أدُورُ ولولا أن أَرى أُمَّ جَعفرٍ بأبياتكم ما دُرتُ حيث أَدورُ
وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يَزُر لا بدّ أن سيزور

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول :

كأنّ لُبنى صَبِيرٌ[2] غاديةٍ أو دُميةٌ زُيّنت بها البِيَعُ
اللهُ بيني وبين قَيِّمها يهرُب منّي بها وأَتّبعُ

---

(١) بيش : بلد باليمن قرب دهلك . ودهلك جزيرة في بحر اليمن .

(٢) الصبير : السحابة البيضاء .

قالوا : الأحوص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول، والله لا أردّه ما كان لي سلطان . فمكث هناك بعد ولاية عمر صدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلّاه . قال : وكتب الى عمر بن عبد العزيز من موضعه — قال الزبير : أنشدنيها عبد الملك ابن عبد العزيز ابن بنت الماجِشُون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات — :

أَيا راكباً إمّا عَرَضتَ فبلِّغن ... هُديتَ أميرَ المؤمنين رسائلي
وقُلْ لأبي حفصٍ إذا ما لَقِيتَه ... لقد كنتَ نفّاعاً قليلَ الغوائل
أَفي اللهِ أن تُدنُوا ابنَ حزم وتقطَعوا ... قُوى حُرُماتٍ بيننا ووصائل [1]
فكيف ترى للعيش طِيباً ولَذّةً ... وخالُك أمسى مُوثَقاً في الحبائل
وما طمِع الخَزْميُّ في الجاه قبلها ... الى أحدٍ من آل مَروان عادِل
وشى وأطاعوه بنا وأعانَه ... على أمرنا مَن ليس عنّا بغافِل
وكنتُ أَرى أنّ القرابة لم تَدَع ... ولا الحُرُماتِ في العصور الأوائل
الى أحدٍ من آل مَروان ذي حِجىً ... بأمرٍ كرهناه مقالًا لقائل
يُسَرّ بما أنهى العدوُّ وإنه ... كنافلةٍ لي من خِيار النوافل
فهل يَنقُصَنّي القوم أن كنتُ مُسلِماً ... بريئاً بلائي في ليالٍ قلائل
أَلا ربَّ مسرورٍ بنا سيَغيظه ... لدى غِبّ أمرٍ عضُّه بالأنامل
رَجا الصُّلحَ منّي آلُ حَزْمِ بن فَرتَنى ... على دِينهم جهلًا ولستُ بفاعل
أَلا قد يُرَجُّون الهوانَ فإنهم ... بنو حَبَقٍ [2] ناء عن الخير فائل
على حينَ حَلّ القول بي وتنظَّرت ... عقوبتَهم منّي رؤوسُ القبائل
فمَن يك أمسى سائلًا بشماتةٍ ... بما حلَّ بي أو شامتاً غيرَ سائل

(١) الوصائل : جمع وصيلة، وهي ما يوصل به الشيء .

(٢) الحبق : الضراط .

فقد عَجمتْ منّي العواجمُ ماجداً صبوراً على عضّات تلك التلاتِلِ[1]
إذا نال لم يَفرَحْ وليس لنَكبةٍ إذا حدثتْ بالخاضع المتضائل

قال الزبير : وقال الأحوص ايضاً :

هَلَ أنت أميرَ المؤمنين فإنني بودّك من ودِّ العباد لقانعُ
متيّمُ أجرٍ قد مضى وصنيعةٍ لكم عندنا أو ما تُعدّ الصنائع
فكم من عدوٍّ سائل ذي كَشاحةٍ ومنتظرٍ بالغيب ما أنت صانع

فلم يُغن عنه ذلك ولم يُخلِ سبيله عمرُ؛ حتى ولِي يزيدُ بن عبد الملك فأقدمه وقد غنّته حَبابةُ بصوت في شعره .

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبّة قال قال هشام بن حَسّان :

كان السبب في ردّ يزيد بن عبد الملك الأحوصَ أن جميلة غنّته يوماً :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذي أقرّت له بالملك كَهلاً وأمرَدا

فطرِب يزيد وقال : وَيحكِ ! مَن كريمُ قريشٍ هذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين، ومَن عَسى أن يكون ذلك غيرَك ! قال : ومَن قائلُ هذا الشعر فيّ ؟ قالت : الأحوص وهو منفيّ . فكتب بردّه وحَمْلِه اليه وأنفذ اليه صِلاتٍ سنيّة . فلمّا قدِم اليه أدناه وقرّبه وأكرمه . وقال له يوماً في مجلس حافل : والله لو لم تَمُتّ الينا بحقّ ولا صِهرٍ ولا رَحِمٍ إلّا بقولك :

وإني لأستحييكمُ أن يقودَني الى غيركم من سائر الناس مَطمَعُ

لكفاك ذلك عندنا . قال : ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات . وأخبار

---

(١) التلاتل : الشدائد .

الأحوص في هذا السبب وغيره قد مضت مشروحةً في اول ما مضى من ذكره وأخباره؛ لأن الغرض هاهنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللذين أنكرهما عليهما عمرُ بن عبد العزيز وأشخصا من أجلهما.

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أحمد بن زُهير قال: قال مصعب بن عبد الله قال:

حجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فأرسل الى عمرَ بن أبي ربيعة فقال له: ألستَ القائل:

فكم من قتيلٍ ما يُباء به دمٌ ومن غَلِقٍ رهناً اذا لقَّه مِنَى
ومن مالئٍ عينيه من شيء غيره إذا راح نحوَ الجمرة البيضُ كالدُّمى
يسحِّبن أذيالَ المُروط بأسوقٍ خِدالٍ وأعجاز مآكمُها رِوا
أوانسُ يسلُبن الحليم فؤادَه فيا طُول ما شوقٍ ويا طول مُجتلى

قال نعم. قال: لا جرم والله لا تحضُر الحجَّ العامَ مع الناس! فأخرجه الى الطائف.

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي حدثني ابنُ الكَلْبيّ عن أبي مسكين وعن صالح بن حسّان قال:

قدِم ابنُ أبي عَتيق الى مكة فسمع غناء ابن سُرَيج:

فلم أر كالتجمير مَنظرَ ناظرٍ ولا كليالي الحجِّ أفلتَ ذا هوى

فقال: ما سمعت كاليوم قطُّ، وما كنت أحسَب أن مثل هذا بمكة، وأمر له بمال وحدَره معه الى المدينة، وقال: لأصغِّرنَّ الى مَعبَد نفسه ولأُهدينّ الى المدينة شيئاً لم ير أهلها مثلَه حسناً وظَرفاً وطيب مجلس ودماثة خُلق ورقّة منظر ومِقَة[1]

(١) المقة: المحبة.

عند كل أحد . فقدِم به المدينةَ وجمع بينه وبين معبد . فقال لابن سُريج : ما تقول فيه ؟ قال : إن عاش كان مغنّي بلاده .

وقال إسحاق وحدثني المدائني عن جرير قال : قال لي أبو السائب يوماً : ما معك من مُرقِصات ابن سريج ؟ فغنّيته :

فلم أر كالتجمير منظرَ ناظر

فقال : كما أنت حتى أتحرّم لهذا بركعتين .

حدثني الحسين قال قال حمّاد قرأت على أبي وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال :

كتب الوليد بن عبد الملك الى عامل مكة أن أشخِص اليّ ابنَ سُريج . فورد الرسول الى الوالي، فمرّ في بعض طريقه على ابن سُرَيج وهو جالس بين قَرنَيْ بئرٍ وهو يغنّي :

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

فقال له الرسول : تالله ما رأيتُ كاليوم قطُّ ولا رأيت أحمقَ ممن يتركك ويبعث الى غيرك . فقال له ابن سُريج : أمَا والله ما هو بقَدَمٍ ولا ساق ، ولكنه بقِسَمٍ وأرزاق . ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب، وبعث الوالي الى ابن سُريج فأحضره . فلما رآه الرسول قال : قد عجبت أن يكون المطلوبُ غيرَك .

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني عمي قال رَقِيَ عبد الله بن الزبير أبا قُبَيس[1] ليلًا، فسمع غناءً فنزل هو وأصحابه يتعجّبون

(١) أبو قبيس : جبل بمكة .

وقال : لقد سمعت صوتاً إن كان من الإنس إنه لعجب ، وإن كان من الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً . فاتّبعوا الصوت فإذا ابن سُرَيج يتغنى في شعر عمر :

فلم أر كالتجميرِ منظر ناظر

ومن هذه الأرمال الثلاثة :

صوت

أفاطمُ مهلًا بعضَ هـذا التدلُّلِ ... وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي
أغرَّكِ منّي أنّ حبَّـكِ قاتلي ... وأنّك مهما تأمري القلبَ يفعلِ

الشعر لامرئ القيس . والغناء في هذين البيتين من الرمـل المختار لإسحاق بالبنصر . وفي هذين البيتين مع أبيات أُخر من هذه القصيدة ألحانٌ شتى لجماعـة نذكرها هاهنا ومن غنى فيها ، ثم نُتبِع ما يُحتاج الى ذكره منها ، وقد يُجمع سائر ما يغنّى فيه من القصيدة معه .

قِفا نَبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بِسقطِ اللِّوى بين الدَّخول فحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمِقراةِ لم يعف رسمُها ... لِما نَسَجتْها من جَنُوبٍ وشَمأَلِ
أفاطمُ مَهلًا بعض هـذا التدلُّلِ ... وإن كنتِ قدأزمعتِ صرمي فأجمِلي
وإن كنتِ قد ساءتكِ منّي خَليقةٌ ... فسُلّي ثيابي من ثيابك تَنسُلِ
أغرَّكِ منّي أنّ حُبَّـك قاتلي ... وأنّكِ مهما تأمُري القلبَ يفعلِ
وما ذَرَفتْ عيناكِ إلّا لتضربي ... بسَهمَيكِ في أعشار قلبٍ مُقتَّلِ
تسلَّتْ عَمايَاتُ الرجالِ عن الصِّبا ... وليس فؤادي عن هواكِ بمُنسَلِ
ألَا أيّها الليلُ الطويل ألَا انجلِ ... بصبح وما الإصباحُ فيك بأمثَلِ
وبَيضةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤهـا ... تمتَّعتُ من لهوٍ بها غـيرَ مُعجَلِ
تجاوزتُ أحراساً اليهـا ومَعشَراً ... عليَّ حِراصاً لو يُسِرُّون مَقتَـلي

أَلا ربَّ يوم صالح لـك منهما ولاسيما يومٌ بدارةِ جُلجُـلِ
ويوم عقَـرتُ للعَذارى مطيَّتي فواعَجبي من رَحلِهـا المتحمَّل
وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتها بمنجَرِدٍ قَيدِ الأوابدِ هَيكل
مِكَرٍّ مِفرٍّ مُقبِـلٍ مُدبِرٍ معاً كجُلمود صخرٍ حطَّه السيلُ من عَل
فقلت لها سِيري وأرخي زِمامَـه ولا تُبعدينا من جَناكِ المُعلّل

عروضه من الطويل . وسِقط اللِّوى مُنقطَعه . واللِّوى : المستدقّ من الرمل حيث يستدق فيخرج منه الى اللِّوى . والدَّخول وحَومَلٌ وتُوضِحُ والمِقراة : مواضع ما بين إمَّرَة الى أسود العين . وقال أبو عبيدة في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار سَقْط وسُقْط وسِقْط ثلاث لغات . وقال أبو زيد : اللوى : أرض تكون بين الحَزْن والرمل فصلًا بينهما . قال الأصمعيّ : قوله « بين الدَّخول فحومل » خطأ ولا يجوز إلا بواو « وحومل » ؛ لانه لا يجوز أن يقال : رأيت فلاناً بين زيد فعمرو ، إنما يقال وعمرٍو ؛ ويقال : رأيتَ زيداً فعمراً إذا رأى كلَّ واحد منهما بعد صاحبه . وقال غيره : يجوز « فحومل » كما يقال : مُطِرْنا بين الكوفة فالبصرة ، كأنه قال : من الكوفة الى البصرة ، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين ؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو . ويَعفُ رُسمها : يدرُسْ . ونسجتْها : ضربتها مقبلة ومدبرة فعفتها . يعني ان الجنوب تعفي هذا الرسم إذا هبَّت وتجيء الشمأل فتكشفه . وقال غير أبي عُبيدة : المِقراة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يُجمع فيه الماء . والرسم : الأثر الذي لا شخص له . ويروى « لما نسجته » يعني الرسم . ويقال عَفَا يعفو عُفُوًّا وعَفاءً ؛ قال الشاعر :

على آثار مَن ذهب العَفاء

يعني محو الأثر . وفاطمة التي خاطبها فقال « أفاطم مهلًا » بنت العُبَيد بن ثَعلَبة بن عامر بن عوف بنِ كنانة بن عَوف بن عُذرة ، وهي التي يقول فيها :

---

(١) إمّرة : منزل في طريق مكة ، أسود العين : جبل بنجد يشرف على طريق البصرة الى مكة .

لا وأبيك ابنة العامريّ

« وأزمعت صُرمي » ، يقال أزمعت وأجمعت وعزمت وكله سواء . يقول : إن كنتِ عزمتِ على الهجر فأجملي . ويقول الأسير : أجملوا في قتلي ، قتلةً أحسنَ من هذه ، أي على رفق وجميل . والصُّرْم : القطيعة ، والصَّرم المصدر ؛ يقال : صرمته أصرِمه صَرماً مفتوحٌ إذا قطعته ، ومنه سيف صارم أي قاطع ، ومنه الصِّرام ، ومنه الصرائم وهي القطع من الرمل تنقطع من معظمه . وقوله : « سُلِّي ثيابي من ثيابك » كنايةٌ ، أي اقطعي أمري من أمرك . وقوله تَنسُلِ : تَبِنْ عنها . ويقال للسنّ اذا بانت فسقطتْ والنَّصلِ اذا سقط : نَسَل ينسُل ، وهو النسيل والنُّسَال . وقال قوم : الثياب : القلب . وقوله : « وما ذرفت عيناك » أي ما بكيتِ إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مُقتَّل . قال الأصمعيّ : يعني أنك ما بكيت إلا لتخرقي قلباً مُعَشَّراً ، أي مُكَسَّراً ؛ شبهه بالبُرْمَة اذا كانت قِطَعاً ، ويقال : برمةٌ أعشار . قال : ولم أسمع للأعشار واحداً . يقول : لتضربي بسهميك أي بعينيك فتجعلي قلبي مخرَّقاً فاسداً كما يُخرّق الجابر أعشار البرمة ؛ فالبرمة تنجبر اذا أخرقت وأصلحت ، والقلب لا ينجبر . قال : ومثله قوله :

رمتْك ابنةُ البكريِّ عن فرع ضالةٍ

أي نظرتْ اليك فأقرحت قلبك . وقال غير الأصمعيّ وهو قول الكوفيين : إنما هذا مثل أعشار الجَزُور ، وهي تنقسم على عشرة أنصِباء ، فضربتِ فيها بسهميك المُعلَّى وله سبعة أنصِباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء ؛ فأراد أنها ذهبت بقلبه كلّه . مقتَّل أي مذلَّل ؛ يقال بعير مقتَّل أي مذلَّل . تسلّت : ذهبت . يقال : سلوت عنه وسَلِيتُ إذا طابت نفسُك بتركه . قال رؤبة :

لو أشرب السُّلْوانَ ما سَلِيتُ

والعَمايات : والجَهالات . عدّ الجهل عمى . والصِّبا : اللعب . قال ابن السِّكّيت :

صَبَا يصبُو صَبواً وصُبُوًّا وصَباءً وصِباً. انجلِ: انكشِف. والأمر الجليّ: المنكشف. وقوله: أنا ابنُ جَلَا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور؛ ومنه جِلاء العروس وجِلاء السيف. وقوله «فيك بأمثل» يقول: إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل؛ لان الصبح قد يجيء والليل مظلم بعدُ. يقول: ليس الصبح بأمثل وهو فيك، أي يريد أن يجيء منكشفاً منجلياً لا سواد فيه. ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال: منك بأمثلِ. ومثله قول حُميد بن ثَوْر في ذكر مجيء الصبح والليل باق:

فلما تجلَّى الصبح عنها وأبصرتْ وفي غَبَش الليل الشخوصُ الأباعدُ

غبش الليل: بقيَّته. هذا قول يعقوب بن السِّكِّيت. «وبيضةِ خِدْر» شبّه المرأة بالبيضة لصفائها ورقّتها. «غير مُعجَل» أي لم يُعجلني أحدٌ عما أريده منها. والخِباء: ما كان على عمودين أو ثلاثة. والبيت: ما كان على ستة أعمدة الى تسعة. والخيمة: من الشَّعَر. وقوله: «يُسِرُّون مقتلي»، قال الأصمعيُّ: يُسِرُّونه؛ وروى غيره: يُشِرُّون بالشين المعجمة أي يظهرونه. وقال الشاعر:

فما برِحوا حتى أتى اللهُ نصرَه وحتى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ الأصابع

أي أظهِرتْ. وقال غيرهما: لو يُسِرّونه: من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسرّوه من الناس وقتلوني. قال أبو عُبيدة: «دارة جُلجُلِ» في الحِمى؛ وقال ابن الكلبيّ: هي عند عين كِندة. ويروى سِيَما مخفَّفةً وسِيَّما مشدّدةً. ويقال: رُبَّ رجل ورُبْ رجل وربَّت رجل. ومن القرّاء من يقرأ (رُبَمَا يَوَدُّ الذين كَفَرُوا) مخفَّفة. وقرأ عليه رجل «رُبَّمَا» فقال له: أظنُّك يُعجبكَ الرُّبّ[1].

ويروى:

فيا عجبا من رحلها المُتحَمَّل

(١) الرب: ما يطبخ من التمر.

أي يا عجبا لسفهي وشبابي يومئذٍ . ويروى :

وقد أغتدي والطير في وَكَراتها

بالراء . قال أبو عبيدة : والأُكُنات في الجبال كالتَّماريد[1] في السهل ، والواحدة أُكُنة وهي الوُقُنات ، والواحدة أقنَة ، وقد قيل وَقَن يَقِن . وقال الأصمعيّ : إذا أَوَى الطيرُ الى وَكْره قيل وَكَرَ يكِر وَوَكنَ يَكِنُ ، ويقال : إنه جاءنا والطير وُكَّنٌ ما خرجن . والمنجرد : القصير الشَّعَرةِ ، وذلك من العِتق . والأوابد : الوحش ، وتأبّدت : توحّشت ، وتأبّد الموضع إذا توحّش . وقيد الأوابد : يعني الفرس . يقول : هو قيدٌ لها لأنها لا تفوته كأنّها مقيَّدة . والهيكل : العظيم من الخيل ومن الشجر ؛ ومنه سمي بيت النصارى الهيكلَ . وقال أبو عُبيدة : يقال : قيد الأوابد وقيد الرّهان ، وهو الذي كأن طريدته في قيدٍ له اذا طلبها ، وكأنّ مُسابِقَه في الرّهان مُقَيَّد . قال أبو عبيدة : وأوّل من قيَّدها امرؤ القيس . والمُنجرد : القصير الشَّعَرة الصافي الأديم . والهيكل الذكر ، والأنثى هيكلة ، والجمع هياكل ، وهو العظيم العَبْل الكثيف اللّيّن . وقوله « مِكَرٍّ مِفَرٍّ » يقول : إذا شئتُ أن أكُرّ عليه وجدته ، وكذلك اذا أردتُ أن أفِرّ عليه أو أُقبِلَ أو أُدبِر . والجلمود : الصخرة . ووصفها بأن السيل حطَّها من عَلِ لأنها اذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها . « من عَلِ » : من فوقٍ . ويقال من عَلِ ومن علُ ومن عَلَا ومن عَلْوُ ومن عالٍ ومن عَلوَ ومن مُعالٍ . وقوله « سيري وأرخي زمامه » أي هوّني عليك الأمرَ ولا تُبالي أَعُقِر أم سَلِم . « وجناك » كلُّ شيء اجتنيته من قُبلة وما أشبه : ذلك هو الجنى ، وهو من الإنسان مثل الجنى من الشجر أي ما اجتُني من ثمره . والمُعلِّل : المُلهِي .

غَنَّى في « قفا نبك » ، و « أفاطم مهلًا » ، و « أغرّك » و « ما ذرفتْ عيناكِ »

---

(١) التماريد : جمع تمراد وهو برج صغير للحمام .

معبد لحناً من الثقيل الأوّل بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى. وغنى معبد أيضاً في الأوّل والرابع من هذه الأبيات خفيفَ رمل بالوسطى. وغنّى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملًا. وغنَّت عَريبُ في:

أَغرَّك مني أن حبَّك قاتلي

وبعده شعر ليس منه وهو:

فلا تَحرَجي من سفك مهجة عاشقٍ بَلى فاقتلي ثم اقتلي ثم فاقتلي
فلا تَدَعي أن تفعلي ما أردتِه بنا، ما أراك اللهُ من ذاك فافعَلي

ولحنُها فيها خفيفُ رمل. وغنى ابن محرز في «تسلّت عَمايات الرجال» وبعده «ألا أيها الليل الطويل» ثانيَ ثقيل بالوسطى. وغنى فيهما عبد الله بن العباس الرَّبيعيّ ثاني ثقيل آخر بالسبَّابة في مجرى البنصر. وغنَّت جميلة في «تسلت عمايات الرجال» وبعده «ألا رب يوم لك» لحناً من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ. وغنَّت عَزّة الميلاء في «تسلّت عمايات الرجال» وبعده «ويوم عقرت للعذارى مطيتي» ثقيلًا أوّل آخر عن الهشاميّ. وغنَّت حُميدة جارية ابن تُفَّاحة في «وبيضةِ خِدْرٍ» و«تجاوزت أحراسا» لحناً من الثقيل الأول بالوسطى. ولطُوَيس في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» ثقيل أوّل آخر. وفي «أفاطم مهلًا» و«أَغرَّك مني أن حبَّك قاتلي» ليزيد بن الرحَّال هزج. ولأبي عيسى بن الرشيد في «وقد أغتدي» و«مِكَرٍّ مِفَرٍّ» ثقيل أوّل. ولفُلَيح في «قفا نبك» وبعده «أغرّك مني» رمل. وقيل: إن لمعبد في «وبيضة خدر» لحناً من الثقيل الأول، وقيل: هو لحن حُميدة. ولعريبَ في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ من رواية أبي العُبَيس. وغنى سَلَّام بن الغَسَّال — وقيل بل عُبَيدةُ أخوه — في «وإن كنت قد ساءتكِ مني» و«أغرّك مني» رملًا بالوسطى. وغنى في «فقلت لها سيري وأرخي زمامه» سَعدويه بن نصر ثانيَ ثقيل. وغنى في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» إبراهيم الموصليّ ثقيلًا أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ. وزعم

حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلًا . وغنى في «أغرّك مني» و«وما ذرفت» ابن سُرَيج خفيفَ رمل بالوسطى من رواية ابن المكيّ، وقيل : بل هو من منحوله . وغنى بُدَيح مولى بن جعفر في «وما ذرفت عيناك» بيتاً واحداً ثقيلًا أوّل مطلقاً في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ . فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر «قفا نبك» من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحناً : منها في الثقيل الأوّل تسعة أصوات ، وفي الثقيل الثاني ثلاثة أصوات ، وفي الرمل أربعة أصوات ، وفي خفيف الرمل صوتان ، وفي الهزج صوت ، وفي خفيف الثقيل ثلاثة أصوات .

ذكر امرئ القيس ونسبه وأخباره

قال الأصمعيّ : هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكِلِ المُرار بن معاوية بن ثَور وهو كِندة . وقال ابن الأعرابيّ : هو امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كندة . وقال محمد بن حبيب : هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حُجر آكلِ المُرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَعرُب بن ثور بن مُرتِع بن مُعاوية بن كِندة . وقال بعض الرُّواة : هو امرؤ القيس بن السِّمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثَور وهو كِندة . وقالوا جميعاً : كندة هو كندة بن عُفَير بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَدَ بن زيد بن يَشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحطان بن عابِر بن شالخ بن أرفَخْشَذ بن سام بن نوح . وقال ابن الأعرابيّ : ثور هو كندة بن مُرتِع بن عُفَير بن الحارث بن مُرَّة بن عديّ بن أدَدَ بن زيد بن عمرو بن مِسمَع بن عَريب بن عمرو بن زيد ابن كهلان .

وأم امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهَير أخت كُلَيب ومُهَلهِل ابني ربيعة التغلبيَّيْن . وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السِّمط : أمّه تَملِك بنت عمرو بن زُبَيد بن مَذحِج رهط عمرو بن معد يكرب . قال من ذكر هذا وأنّ أُمّه تملك : قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال :

أَلا هل أَتاها والحوادثُ جَمَّةٌ بأن امرأ القيس بن تَملِكَ بَيقَرا

بَيقَر أي جاء العراقَ والحَضَر . ويقال : بيقر الرجلُ اذا هاجر . وقال

يعقوب ابن السِّكِّيت : أمّ حُجر أَبي امرئ القيس أُمّ قَطام بنت سَلَمة امرأةٌ من عَنَزة .

ويُكنى امرؤ القيس ، على ما ذكره أبو عُبيدة ، أبا الحارث . وقال غيره : يكنى أبا وَهب . وكان يقال له الملك الضِّلّيل ، وقيل له أيضاً ذو القُروح . وإياه عنى الفرزدقُ بقوله :

وهَب القصائدَ لي النوابغُ إذ مَضَوْا وأبو يزيد وذو القروح وجَرولُ

يعني بأبي يزيد المُخَبَّلَ السَّعديّ ، وجَرول الحُطيئة .

قال : وولد ببلاد بني أسد . وقال ابن حَبيب : كان ينزل المُشَقَّر من اليمامة . ويقال : بل كان ينزل في حصن بالبحرين . وقال جميع من ذكرنا من الرُّواة : إنما سمي كندة لانه كنَد أباه أي عقَّه . وسُمي مُرتِعٌ بذلك لانه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرتَعاً له ولماشيته . وسمّي حُجرٌ آكلُ المُرار بذلك لانه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جَبلة كان نائماً في حِجر امرأته هند وهي تَفْلِيه جعل يأكل المُرار (وهو نبت شديد المرارة) من الغيظ وهو لا يدري . ويقال : بل قالت هند للحارث وقد سألها : ما تَرَينَ حُجراً فاعلاً ؟ قالت : كأنّك به قد أدركك في الخيل وهو كأنه بعيرٌ قد أكل المرار . قال : وسمّي عمرو المقصورَ لانه قد قُصِرَ على مُلك أبيه أي أقعد فيه كرْهاً .

أخبرني بخبره ، على ما قد سُقْته ونظَمْتُه ، أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شبَّة ولم يتجاوزه ، وروى بعضه عن عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبيّ ، وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه ، قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبيّ ، قال ابن أبي سعد وأخبرني دارِم بن عِقال بن حَبيب الغَسَّاني أحدُ ولد السَّمَوءل بن عادِياء عن أشياخه ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتيبة ، وأخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديُّ قال

حدثني عمي يوسف عن عمه إسماعيل، وأضفت الى ذلك روايةَ ابن الكلبيّ مما لم أسمعه من أحد وروايةَ الهيثم بن عديّ ويعقوبَ بن السِّكِّيت والأثرَم وغيرهم، لما في ذلك من الاختلاف، ونسبتُ رواية كلّ راوٍ إذا خالف روايةَ غيره اليه، قالوا:

كان عمرو بن حُجْر وهو المقصور ملكاً بعد أبيه، وكان أخوه معاوية وهو الجَوْن على اليمامة، وأُمُّهما شُعبة بنت أبي مُعاهِر بن حَسَّان بن عمرو بن تُبَّع. ولما مات مَلَك بعده ابنُه الحارث، وكان شديدَ الملك بعيد الصِّيت. ولما ملك قُباذُ بن فَيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مَزدَك فدعا الناسَ الى الزندقة وإباحة الحُرَم وألّا يمنع أحد منهم أخاه ما يريده من ذلك. وكان المُنذِر بن ماء السماء يومئذٍ عاملًا على الحِيرة ونواحيها. فدعاه قُباذُ الى الدخول معه في ذلك فأبى. فدعا الحارثَ بن عمرو فأجابه؛ فشدَّد له مُلكَه وأطرد المُنذِرَ عن مملكته وغلَب على ملكه. وكانت أُمُّ أنوشروانَ بين يدي قُباذَ يوماً، فدخل عليه مَزدَك. فلما رأى أُمَّ أنوشروان قال لقباذ: ادفعها لي لأقضيَ حاجتي منها؛ فقال: دونكها. فوثب اليه أنوشروان فلم يزل يسأله ويَضرَع اليه أن يهَب له أُمَّه حتى قبَّل رجلَه فتركها له؛ فكانت تلك في نفسه. فهلَك قُباذُ على تلك الحال، وملك أنوشروان فجلس في مجلس المُلك. وبلغ المنذرَ هلاكُ قباذَ فأقبل الى أنوشروان وقد علم خلافَه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه. فأذِن أنوشروانُ للناس، فدخل عليه مَزدَك ثم دخل عليه المنذر. فقال أنوشروان: إني كنت تمنَّيت أمنيَّتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي. فقال مَزدَك: وما هما أيها الملك؟ قال: تمنَّيت أن أملِك فأستعملَ هذا الرجل الشريفَ (يعني المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة. فقال له مزدك: أوَ تستطيع أن تقتل الناس كلَّهم؟! قال: إنك لهاهنا يابنَ الزانية! والله ما ذهب نَتنُ ريح جَورَبك من أنفي منذ قبَّلتُ رجلكَ الى يومي هذا! وأمر به فقُتل وصُلب، وأمر بقتل الزنادقة فقُتل منهم ما بين جازِر الى النَّهرَوان الى المدائن في ضَحوة واحدةٍ مائة ألف زنديق وصلَبهم؛ وسُمِّي يومئذٍ أنوشروان.

وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو ؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار، وكان بها منزله — وإنما سمّيت الأنبارَ لأنه كان يكون بها أهراء[1] الطعام وهي الأنابير — فخرج هارباً في هجائنه وماله وولده فمرّ بالثَّوِيَّة[2] ؛ وتبعه المنذرُ بالخيل من تَغلِبَ وبَهراء[3] وإيادٍ، فلَحِق بأرض كَلب فنجا، وانتهبوا ماله وهجائنه . وأخذت بنو تغلب ثمانيةً وأربعين نفساً من بني آكل المُرارِ ؛ فقُدِم بهم على المنذر فضرب رقابَهم بحَفَر الأملاك في دير بني مَرِينا[4] العِبادِيّين بين دير هند والكوفة . فذلك قول عمرو بن كُلثوم :

فآبُوا بالنِّهاب وبالسَّبايَا وأُبنا بالملوك مُصفَّدينا

وفيهم يقول أمرؤ القيس :

ملوكٌ من بني حُجْرِ بن عمرو يُساقون العشيَّة يُقتَلونا
فلو في يوم معركةٍ أصيبوا ولكن في ديار بني مَرينا
ولم تُغسَل جماجمُهم بغِسلٍ[5] ولكن في الدماء مُرَمَّلينا[6]
تَظَلُّ الطيرُ عاكفةً عليهم وتنتزع الحواجبَ والعيونا

قالوا : ومضى الحارث فأقام بأرض كَلْب . فكلب يزعمون أنهم قتلوه . وعلماء

(١) الأهراء : الأكوام .

(٢) الثوية : موضع قريب من الكوفة .

(٣) بهراء : قبيلة باليمن .

(٤) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة .

(٥) الغسل : ما يغسل به الرأس من خطمي وطين وأشنان ونحوه .

(٦) مرملين : ملطخين .

كِندة تزعم أنه خرج الى الصيد فألَظّ[1] بتَيس من الظِّباء فأعجزه، فآلى أليّةً ألّا يأكل اولًا إلا من كبده. فطلبته الخيل ثلاثاً فأُتي بعد ثالثة وقد هلك جوعاً، فشُوي له بطنه، فتناول فِلذةً من كبده فأكلها حارّة فمات. وفي ذلك يقول الوليد بن عَدِيّ الكِنديّ في أحد بني بَجِيلة:

فشَوَوْا فكان شِواؤهم خَبْطاً له إن المنيّة لا تُجِلّ جَليلا

وزعم ابن قُتَيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قُباذ بن فيروز لم يُملِّك الحارث بن عمرو وأن تُبَّعاً الأخير هو الذي ملّكه. قال: ولما أقبل المنذر الى الحِيرة هرب الحارث وتبعته خيلٌ فقتلت ابنَه عمراً وقتلوا ابنه مالكاً بهيت[2]. وصار الحارثُ الى مُسحُلان[3] فقتلته كلب. وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حَتْفَ أنفِه.

الحارث بن عمرو وتمليكه اولاده على قبائل العرب:

وقال الهيثم بن عَدِيّ حدثني حمّاد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سَعيَة[4] بن عَريض من يهود تَيماء قال: لمّا قتل الحارثُ بن أبي شَمِر الغسّانيّ عمرو ابن حُجر ملّك بعده ابنَه الحارث بن عمرو، وأُمّه بنت عَوف بن مُحلِم بن ذُهْل بن شَيبان ونزل الحِيرة. فلما تفاسدت القبائلُ من نِزار أتاه أشرافهم فقالوا: إنّا في دينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدُث بيننا، فوجِّهْ معنا بنيك ينزلون فينا فيكُفُّون بعضَنا عن بعض. ففرّق ولدَه في قبائل العرب، فملّك ابنه حُجْراً على بني أَسد

---

(١) ألظ به: لزمه وألح عليه ليصطاده.

(٢) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.

(٣) مسحلان: موضع.

(٤) هو أخو السموءل.

وغطفان وملّك ابنه شُرَحبيل قتيل يوم الكُلاب[1] على بَكر بن وائل بأسرها وبني حَنظَلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم والرِّباب. وملّك ابنَه مَعدِ يكرِبَ وهو غلفاء (سُمّي بذلك لأنه كان يُغلِّف رأسه) على بني تَغلِب والنَّمِر بن قاسِط وسعد بن زيد مَناة وطوائف من بني دارم بن مالك بن حَنظلة والصنائع وهم بنو رُقَيَّة قومٌ كانوا يكونون مع الملوك من شُذّاذ العرب. وملّك ابنَه عبدَ الله على عبد القيس؛ وملّك ابنه سَلَمة على قيس.

مقتل حجر أبي امرئ القيس:

وقال ابن الكلبيّ حدثني أبي: أنّ حُجراً كان في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوةٌ في كل سنة مؤقّتة؛ فغَبَر[2] ذلك دهراً. ثم بعث اليهم جابيَه الذي كان يجبيهم، فمنعوه ذلك — وحُجْرٌ يومئذٍ بتِهامة — وضربوا رُسله وضَرَجوهم[3] ضرجاً شديداً قبيحاً. فبلغ ذلك حجراً؛ فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم وأخذ سَراتهم، فجعل يقتّلهم بالعصا — فسُمُّوا عبيدَ العصا — وأباح الأموال، وصيّرهم الى تِهامة، وآلى بالله ألّا يُساكنوهم في بلد أبداً، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كِندة بن فَزارة الأسَديّ وكان سيّداً، وعَبيدَ بن الأبرَص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثاً. ثم إنّ عَبيد بن الأبرص قام فقال: أيّها الملك اسمع مقالتي:

يا عَين فابكي ما بني أسدٍ فهم أهلُ النَّدامه
أهلَ القِبابِ الحُمر والنَّعَمِ المؤبَّل[4] والمُدامه

(١) الكلاب: اسم ماء بين الكوفة والبصرة.

(٢) غبر: لبث وبقي. وفي الأصول: «فعمر».

(٣) ضرجه: أدماه أي جعل دمه يسيل من الضرب.

(٤) المؤبل: المقتنى.

وذوي الجيـاد الجردِ والأسل المُثقَّفـة المُقامهْ
حِلًّا[1] أبيتَ اللَّعنَ حِـلًّا إنّ فيما قلتَ آمـه
في كلِّ وادٍ بـين يَثـرِبَ فالقصورِ الى اليمامه
تطريبُ عانٍ أو صيا ح مُحرَّقٍ أو صوتُ هامه
ومنعتَهم نجداً فقـد حَلُّوا على وَجَلٍ تِهامه
بَرِمتْ بنـو أسدٍ كما بَرِمتْ ببيضتها الحمامـه
جعلتْ لهـا عُودين من نَشَمٍ[2] وآخر من ثُمامه
إمَّا تركتَ تركتَ عَفـواً أو قتلتَ فلا مَلامه
أنت المليـكُ عليهمُ وهمُ العبيدُ الى القيامـه
ذَلُّوا لسَوطِك مثلَ ما ذلّ الأُشَيقِرُ[3] ذو الخزامه

قال: فرَقّ لهم حُجر حين سمع قولَه، فبعث في أثرهم فأقبلوا. حتى إذا كانوا على مَسيرة يوم من تِهامة تكهن كاهنُهم، وهو عَوف بن ربيعة بن سَوادة بن سعد بن مالك بن ثَعلبة بن دُودان بن أَسد بن خُزَيمة، فقال لبني أسد: يا عِبادي! قالوا: لَبَّيكَ رَبَّنا. قال: مَن الملكُ الأصهَب، الغَلّاب غير المُغلَّب، في الإبـل كأنها الزَّبَرَبُ، لا يعلَق رأسه الصَّخَب، هذا دَمُه يَنثَعِبُ[4]، وهذا غداً اول من يُسلَب. قالوا: مَن هو يا رَبَّنا؟ قال: لولا أن تجيش نفسٌ جاشِية، لأخبرتكم أنه حُجرٌ ضاحية. فركبوا كلَّ صعبٍ وذَلُول؛ فما أشرق لهم النهارُ حتى أَتَوْا على عسكر حُجر فهجموا على قبَّته. وكان حُجَّابه من بني الحارث بن سَعد يقـال لهم بنو

(١) حلا أي تحلل من يمينك. والآمة: العيب.

(٢) النشم: شجر جبلي تتخذ منه القسيّ. والثمامة: نبت بالبادية.

(٣) الاشيقر: تصغير الأشقر وهو الأحمر من الدواب. والخزامة: حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد بها الزمام.

(٤) انثعب الدم: جرى.

خَدّان بن خَنثَر منهم معاوية بن الحارث وشَبيب ورُقَيّة ومالك وحبيب، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل. فلمّا نظروا الى القوم يريدون قتلَه خيّموا عليه ليمنعوه ويُجيروه. فأقبل عليهم عِلباء بن الحارث الكاهليّ، وكان حُجر قد قتل أباه، فطعَنه من خَلَلهم فأصاب نَساه فقتله. فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا معشرَ كِنانة وقيس، أنتم إخوانُنا وبنو عَمّنا، والرجلُ بعيدُ النسب منّا ومنكم، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه. فانتهبوهم فشَدُّوا على هجائنه فزَّقوها ولفّوه في رَيطة بيضاء وطرَحوه على ظهر الطريق. فلمّا رأته قَيسٌ وكِنانة انتهبوا أسلابَه. ووثب عمرو بن مسعود فضمّ عِيالَه وقال: أنا لهم جارٌ.

قال ابن الكلبيّ: وعدّة قبائل من بني أسد يدّعون قتلَ حُجر ويقولون: إنّ عِلباءَ كان الساعيَ في قتله وصاحبَ المشورة ولم يقتله هو.

قال ابن حبيب: خَدّان في بني أسد وخَدّان في بني تميم وفي بني جَدِيلة بالخاء مفتوحةً، وخُدّان مضمومة في الأزد، وليس في العرب غير هؤلاء.

قال أبو عمر الشَّيباني: بل كان حُجرٌ لمّا خاف من بني أسد استجار عُوَير بن شَجنة أحد بني عُطارد بن كعب بن سعد بن زَيد مَناة بن تَميم لبنته هند بنت حُجر وعِياله. وقال لبني أسد لمّا كثروه: أمّا إذا كان هذا شأنَكم فإني مرتحل عنكم ومُخلّيكم وشأنَكم؛ فواعدوه على ذلك. ومال على خالد بن خَدّان أحد بني سَعد بن ثَعلبة. فأدركه عِلباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال: يا خالد اقتُل صاحبك لا يُفلتْ فَيعُرَّكَ[1] وإيّانا بشرٍّ. فامتنع خالد. ومرّ عِلباء بقِصدة[2] رُمح مكسورة فيها سِنانها، فطعن بها في خاصرة حُجر وهو غافل فقتله. ففي ذلك يقول الأسديّ:

---

(١) عرّ فلان فلاناً بشر: أصابه به.

(٢) القصدة: القطعة.

وقصدةُ عِلباءِ بن قَيسِ بن كاهلٍ مَنِيَّةُ حُجر في جوار ابن خَدّانِ

وذكر الهيثم بن عديّ أنّ حُجراً لمّا استجار عُوَيرَ بن شَجنة لبنيه وقَطينه[1] تحوّل عنهم فأقام في قومه مدّةً، وجمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه وأقبل مُدِلًّا بمن معه من الجنود. فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا: والله لئن قهرَكم هذا لَيَحكُمَنّ عليكم حكمَ الصبيّ! فما خيرُ عيش يكون بعد قهرٍ وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب! فموتوا كراماً. فساروا الى حُجر وقد ارتحل نحوَهم فلَقُوه فاقتتلوا قتالًا شديداً. وكان صاحب أمرهم عِلباء بن الحارث؛ فحمل على حُجر فطعنه فقتله، وانهزمت كِندةُ وفيهم يومئذٍ امرؤُ القيس فهرب على فرسٍ له شَقراء وأعجزهم، وأسروا من أهل بيته رجالًا وقتلوا وملأوا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جواريَ حُجر ونساءه وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم.

وقال يعقوب بن السِّكّيت حدثني خالد الكِلابيّ قال: كان سببُ قتلِ حُجر أنه كان وَفد الى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلَك، ثم أقبل راجعاً الى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النساء وأساء ولايتَهم، وكان يُقدِّم بعضُ ثَقَله أمامه ويُهيِّأ نُزُلَه ثم يجيء وقد هُيِّئ له من ذلك ما يُعجبه فينزل، ويُقدِّم مثل ذلك الى ما بين يديه من المنازل فيُضرَب له في المنزلة الأخرى. فلما دنا من بلاد بني أسَد وقد بلَغهم موت أبيه طمِعوا فيه. فلما أظلّهم وضُربت قِبابُه اجتمعت بنو أسد إلى نَوفل بن ربيعة بن خدّان؛ فقال: يا بني أسد! مَن يتلقّى هذا الرجل منكم فيقتطعَه؟ فإني قد أجمعتُ على الفتك به. فقال له القوم: ما لذلك أحدٌ غيرك. فخرج نَوفل في خيله حتى أغار على الثَّقَل فقتل مَن وجد فيه، وساق الثَّقَل وأصاب جاريتين قَينتين لحُجر، ثم أقبل حتى أتى قومه. فلما رأوا ما قد حدَث وأتاهم به عرفوا أنّ حجراً يُقاتلهم

(١) القطين هنا: الخدم والحاشية.

وأنه لا بدّ من القتال، فحشَد الناسُ لذلك . وبلغ حُجراً أمرُهم ، فأقبل نحوهم . فلما غشيهم ناهضوه القتالَ وهم بين أبرَقين من الرمل في بلادهم يُدعَيان اليوم أَبرَقَيْ حُجر ، فلم يُلبِثوا حُجراً أن هزَموا أصحابَه وأسروه فحبسوه . وتشاور القوم في قتله ؛ فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليَرَوْا فيه رأيَهم : أي قومِ ! لا تعجَلوا بقتل الرجل حتى أزجُرَ لكم . فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله . فلمّا رأى ذلك علباء خشي أن يتواكلوا في قتله؛ فدعا غلاماً من بني كاهل ، وكان ابنَ أخته وكان حُجرٌ قتل أباه زوجَ أخت علباء ، فقال : يا بُنيّ ، أعندك خيرٌ فتثأرَ بأبيك وتنال شرفَ الدهر وإنّ قومك لن يقتلوك ؟! فلم يزل بالغلام حتى حرّبه[1] ، ودفع اليه حديدةً وقد شحذها وقال : ادخل عليه مع قومك ثم اطعَنه في مقتله . فعمد الغلام الى الحديدة فخبأها ثم دخل على حُجر في قُبّته التي حُبس فيها . فلما رأى الغلامُ غفلةً وثب عليه فقتله ؛ فوثب القوم على الغلام . فقالت بنو كاهل : ثأرُنا وفي أيدينا . فقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبي، فخلَّوْا عنه . وأقبل كاهنُهم المُزدجر فقال : أي قومِ ! قتلتموه ! مُلكُ شهر ، وذُلُّ دهر . أماَ والله لا تحظَون عند الملوك بعده أبداً .

قال ابن السِّكِّيت : ولما طعن الأسديُّ حُجراً ولم يُجهِز عليه ، أوصى ودفع كتابَه الى رجل وقال له : انطلق الى ابني نافع — وكان أكبر ولده — فإن بكى وجزع فألَهُ عنه ، واستَقْرِهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس — وكان أصغرهم — فأيُّهم لم يجزَع فادفع اليه سلاحي وخيلي وقُدوري ووصيَّتي . وقد كان بَيَّن في وصيَّته مَن قتله وكيف كان خبره. فانطلق الرجل بوصيَّته الى نافع ابنه ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه . ثم استقراهم واحداً واحداً فكلُّهم فعل ذلك ، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويُلاعبه بالنَّرد ؛ فقال له : قُتِل حُجر . فلم يلتفت الى قوله ؛ وأمسك نديمه . فقال له امرؤ

(١) حربه : حرشه .

القيس : اضربْ فضرب . حتى اذا فرَغ قال : ما كنتُ لأفسد عليك دَسْتك . ثم سأل الرسولَ عن أمر أبيه كلِّه فأخبره . فقال : الخمرُ عليّ والنساء حرامٌ حتى أقتُل من بني أسد مائة وأُجزّ نواصيَ مائة . وفي ذلك يقول :

أرِقتُ ولم يأرَقْ بيَ نافعُ وهاج لي الشوقَ الهمومُ الروادعُ

وقال ابن الكلبيّ : حدثني أبي عن ابن الكاهن الأسديّ : أنّ حُجراً كان طرَد امرأ القيس وآلى ألّا يقيم معه أَنفةً من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك ، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شُذّاذ العرب من طيّئ وكلب وبَكر بن وائل ؛ فإذا صادف غديراً او روضةً او موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم ؛ وخرج الى الصيد فتصيَّد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنّته قِيانُه . ولا يزال كذلك حتى يَنفَدَ ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه الى غيره . فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدَمُّون من أرض اليمن ، أتاه به رجلٌ من بني عِجل يقال له عامر الأَعور أخو الوَصّاف . فلما أتاه بذلك قال :

تطاولَ الليلُ على دَمُّونْ دَمّونُ إنّا معشرٌ يمانونْ
وإنّنا لأهلها مُحبُّونْ

ثم قال : ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمَه كبيراً . لا صَحوَ اليوم ولا سُكرَ غداً . « اليوم خمرٌ ، وغداً أمر » فذهبتْ مثلًا . ثم قال :

خليليّ لا في اليوم مَصحًى لشاربٍ ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يُشرَبُ

ثم شرب سبعاً . فلما صحا آلى ألّا يأكلَ لحماً ، ولا يشربَ خمراً ، ولا يَدَّهِنَ بدُهن ، ولا يصيبَ امرأةً ، ولا يغسِلَ رأسه من جنابة ، حتى يُدرك بثأره . فلما جَنَّه الليل رأى برقاً فقال :

أرِقتُ لبرقٍ بليلٍ أَهلّْ يُضيء سَناه بأعلى الجبلْ

أتاني حديثٌ فكذّبْتُـه بأمر تَرَعزَعُ منه القُلَـلْ
بقتـل بني أَسدٍ ربّهم ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَل[1]
فأين رَبيعةُ عن ربّهـا وأين تميمٌ وأين الخَـوَل
ألا يحضُرون لدى بابـه كما يحضرون اذا ما أكل

وروى الهيثم عن أصحابه أنّ امرأ القيس لمّا قُتِل أبوه كان غلاماً قد ترعرع، وكان في بني حَنظلة مقيماً لأنّ ظِئرَه كانت امرأةً منهم. فلما بلغه ذلك قال:

يا لَهْفَ هندٍ إذ خَطِئن كاهلَا القاتلين المَلِكَ الحُـلاحِلَا[2]
تالله لا يذهب شيخي باطلَا يا خـيرَ شيخ حَسَباً ونائلا
وخيرَهم — قد علموا — فواضلا يحملننا والأسَـلَ النَّواهلا
وحيَّ صَعبٍ والوَشيجَ الذّابلا مُستَثْفِراتٍ بالحصى جوافلا[3]

يعني صَعبَ بنَ عليّ بن بكر بن وائل. معنى قوله «مستثفرات بالحصى»: يريد أنها أثارت الحصى بجوافرها لشدّة جريهـا حتى ارتفع الى أثفارها[4] فكأنها استثفرَت به.

وقال الهيثم بن عديّ: لمّا قُتل حُجر انحازت بنتُه وقَطِينُـه الى عُوَير بن شَجنة. فقال له قومه: كلْ أموالهم فإنهم مأكولون، فأبى. فلما كان الليلُ حمل هنداً وقَطِينَها وأخذ بخطام جملها وأشأم بهم في ليلة طَخْياء مُدْلَهِمّة. فلما

(١) جلل: ها هنا بمعنى هين.

(٢) الحلاحل: السيد الكريم.

(٣) جوافل: مسرعات، يقال: جفل وأجفل اذا أسرع.

(٤) الأثفار: جمع ثفر وهو السير الذي في مؤخرة السرج تحت ذنب الدابة. وأما الثفر فهو لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب كالحياء للناقة.

أضاء البرقُ أبدى عن ساقيه وكانتا حَمْشَتَين[1]. فقالت هند: ما رأيت كالليلةِ ساقَيْ وافٍ. فسمِعها فقال يا هند: هما ساقا غادرٍ شرٍّ. فرمى بها النِّجادَ حتى أطلعها نَجرانَ، وقال لها: إني لست أغني عنكِ شيئاً وراء هذا الموضع، وهؤلاء قومك، وقد برئتْ خفارتي. فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد، منها قوله في قصيدة له:

أَلا إنّ قوماً كنتُمُ أمسِ دونَهم ... هم منعوا جاراتكم آلَ غُدْران[2]
عُوَيرٌ ومَن مثلُ العُوَير ورَهطِه ... أَبرّ بميثاقٍ وأوفى بجيران
هم أبلغوا الحيَّ المُضَيَّع أهلَه ... وساروا بهم بين الفُرات ونَجران

وقولُه:

أَلا قبّح الله البراجمَ كلَّها ... وجدَّع يَربوعاً وعفَّر دارِما
فما فعلوا فعلَ العُوَير ورهطِه ... لدى باب حُجرٍ إذ تجرّد قائما

وقال ابن قُتَيبة في خبره: إنّ القصة المذكورة عن عُوَير كانت مع أبي حَنبَل وجارية بن مُرّ. قال ويقال: بل كانت مع عامر بن جُوَين الطائيّ وان ابنته أشارت عليه بأخذ مال حُجر وعياله؛ فقام ودخل الواديَ ثم صاح: أَلا إنّ عامر بن جوين غدر، فأجابه الصدى مثلَ قوله؛ فقال ما أقبح هذا من قول! ثم صاح: أَلا إنّ عامر بن جُوَين وَفى، فأجابه الصَّدَى بمثل قوله؛ فقال: ما أحسن هذا! ثم دعا ابنته بجَذَعةٍ[3] من غنم فاحتلبها وشرب واستلقى على قفاه وقال: والله لا أغدِر ما أجزأتني جَذَعةٌ. ثم نهض وكانت ساقاه حَمْشَتين؛ فقالت ابنته:

---

(١) حمشتين: دقيقتين.

(٢) آل غدران: بطن من العرب.

(٣) الجذعة: الفتية.

والله ما رأيت كاليوم ساقيْ وافٍ . فقال : وكيف بهما إذا كانتا ساقيْ غادرٍ ! هما والله حينئذٍ أقبح .

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه ويعقوبُ بن السِّكِّيت عن خالد الكلابيّ :

إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكراً وتَغلِبَ ، فسألهم النصرَ على بني أسد . فبعث العيونَ على بني أسد فنَذِروا[1] بالعيون ولجأُوا الى بني كِنانة . وكان الذي أنذرهم بهم عِلباء بن الحارث . فلما كان الليلُ قال لهم عِلباء : يا معشر بني أسد تعلمون ! والله إنّ عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعت اليه بخبركم ، فارحَلوا بليل ولا تُعلموا بني كِنانة ، ففعلوا . وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتَغلِب حتى انتهى الى بني كِنانة وهو يحسَبهم بني أسد فوضع السِّلاح فيهم وقال : يا لِثارات الملك ! يا لِثارات الهمام ! فخرجت اليه عجوزٌ من بني كنانة فقالت : أَبيتَ اللعنَ ! لسنا لك بثأر ، نحن من كنانة ، فدونك ثأرَك فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس فتبِع بني أسد ففاتوه ليلتَهم تلك — فقال في ذلك :

أَلا يا لَهفَ هندٍ إثرَ قومٍ هم كانوا الشفاءَ فلم يُصابوا
وقاهم جَدُّهم[2] ببني أبيهم وبالأشقَينَ ما كان العُقابُ
وأفلتهنّ عِلباءٌ جَريضاً ولو أدركْنَه صَفِرَ الوِطابُ

يعني ببني أَبيهم بني كنانة ؛ لأن أسداً وكِنانة ابنيْ خُزَيمة أَخوان .

أخبرني أَبو خليفة عن محمد بن سَلَّام قال :

سمعت رجلًا سأل يونس عن قوله « صفِر الوِطابُ » ، فقال : سأَلنا رؤبةَ

(١) نذروا : علموا فحذروا .

(٢) الجد : الحظ . والأشقين : جمع أشقى .

عنه فقال : لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصَفِرت وِطابُه من اللَّبن . وقال غيره صَفِرَ الوطابُ أي إنه كان يُقتَل فيكون جسمه صِفراً من دمه كما يكون الوطاب صفراً من اللبن .

وأدركهم [ظُهراً] وقد تقطَّعت خيلُه وقطع أعناقهم العطش، وبنو أسد جاثُّون على الماء، فنهد اليهم فقاتلهم حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم، وحَجز اللَّيلُ بينهم، وهَربت بنو أسد . فلما أصبحت بَكر وتغلبُ أَبَوْا أن يتَّبعوهم وقالوا له : قد أصبتَ ثأرَك . قال : والله ما فعلتُ ولا أصبتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى، ولكنك رجل مشؤوم . وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه . ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بِحِمير .

قال ابن السِّكِّيت حدثني خالد الكلابيّ : أن امرأ القيس لمَّا أقبل من الحرب على فرسه الشَّقراء لجأ الى ابن عمّته عمرو بن المُنذر — وأمّه هند بنت عمرو بن حُجر بن آكل المُرار، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتَفرُّق مُلكِ أهل بيته، وكان عمرو يومئذٍ خليفةً لأبيه المنذر ببَقَّة وهي بين الأنبار وهِيتَ — فمدحه وذكر صِهرَه ورحمه وأنه قد تعلَّق بحباله ولجأ اليه . فأجاره، ومكث عنده زماناً . ثم بلغ المنذرَ مكانُه عنده فطلبه، وأنذره عمر فهرب حتى أتى حِميَر .

وقال ابن الكلبيّ والهيثم بن عَديّ وعمر بن شبَّة وابن قُتَيبة :

فلما امتنعت بكرُ بن وائل وتغلب من اتّباع بني أسد خرج من فَوره ذلك الى اليمن فاستنصر أَزدَشَنُوءةَ ؛ فأَبَوْا أن ينصروه وقالوا : إخواننا وجيرانُنا . فنزل بقَيلٍ يُدْعى مَرثَد الخير بنَ ذي جَدَن الحِميريّ، وكانت بينهما قَرابة، فاستنصره واستمدّه على بني أسد ؛ فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمير ؛ ومات مَرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم، وقام بالمملكة بعده رجلٌ من حمير يقال له قَرمَل بن الحميم وكانت أمّه سوداء، فردّد امرأ القيس وطوَّل عليه حتى همّ بالانصراف وقال :

وإذ نحن ندعو مَرثَد الخيرِ ربَّنا وإذ نحن لا نُدعى عَبيداً لقَرمَلِ

فأنفذ له ذلك الجيشَ ؛ وتبِعه شُذّاذٌ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالًا ، فسار بهم إلى بني أسد . ومرّ بتَبالَة[1] وبها صنم للعرب تعظّمه يقال له ذو الخَلَصة[2] ؛ فاستقسم[3] عنده بقِداحه وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربّص ، فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، ثم أجالهـا فخرج الناهي ؛ فجمعها وكسرها وضرب بها وجهَ الصنم وقال : مَصِتَ بَظرَ أُمك ! لو أبوك قُتِل ما عُقتَني . ثم خرج فظفِر ببني أسد . ويقال : إنه ما استُقسِم عند ذي الخَلَصة بعد ذلك بقِدح حتى جاء أمر الله بالإسلام وهدَمه جَرير بن عبد الله البَجَليّ .

قالوا : وألحّ المنذر في طلب امرئ القيس ووجّه الجيوشَ في طلبـه من إياد ونَهراء وتَنوخ ولم تكن لهم طاقة ، وأمدّه أنوشروان بجيش من الأساورة فسرّحهم في طلبه . وتفرّقت حِميَرُ ومن كان معه عنه . فنجا في عُصبة من بني آكل المُرار حتى نزل بالحارث بن شِهاب من بني يَربوع بن حَنظلة ، ومع امرئ القيس أدراع خمسة : الفَضفاضة والضافية والمحصّنة والخربق وأمّ الذيول كُنّ لبني آكل المـرار يتوارثونها مَلِكاً عن ملك . فقلّما لبِثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث اليـه المنذر مائةً من أصحابـه يُوعِده بالحرب إن لم يُسلم اليه بني آكل المُرار فأسلمهم ؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند (بنت امرئ القيس) والأَدرُع والسلاح ومال كان بقي معه ؛ فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيّئ ؛ وقيل : بل نزل قبلَهم على سعد بن الضِّباب الإياديّ سيّدِ قومه فأجاره .

قال ابن الكلبيّ : وكانت أمّ سعد بن الضِّباب تحت حُجرٍ أبي امرئ القيس

---

(١) تبالة : موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة .

(٢) ذو الخلصة : مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج .

(٣) الاستقسام بالازلام : طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم .

فطلّقها وكانت حاملًا وهو لا يعرف، فتزوّجها الضِّباب فولَدت سعداً على فراشه، فلحِق نسبُه به . فقال امرؤ القيس يذكر ذلك :

يُفاكِهنا سعدٌ ويُنعِمُ بالَنا ... ويغدو علينا بالجفان وبالجُزُرْ
ونعرف فيه من أبيه شمائلًا ... ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُر
سماحةَ ذا وبِرَّ ذا ووفاء ذا ... ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سَكِر

والمعلى بن تيم :

ثم تحوّل عنه فوقع في أرض طيِّئ فنزل برجل من بني جَدِيلة يقال له المعلّى بن تَيم. ففي ذلك يقول :

كأنّي إذ نزلتُ على المُعلّى ... نزلتُ على البواذخ من شَمامِ[1]
فما مَلِكُ العراقِ على المُعلّى ... بمقتدرٍ ولا مَلِكُ الشآم
أقرَّ حشى امرىءِ القيس بن حُجرٍ ... بنو تَيمٍ مصابيحُ الظلام

ثم ببني نبهان :

قالوا : فلبث عنده واتّخذ إبلًا هناك . فغدا قومٌ من بني جَدِيلَة يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل . وكانت لامرئ القيس رواحل مُقيَّدة عند البيوت خوفاً من أن يَدهَمه أمرٌ ليسبق عليهن . فخرج حينئذٍ فنزل ببني نَبهان من طيِّئ، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَدِيلة، فرجعوا اليه بلا شيء . فقال في ذلك :

وأعجبني مَشيُ الحُزُقَّة خالدٍ ... كمشي أتانٍ حُلِّئتْ بالمناهلِ[2]

---

(١) شمام : اسم جبل لباهلة .

(٢) الحزقة : القصير الذي يقارب الخطو . وحلئت : منعت عن الماء وطردت مرة بعد مرة .

فدع عنك نَهْباً صِيحَ في حَجَراتِهِ[1] ولكن حديثاً ما حديثُ الرَّواحلِ

ففرَّقت عليه بنو نَبهان فِرْقاً[2] من مِعزًى يحلُبها . فانشأ يقول :

إذا ما لم تَجِدْ إبِلًا فمِعزًى كأن قرُون جِلَّتِها[3] العِصِيُّ
إذا ما قام حالبُها أَرَنَّت[4] كأن القوم صبَّحهم نَعِيُّ
فتملأ بيتَنا أَقِطاً[5] وسَمناً وحَسبُك من غِنًى شِبَعٌ وريُّ

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَين واتخذ عنده إبلًا، وعامرٌ يومئذٍ أحد الخُلَعاء الفُتَّاك قد تبرَّأ قومُه من جرائره، فكان عنده ما شاء الله، ثم همَّ أن يغلِبه على أهله وماله ؛ ففطن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله :

فكم بالصَّعيد من هِجانٍ مؤبَّلَهْ تَسيرِ صِحاحاً ذاتَ قيد ومُرسَلَهْ
أردتُ بها فَتكاً فلم أَرتَمِضْ[6] له ونَهنهتُ نفسي بعد ما كدتُ أفعلَه

وكان عامر ايضاً يقول يعرِّض بهند بنت امرئ القيس :

أَلا حَيِّ هنداً وأطلالها وتَظعانَ هند وتَحلالها

---

(١) الحجرات : النواحي .

(٢) الفرق : القطيع من الغنم والبقر والظباء ، وقيل : هو ما دون المئة من الغنم .

(٣) الجلة : المسانّ .

(٤) مشت حوالبها : مسحت بالكف ليدر اللبن . والحوالب : العروق التي تدر اللبن في الضرع واحدها حالب . وأرنت : صوتت . ويحتمل أن تكون المعزى هي المرنة، وأن يكون الإرنان صوت الشخب الذي يقع في الإناء من كثرة اللبن .

(٥) الأقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض مثل الجبن .

(٦) ارتمض : حزن . نهنه : كفّ .

هممتُ بنفسيَ كلَّ الهموم فأولى لنفسيَ أولى لها[1]
سأحمِل نفسي على آلةٍ[2] فإمَّا عليها وإمّا لها

هكذا روى ابنُ أبي سعد عن دارِم بن عِقال. ومن الناس من يَروي هذه الأبياتَ للخَنساء في قصيدتها:

أَلا ما لِعَيني أَلا ما لها لقد أَخضلَ الدمعُ سِربالها

قالوا: فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أَهله وماله، تغفَّله وانتقل الى رجل من بني ثُعَل يقال له حارِثة بن مُرّ فاستجار به. فوقعت الحرب بين عامر وبين الثُّعَليّ، فكانت في ذلك أمورٌ كثيرة. قال دارِم بن عِقال في خبره: فلمَّا وقعت الحربُ بين طيِّئٍ من أَجله، خرج من عندهم فنزل برجل من بني فَزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازِن، فطلب منه الجوارَ حتى يرى ذاتَ عَيبه[3]. فقال له الفَزاريّ: يابنَ حُجر، إنّي أراك في خَلَلٍ من قومك وأنا أَنفَسُ[4] بمثلك من أَهل الشرف، وقد كدتَ بالأمس تؤكل في دار طيِّئ، وأَهلُ البادية أَهلُ بَرٍّ لا أَهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذُؤبانٌ من قيس، أفلا أدلُّك على بلد! فقد جئتُ قَيصرَ وجئت النُّعمانَ فلم أَرَ لضيفٍ نازل ولا لُمجتَدٍ مِثلَه ولا مثلَ صاحبه. قال: من هو وأين منزلُه؟ قال: السَّموءلُ بتَيماء، وسوف أضرب لك مَثَله، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذاتَ عَيبك، وهو في حِصن حَصين وحَسَبٍ كبير. فقال له امرؤ القيس وكيف لي به؟ قال: أوصلك الى من يُوصلك اليه؛ فصحِبه الى

---

(١) أولى لك: كلمة توعد وتهديد.

(٢) الآلة هنا: الحالة.

(٣) يريد: ينظر في أمره ويصلح من شأنه.

(٤) أنفس به: أضنّ به.

رجلٍ من بني فَزارة يقال له الرَّبيع بن ضَبُع الفَزاري ممن يأتي السموءل فيحمِلُه ويُعطيه . فلمَّا صار اليه قال له الفزاريّ : إنّ السموءل يعجبه الشعر . فتعالَ نتناشد له أشعاراً . فقال امرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع :

قُلْ للمنيَّة أيَّ حينٍ نلتقي بفِناء بيتِك في الحضيض المَزلَقِ

وهي طويلة يقول فيها :

ولقد أتيتُ بني المُصاصِ مُفاخِراً وإلى السموءل زُرتُه بالأَبلَقِ
فأتيتُ أفضلَ مَن تحمَّل حاجةً إن جئته في غارمٍ أو مُرهَق
عرفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ وحوى المكارمَ سابقاً لم يُسبَق

قال : فقال امرؤ القيس :

طرقتْك هندٌ بعد طول تجنُّبٍ وَهْناً ولم تَكُ قبل ذلك تَطرُقُ

وهي قصيدة طويلة، وأظنُّها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس، والتوليدُ فيها بيِّن، وما دوّنها في ديوانه أحد من الثِّقات؛ وأحسَبها مما صنعه دارِمٌ لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا . قال فوَفد الفزاريُّ بامرئ القيس اليه . فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرةٍ وحشية رميَّة . فلما نظر اليها أصحابُه قاموا فذكَّوها . فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قَنَّاصين من بني ثُعَل[1] . فقالوا لهم : من أنتم ؟ فانتسبوا لهم، وإذا هم من جيران السموءل فانصرفوا جميعاً . وقال امرؤ القيس :

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ مُخرِجٍ كفَّيهِ من قُتَرَه[2]

(١) ثعل : قبيلة من طيىء .

(٢) القتر : جمع قترة وهي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش .

عارضٍ زَوراءَ من نَشَمٍ مع باناةٍ على وَتَرِهْ[١]

– هكذا في رواية ابن دارِم. ويُروى «غير باناةٍ» و«تحت باناةٍ» –.

إذ أتته الوحشُ واردةً فتثنّى النزعَ في يَسَرِهْ[٢]
فرماها في فرائصِها بإزاء الحوضِ أو عُقُرِهْ[٣]
بِرَهيشٍ[٤] من كِنانتِه كتلظّي الجمرِ في شَرَرِهْ
راشَه من ريشِ ناهضةٍ ثم أَمهاه على حَجَرِهْ[٥]
فهو لا تَنمِي رَمِيَّتُه[٦] ما لَهُ لا عُدَّ من نَفرِهْ

قال: ثم مضى القومُ حتى قدِموا على السَّموءل، فأنشده الشعرَ، وعرف لهم حقَّهم، فأنزل المرأة في قبَّة أَدَم وأنزل القومَ في مجلس له بَراحٍ؛ فكان عنده ما شاء الله. ثم إنه طلب اليه أَن يكتب له الى الحارث بن أَبي شَمِر الغسَّانيِّ بالشام ليوصله الى قيصر؛ فاستنجد له رجلًا، واستودع عنده المرأةَ والأدراعَ والمال، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمه. فمضى حتى انتهى الى قيصر؛ فقبِله وأكرمه وكانت له عنده منزلة. فاندسّ رجل من بني أسد يقال له الطمّاح، وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد، حتى أتى الى بلاد الروم فأقام مستخفياً.

---

(١) زوراء: معوجة. والنشم: شجر تتخذ منه القسي.

(٢) واردة: عطاشاً. وتثنى: انعطف.

(٣) الفرائص: جمع فريصة وهي التي ترعد من الدابة عند مرجع الكتف تتصل بالفؤاد. وإزاء الحوض: مصب الماء فيه. وعقره: موضع الشاربة.

(٤) الرهيش: السهم الضامر الخفيف.

(٥) الناهض الذي وفر جناحه ونهض للطيران.

(٦) اي لا ترتفع.

ثم إن قيصر ضمّ اليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قومُ غدرٍ ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثتَ معه. وقال ابن الكلبيّ: بل قال له الطماح: إنّ امرأ القيس غَوِيٌّ عاهرٌ وإنه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتَك ويواصلها، وهو قائل في ذلك أشعاراً يُشهِرها بها في العرب فيفضَحُها ويفضحُك. فبعث اليه حينئذٍ بحُلّة وَشيٍ مسمومةٍ منسوجةٍ بالذهب وقال له: إني أرسلت اليك بحُلّتي التي كنت أَلبَسُها تَكرِمةً لك، فإذا وصلتْ اليك فألبَسها باليُمن والبركة، واكتب إليَّ بخبرك من منزلٍ منزلٍ. فلما وصلتْ اليه لبِسها واشتدّ سرورُه بها؛ فأسرع فيه السمّ وسقط جلده؛ فلذلك سمّي ذا القُروح، وقال في ذلك:

لقد طمَح الطمّاح من بُعد أرضه ليُلبِسَني مما يلبّس أبؤسا
فلو أنها نفسٌ تموت سَويّةً ولكنّها نفسٌ تَساقَطُ أنفُسا

قال: فلما صار الى بلدة من بلاد الروم تُدعى أَنقِرةَ احتُضِر بها؛ فقال:

رُب خُطبةٍ مُستَنفِرَهْ وطَعنةٍ مُثعَنجِرَهْ
وجَفنةٍ متحيِّره حَلّت بأرض أَنقِره

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفنت في سَفح جبل يقال له عَسيب؛ فسأل عنها فأخبر بقصّتها، فقال:

أجارتنا إنّ المزارَ قريبُ وإنّي مقيمٌ ما أقام عَسِيبُ
أجارتنا إنّا غريبانِ هاهنا وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

ثم مات فدُفن الى جنب المرأة، فقبرُه هناك.

أخبرني محمد بن القاسم عن مُجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عُمَير قال:

قَدِم علينا عمر بن هُبَيرة الكوفة، فأرسل الى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمَروا عنده، ثم قال: ليحدِّثني كلُّ رجل منكم أحدوثةً وابدأ أنت يا أبا عمر. فقلت: أصلح الله الأمير! أحديثَ الحقِّ أم حديثَ الباطل؟ قال: بل حديثَ الحق. قلت: إنّ امرأ القيس آلى بأَلِيَّة ألّا يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين؛ فجعل يخطب النساء، فإذا سألهنّ عن هذا قلن أربعةَ عشر. فبينما هو يسير في جَوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً له صغيرةً كأنها البدر ليلة تمامه، فأعجبته؛ فقال لها: يا جارية! ما ثمانيةٌ وأربعةٌ واثنتان؟ فقالت: أمّا ثمانيةٌ فأطباء الكلبة. وأمّا أربعةٌ فأخلاف الناقة. وأمّا اثنتان فثَديا المرأة. فخطبها الى أبيها فزوّجه إيّاها. وشرَطت هي عليه أن تسأله ليلةَ بِنائها عن ثلاث خِصال، فجعل لها ذلك، وأن يسوق اليها مائةً من الإبل وعشرةَ أعبُدٍ وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك. ثم إنه بعث عبداً له الى المرأة وأهدى اليها نِحْياً[1] من سمن ونِحياً من عسل وحُلّةً من عَصْب. فنزل العبد ببعض المياه فنشَر الحُلّة ولبِسها فتعلّقت بعُشَرَةٍ فانشقّت، وفتح النِّحيين فطَعم أهلُ الماء منهما فنقصا. ثم قَدِم على حيّ المرأة وهم خُلوف[2]. فسألها عن أبيها وأمِّها وأخيها ودفع اليها هديّتها. فقالت له: أعلِم مولاك أن أبي ذهب يُقرّب بعيداً ويُبعِّد قريباً، وأن أُمّي ذهبت تَشُقّ النفسَ نَفسَين، وأنّ أخي يراعي الشمس، وأن سماءكم انشقّت، وأنّ وعاءيكم نَضَبا. فقدِم الغلامُ على مولاه فأخبره. فقال: أمّا قولُها إنّ أبي ذهب يقرّب بعيداً ويبعِّد قريباً، فإنّ أباها ذهب يُحالف قوماً على قومه. وأمّا قولُها ذهبتْ أمّي تشقُّ النفس نفسين، فانّ أمَّها ذهبتْ تَقبَل امرأةً نُفَساء. وأمّا قولُها: إنّ أخي يُراعي الشمس، فإنّ أخاها في سَرْحٍ له يرعاه فهو ينتظر وُجوبَ الشمس ليَرُوحَ به. وأمّا قولُها: إن سماءكم انشقّت، فإن البُرْد الذي بعثتُ به انشقّ. وأما قولُها إن وِعاءيكم نَضَبا، فإنّ النِّحيين اللذين بعثتُ بهما نقصا،

---

(١) النحي: الزق.

(٢) خلوف: غيّب.

فاصدُقني . فقال : يا مولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتُهم أني ابن عمّك، ونشرتُ الحلّة فانشقّتْ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهلَ الماء . فقال : أولى لك ! ثم ساق مائةً من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلامُ، فنزلا منزلًا . فخرج الغلام يسقي الإبل فعجَز؛ فأعانه امرؤ القيس؛ فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أتى المرأةَ بالإبل، وأخبرهم أنه زوجُها . فقيل لها : قد جاء زوجك . فقالت : واللهِ ما أدري أزوجي هو أم لا ! ولكن انحَروا له جَزُوراً وأطعِموه من كَرِشها وذَنَبها ففعلوا . فقالت : اسقوه لبناً حازِراً (وهو الحامض) فسقَوه فشرب . فقالت : افرُشوا له عند الفَرْث[1] والدم، ففرشوا له فنام . فلما أصبحتْ أرسلتْ اليه : إني أريد أن أسألك . فقال : سَلي عمَّا شئت . فقالت : مِمَّ تختلج شَفَتاك ؟ قال : لتقبيلي إيّاك . قالت : فمِمّ يختلج كَشحاك ؟ قال : لالتزامي إيّاك . قالت : فمِمّ يختلج فَخِذاك ؟ قال : لتورُّكي إياك . قالت : عليكم العبدَ فشُدُّوا أيديَكم به، ففعلوا . قال : ومرَّ قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر؛ فرجع الى حَيِّه، فاستاق مائةً من الإبل وأقبل الى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجُك . فقالت : والله ما أدري أهو زوجي أم لا، ولكن انحروا له جَزُوراً فأطعِموه من كَرِشها وذَنَبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك قال : وأين الكَبِد والسنام والمَلحاء[2] ! فأبى أن يأكل . فقالت : اسقُوه لبناً حازِراً . فأبى أن يشربه وقال : فأين الصَّريف[3] والرَّثيئة ! فقالت : افرُشوا له عند الفَرث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لي فوقَ التَّلعة الحمراء، واضربوا عليها خِباء . ثم أرسلت اليه : هلُمَّ شَريطتي عليك في المسائل الثلاث . فأرسل اليها أن سَلِي عمَّا شئت . فقالت : ممّ تختلج شَفَتاك قال : لشربي المُشعشَعات . قالت : فمّ يختلج كَشحاك، قال : لِلُبسي

---

(١) الفرث : السرجين ما دام في الكرش .

(٢) الملحاء : لحم في الصلب من الكاهل الى العجز من البعير .

(٣) الصريف : الحليب الحار ساعة يصرف عن الضرع . والرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته .

الحبرات . قالت : فمّ تحتلج فَخِذاك ؟ قال : لِركضي المُطهَّمات . فقالت : هـذا زوجي لعمري ! فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن هُبيرة : حَسبُكم ! فلا خيرَ في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ؛ ولن تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا . وأمر لي بجائزة .

نسخت من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطه رحمه الله حدثني الحسن بن سعيد عن أبي عُبيدة قال أخبرني سِيبَوَيه النحويّ أن الخليل بن أحمد أخبره قال :

قدِم على امرئ القيس بن حُجر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بني أَسد كهولٌ وشُبّان ، فيهم المهاجر بن خِداش بن عمّ عَبيد بن الأبرص ، وقَبيصة بن نُعَيم ، وكان في بني أسد مقيماً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وِرداً وإصداراً يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب . فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقدّم بإكرامهم والإفضال عليهم ، واحتجب عنهم ثلاثاً . فسألوا من حضرهم من رجال كندة ، فقال : هو في شُغل بإخراج ما في خزائن حُجر من السلاح والعُدّة . فقالوا : اللهم غفراً ، إنما قَدِمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلَف ونستدرك به ما فرَط ، فليُبَلِّغ ذلك عنّا . فخرج عليهم في قَباء وخُفّ وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تَعتَمّ بالسَّواد إلا في التِرات . فلما نظروا اليه قاموا له ، وبدَر اليه قَبيصةُ : إنك في المحلّ والقَدر والمعرفة بتصرُّف الدهر وما تُحدِثه أيّامه وتتنقّل به أحواله بحيث لا تحتاج الى تبصير واعظٍ ولا تذكرة مجرّب . ولك من سؤدُد مَنصِبك وشَرَف أعراقك وكرم أصلك في العرب مُحتَمَلٌ يحتمل ما حُمل عليه من إقالة العَثرة ، ورجوع عن هفوة . ولا تتجاوز الهِمَمُ إلى غاية إلا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمّت رَزِيّتُه نِزاراً واليمن ، ولم تَخُصّ كِندة بذلك دوننا للشَّرَف البارع . كان لحُجرٍ التاجُ والعِمّة فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطِيبُ الشِّيَم . ولو كان يُفدى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده لما بَخِلت كرائمنا على مثله ببذل

ذلك ولفديناه منه ، ولكن مضى به سبيل لا يَرجِع أولاه على أُخراه ولا يَاحَق أقصاه أدناه . فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجبَ عليك في إحدى خلال : إمَّا أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المَكرُمات صَوتاً ، فقُدْناه اليك بنِسعِه[1] تذهبُ مع شَفراتِ حُسامك قَصدَتُهُ فيقول رجلٌ : أمتُحِن بهُلك عَزيز فلم تُستَلَّ سَخيمتُه إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداءً بما يَروح من بني أسد من نَعَمِها فهي ألوفٌ تجاوز الحِسبة فكان ذلك فداءً رجعتْ بـه القُضُب الى أجفانها لم يَردُده تسليط الإحَن على البُرءاء ؛ وإما أن تُوادِعَنا حتى تضع الحواملُ فنسدُل الأزُرَ ونعقِد الخُمُرَ فوق الرايات . قال : فبكى ساعةً ثم رفع رأسه فقال : لقد علمت العربُ أن لا كُفْءَ لحُجر في دم ، وإني لن أعتاض به جملًا أو ناقةً فاكتسبَ بذلك سُبَّةَ الأبد وفَتَّ العَضُد . وأما النَّظِرة[2] فقد أوجبتْها الأجنَّةُ في بطون أُمّهاتها ، ولن أكون لعَطَبها سبباً ، وستعرفون طلائع كِندةَ من بعد ذلك ، تحمل القلوب حَنَقاً وفوق الأسِنَّة عَلَقا[3] .

إذا جالت الخيل في مأزِقٍ تُصافح فيـه المنايا النفوسا

أتُقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسوإ الاختيـار ، وأبلى الاجترار لمكروه وأذيَّة ، وحرب وبليَّة . ثم نهضوا عنه ، وقَبيصةُ يقول متمثِّلًا :

لعلك أن تستوخمَ[4] الموتَ إن غدتْ كتائبنـا في مأزِق الموت تَمطُرُ

فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ؛ فرويداً ينكشف لك دُجاها عن فُرسان

---

(١) النسع : سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره .

(٢) النظرة : الإمهال .

(٣) العلق : الدم .

(٤) استوخم الشيء : لم يستمرئه .

كِندة وكتائب حِميَر . ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنتَ نازلًا برَبعي ؛ ولكنك قلتَ فأجبتُ . فقال قَبيصة : ما نتوقّع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال امرؤ القيس : فهو ذاك .

أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة

أَخبرني محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر قال حدثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أَبيه ، وأَخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعي قال حدثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، وأَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أَبيه ، وأَخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه عن إسحاق :

أن مَعبداً كان يسمي صوتَه :

هُرَيرةَ ودِّعها وإن لام لائم

الدَّوَّامةَ لكثرة ما فيه من الترجيع . ويسمّي صوتَه :

عاود القلبَ من تذكُّرِ جُمْلِ

المُنَمْنَم . ويسمّي صوتَه :

أَمِنْ آل ليلى بالمَلَا مُتَرَبَّع

معقِّصات القُرون أي يحرّك خُصَلَ الشعر . ويسمي صوتَه :

جعــل الله جعفراً لك بَعلًا

المتبختِر . ويسمي صوته :

ضوءُ بَرْقٍ بدا لعينيك أم شَبَّت بذي الأَثْلِ من سلامةَ نارُ

مقطِّع الأثفار .

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

هُرَيرةَ وَدِّعْها وإن لام لائمُ غداة غدٍ أم أنت للبَين واجمُ
لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثَوَيتُه تقضّى لُبانات ويسأم سائمُ
مُبتَّلةٌ هَيفاء رُودٌ شبابُها لها مقلتا ريمٍ وأسودُ فاحمُ
ووجهٌ نقيُّ اللَّون صافٍ يَزينه مع الحَلْيِ لَبَّاتٌ لها ومَعاصِمُ

الواجم : الساكت المُطرِق من الحزن ، يقال : وَجم يَجِم وُجوماً . وقوله : « لقد كان في حول ثواء ثويته » : قال الكوفيون : أراد لقد كان في ثواء حول ثويته ، فجعل ثواء بدلًا من حول . وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلَّام عن يونس قال : كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى :

لقد كان في حول ثواء ثويته

جدًّا ويقول : ما أعرف له معنى ولا وجهاً يصحُّ . قال أبو خليفة : وأما أبو عبيدة فإنه قال : معناه لقد كان في ثواء حول ثويته . واللُّبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد . والمبتَّلة : الحسنة الخلق . والهَيفاء : اللطيفة الخصر . والرِّئم : الظبي . والفاحم : الشديد السواد . وقال : لبَّاتٌ لها وإنما لها لَبَّة واحدة ولكنّ العرب تقول ذلك كثيراً ؛ يقال : لها لبَّاتٌ حِسانٌ ، يراد اللَّبَّةُ وما حولها . والمعاصم : موضع الأسْورَة ، وواحدها مِعصَم .

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد ، وله فيه لحنان ، أحدهما وهو الملقَّبُ بالدوّامة خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر ثقيل عن الهشاميّ وابن خُرْداذْبه .

أخبار الأعشى ونسبه

نسبه وكنيته :

الأعشى هو ميمون بن قَيس بن جَندل بن شَراحيل بن عَوف بن سَعد بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلبة الحِصن بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل ابن قاسِط بن هِنب بن أفصى بن دُعميّ بن جَديلة بن أَسد بن ربيعة بن نِزار . ويُكنى أبا بَصير . وكان يقال لأبيه قيس بن جَندل قَتيلُ الجوع سمي بذلك لأنه دخل غاراً يستظل فيه من الحرّ ، فوقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدّت فمَ الغار فمات فيه جُوعاً . فقال فيه جُهنَّام واسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوه وكانا يتهاجيان :

أبوكَ قَتيلُ الجوعِ قَيسُ بن جَندلٍ وخالُك عبدٌ من خُماعةَ راضعُ[1]

شاعر جاهلي :

وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدّم على سائرهم ، وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره .

أشعر الناس اذا طرب :

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلَّام قال سألت يونس النحوي : مَن أشعرُ

---

(١) خماعة : بطن من العرب سموا باسم خماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة. والراضع : اللئيم.

الناس ؟ قال : لا أُومىء الى رجل بعينه ولكني أقول : امرؤ القيس إذا غَضِب ، والنابغة إذا رهِب ، وزهيرٌ إذا رغِب ، والأعشى إذا طرِب .

أخبرني ابن عَمَّار عن ابن مهرويه عن حُذَيفة بن محمد عن ابن سَلَّام بمثله .

أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سَعد قال حدثنا علي بن الصبَّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكين :

أن حسَّانا سُئل : من أشعرُ الناس ؟ فقال : أشاعر بعينه أم قبيلة ؟ قالوا : بل قَبيلة . قال : الزُّرْق من بني قَيْس بن ثَعْلبَة . وهذا حديث يُروى أيضاً عن غير حسَّان .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار عن ابن مَهرويه قال حدثنا عبدة بن عِصمة عن فِراس بن خِندِف عن علي بن شفيع قال :

إني لواقفٌ بسوق حَجرٍ (١) إذ أنا برجلٍ من هيئته وحاله عليه مُقطَّعاتُ خَزٍّ وهو على نجيب مَهريّ عليه رَحل لم أرَ قطُّ أحسن منه وهو يقول : من يُفاخرني من يُنافرني ببني عامر بنِ صَعصعة فُرساناً وشعراءَ وعَدداً وفَعالًا ؟ ! قلت : أنا . قال : بمن ؟ قلت : ببني ثَعلبة بن عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر ابن وائل . فقال : أَما بلغك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المنافرة ؟ ثم ولّى هارباً . قلت : مَن هذا ؟ قيل : عبد العزيز بن زُرارة بن جَزء ابن سُفيان الكِلابيّ .

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيُّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال :

---

(١) حجر : مدينة باليمامة .

قال أبو عُبيدة : مَن قدّم الأعشى يَحتجُّ بكثرة طِواله الجِياد وتصرُّفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر ، وليس ذلك لغيره . ويقال : هو أوّل من سأل بشعره ، وانتجع به أقاصيَ البلاد . وكان يُغنَّى في شعره ؛ فكانت العرب تُسَمّيه صَنّاجةَ العرب .

أخبرني المهلّبي والجوهريّ قالا حدثنا عمر بن شبّة قال : سمعت خَلّاداً الأرقط يقول سمعت خَلَفاً الاحمر يقول :

لا يُعرف مَن أشعرُ الناس كما لا يُعرف مَن أشجعُ الناس ولا مَن كذا ولا من كذا ، لأشياء ذكرها خَلَفٌ ونسيتُها أنا . أبو زيد عمر بن شبّة يقول هذا .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثني عمي يوسف قال حدثني عمي إسماعيل ابن أبي محمد قال أخبرني أبي قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقدّم الأعشى .

وقال هشام بن الكلبيّ أخبرني أبو قَبيصة المُجاشعيُّ أن مَروان بن أبي حَفصة سئل : مَن أشعرُ الناس ؟ قال : الذي يقول :

كِلَا أبَوَيكم كان فرعَ دِعامةٍ ولكنهم زادوا وأصبحتَ ناقصاً

يعني الأعشى .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال حدثني عمي قال قال سَلمة بن نَجاح أخبرني يحيى بن سُليم الكاتب قال :

بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حمّاد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء . قال : فأتيت بابَ حمّاد فاستأذنت وقلت : يا غلام ! فأجابني إنسانٌ من أقصى بيتٍ في الدار فقال : مَن أنت ؟ فقلتُ : يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين .

قال : أدخل رحِمَك الله ! فدخلتُ أَتسمَّتُ[١] الصوتَ حتى وقفتُ على باب البيت ، فإذا حَمَّادٌ عُريانٌ على فَرجه دَسْتَجةٌ[٢] شاهسفرم . فقلت : إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس . فقال : نعم ! ذلك الاعشى صَنَّاجُها .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال سمعت أبا عُبيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : عليكم بشعر الاعشى ؛ فإني شبَّهتُه بالبازي يَصيد ما بين العَندليب الى الكُركي .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال سمعت أبا عُبيدة يقول :

بلغني أن رجلًا من أهل البصرة حجَّ — وروى هذا الحديثَ ابنُ الكلبيّ عن شُعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النحويّ عن رجل من أهل البصرة أنه حجّ — قال فإني لأَسيرُ في ليلةٍ إضحِيانةٍ[٣] إذ نظرتُ الى رجلٍ شابٍّ راكب على ظليم قد زَمّه بخطامه وهو يذهب عليه ويجيء ، وهو يرتجز ويقول :

هل يُبلِغَنّيهم إلى الصَّباح هِقلٌ[٤] كأن رأسه جُمَّاحْ

— الجُمَّاح : أَطراف النبت الذي يسمى الحَلِيَّ وهو سُنبُله ، إلا أنه ليس بخشِن يُشبِه أذناب الثعالب[٥] . قال : والجُمَّاح أيضاً سُهَيم يلعب به الصِّبيان يجعلون مكان زُجِّه طيناً — قال : فعلمتُ أنه ليس بإنسيّ ، فاستوحشتُ منه . فتردّد

---

(١) تسمت الشيء : قصد نحوه .

(٢) الدستجة : الحزمة . والشاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السلطاني .

(٣) ليلة إضحيانة : مضيئة .

(٤) الهقل : الفتي من النعام .

(٥) ذنب الثعلب : نبات على هيئة أذناب الثعالب .

عليّ ذاهباً وراجعاً حتى أنِستُ به ؛ فقلت : مَن أشعرُ الناس يا هـذا ؟ قال : الذي يقول :

وما ذَرَفتْ عيناكِ إلّا لتضربي بسَهْمَيكِ في أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ

قلت : ومَن هو ؟ قال : امرؤ القيس . قلت : فمن الثاني ؟ قال : الذي يقول :

تَطرُدُ القُرَّ بِجَـرٍّ ساخنٍ وعَكيكَ[1] القَيظِ إن جاء بِقُرّْ

قلت : ومن يقوله ؟ قال : طَرَفةُ . قلت : ومَنِ الثالث ؟ قال : الذي يقول :

وتـبرُد بردَ رِداء العَرُو سِ بالصَّيف رَقرقتَ[2] فيه العَبيرا

قلت : ومَن يقوله ؟ قال : الأَعشى ؛ ثم ذهب به .

أَخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدثني أبو عَدنان قال وقال لي يحيى بن الحَوْن العَبديُّ راويةُ بشّار : نحن حاكّةُ الشِّعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلمُ الناس به ، أعشى بني قيس بن ثعلبة أستاذ الشعراء في الجاهلية ، وجريرُ بن الخَطَفى أُستاذهم في الإسلام .

حديث الشعبي عنه :

أَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال حدثنا الرّياشي قال :

قال الشعبيُّ : الأَعشى أغزلُ الناس في بيت، وأخنثُ الناس في بيت، وأشجع الناس في بيت . فأما أغزلُ بيتٍ فقوله :

---

(١) العكيك : صفة من العك او العكك وهو شدة الحر في سكون الريح .

(٢) رقرق الطيب في الثوب : أجراه فيه .

غَرّاءُ فَرعاءُ مصقولٌ عوارُضها تَمشي الهُوَينا كما يمشي الوَجي الوَحِلُ[1]

وأمّا أخنثُ بيت فقوله :

قالت هُرَيرة لمّا جئتُ زائرَها وَيلي عليك ووَيلي منك يا رجلُ

وأما أشجعُ بيت فقوله :

قالوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتُنا أو تنزلون فإنا مَعشَرٌ نُزُلُ

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهيثم ابن عديّ أن حمّادا الراوية سُئل عن أشعر العرب ، قال الذي يقول :

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحانِ مُتَّكئاً وقَهوةً مُزَّةً راووقُها خَضِلُ

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدثنا أبو عليّ العنزيّ قال حدثني محمد بن معاوية الأسديّ قال حدثني رجلٌ عن أبانَ بن تَغلِب عن سِماك بن حَرْب قال قال لي يحيى بن مَتّى راويةُ الأعشى وكان نَصرانيّاً عِباديّاً وكان مُعَمَّراً قال :

كان الأعشى قَدَرِيّاً[2] وكان لَبِيدٌ مُثبتاً . قال لبيد :

مَن هَداه سُبُلَ الخيرِ اهتدى ناعمَ البالِ ومَن شاء أضَلّْ

---

(١) الوجي : وصف من الوجي، وهو أن يجد ألماً في رجليه عند المشي . والوحل : الماشي في الوحل .

(٢) المزة والمزاء : التي فيها مزازة . والراووق : الباطية، أي إناء الخمر .

(٣) القدرية : جاحدو القدر أي ينكرون أن الله قدّر على عباده الشر .

وقال الأعشى :

استأثر اللهُ بالوفاء وبالـــعَدل ووَلّى المَلامةَ الرَّجُلا

قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبَه ؟ قال : من قِبَل العِبادِيّين نصارى الحيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقّنوه ذلك .

هريرة عشيقته :

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال حدثنا أبو شُراعة في مجلس الرّياشيّ قال حدثنا مشايخ بني قَيس بن ثعلبة قالوا :

كانت هُرَيرة التي يُشبِّبُ بها الأعشى أَمَةً سَوداءَ لحسّان بن عمرو بن مَرثَد .

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثنـا ابو حاتم عن أبي عُبيدة عن فِراس بن الخِندِف قال :

كانت هُرَيرة وخُلَيدةُ أختين قَينتين كانتا لبشر بن عمرو بن مَرثَد ، وكانتا تغنّيانه النَّصبَ[1] ، وقَدِم بهما اليمامةَ لمّا هرَب من النُّعمان . قال ابن دُرَيد فأخبرني عمي عن ابن الكلبيّ بمثل ذلك .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ عن الرّياشيّ مما أجازه له عن العُتبيّ عن رجل من قيس عَيلان قال :

كان الأعشى يُوافي سُوقَ عُكاظ في كل سنة ، وكان المُحلِّق الكِلابيُّ

(١) النصب : ضرب من اغاني العرب شبيه بالحداء .

مِئناثاً[1] مُملِقاً. فقالت له امرأته: يا أبا كِلاب، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر! فما رأيتُ أحداً اقتطعه الى نفسه إلّا وأكسبه خيراً. قال: وَيحكِ! ما عندي إلا ناقتي وعليها الحِمل! قالت: الله يُخلِفها عليك. قال: فهل له بُدٌّ من الشَّراب والمُسوح[2]؟ قالت: إن عندي ذخيرةً لي ولعلّي ان أجمعها. قال: فتلقّاه قبل أن يسبِق اليه أحدٌ وابنه يقوده فأخذ الخِطام؛ فقال الأعشى: مَن هذا الذي غلَبنا على خِطامنا؟ قال: المحلّق. قال شريفٌ كريمٌ ثم سلّمه اليه فأناخه؛ فنحرَ له ناقته وكشَط له عن سَنامِها وكَبِدها، ثم سقاه، وأحاطت بناته به يَغمِزنه ويَمسَحنه. فقال: ما هذه الجواري حَولي؟ قال: بناتُ أخيك وهنّ ثمانٍ شَريدتُهنّ قليلة. قال: وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً. فلما وافى سوقَ عُكاظ إذا هو بسَرحة قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى يُنشدهم:

لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ... الى ضوء نار باليَفاع تَحرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَين يصطليانها ... وبات على النار النَّدى والمُحلَّق
رَضيعَيْ لِبانِ ثَدْيِ أمٍّ تحالفا ... بأسحَمَ[3] داجٍ عَوْضُ لا نَتفرَّق

فسلّم عليه المحلّق؛ فقال له: مَرحَباً يا سيّدي بسيّد قومه. ونادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مِذكارٌ[4] يزوّج ابنه الى الشريف الكريم! قال: فما قام من مقعده وفيهنّ مخطوبةٌ إلا وقد زوّجها. وفي اول القصيدة غناء وهو:

صوت

أَرِقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ ... ومالِيَ من سُقْمٍ وما بِيَ مَعشَقُ

---

(١) المئناث: الذي اعتاد أن يلد الإناث.

(٢) المسوح: جمع مسح وهو كساء من شعر كثوب الرهبان.

(٣) بأسحم داج: قيل المراد به الليل، وقيل سواد حلمة الثدي. وعوض: أبدا.

(٤) المذكار: الذي اعتاد ان يلد الذكور.

ولكن أراني لا أزال بحادثٍ أُغادى بما لم يُمسِ عندي وأُطرَقُ

غنّاه ابن مُحرِز خفيفَ ثقيلٍ اول بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ ليونس من كتابه غيرُ مجنّس . وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو .

أخبرني أبو العباس اليزيديُّ قال حدثني عمي عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفضَّل قال :

إسم المحلَّق عبدُ العُزّى بن حَنتَم بن شَدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن عُبيد وهو أبو بكر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعصعة . وإنما سُمّي مُحلَّقاً لأن حصاناً له عضّه في وجنته فحلَّق فيه حَلقة .

قال : وأنشد الأعشى قصيدته هذه كِسرى ففُسِّرت له؛ فلما سمعها قال : إن كان هذا سِهر لغير سُقْم ولا عِشق فما هو إلا لصّ .

وذكر عليّ بن محمد النَّوفليُّ في خبر المحلَّق مع الأعشى غيرَ هذه الحكايات، وزعم أن أباه حدَّثه عن بعض الكِلابيّين من أهل البادية قال :

كان لأبي المحلَّق شَرَفٌ فمات وقد أتلف ماله، وبقي المحلَّق وثلاثُ أخواتٍ له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وحُلَّتَيْ بُرودٍ حِبَرة كان يشهد فيهما الحقوق . فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزلَه باليمامة ، فنزل الماء الذي به المحلَّق، فقراه أهلُ الماء فأحسنوا قِراه . فأقبلت عمّة المحلَّق فقالت : يابنَ أخي ! هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهلُ الماء ، والعرب تزعم أنه لم يمدَح قوماً إلّا رفَعهم، ولم يهجُ قوماً إلا وضَعهم؛ فانظر ما أقول لك واحتلْ في زِقٍّ من خمر من عند بعض التُّجّار فأرسِل اليه بهذه الناقة والزِّقِّ وبُرديْ أبيك ؛ فوالله لئن اعتلج الكَبِدُ والسَّنام والخمرُ في جوفه ونظر الى عِطفَيه في البردين ، ليقولنّ فيك شعراً

يرفعك به . قال : ما أملِك غير هذه الناقة، وأنا أتوقّع رِسلها[1] . فأقبل يدخل ويخرُج ويَهُمّ ولا يفعل؛ فكلّما دخل على عمّته حضّتْه؛ حتى دخل عليها فقال : قد ارتحل الرجلُ ومضى . قالت : الآنَ واللهِ أحسنُ ما كان القِرى ! تُتبِعه ذلك مع غلام أبيك — مولًى له أسودَ شيخٍ — فيتبعه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إيّاه، وأنّك لمّا وردتَ الماءَ فعلمتَ أنه كان به كرِهتَ أن يفوتك قِراه؛ فإن هذا أحسن لموقعه عنده . فلم تزل تحضّه حتى أتى بعضَ التُّجار فكلّمه أن يُقرِضه ثمن زقّ خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مرّ بماء قيل : ارتحل أمسِ عنه، حتى صار الى منزل الأعشى بمنفوحةِ اليمامة فوجد عنده عدّة من الفِتيان قد غدّاهم بغير لحم وَصبّ لهم فَضِيخاً[2] فهم يشرَبون منه، إذ قُرِع الباب فقال : انظروا مَن هذا ؟ فخرجوا فإذا رسول المحلّق يقول كذا وكذا . فدخلوا عليه وقالوا : هذا رسول المحلّق الكلابيّ أتاك بكيت وكيت . فقال : وَيحكم ! أعرابيٌّ والذي أرسل إليّ لا قَدْرَ له ! والله لئن اعتلج الكبدُ والسَّنام والخمر في جوفي لأقولنّ فيه شعراً لم أقلْ قطُّ مثلَه . فواثبه الفتيان وقالوا : غبتَ عنّا فأطلتَ الغَيبة ثم أتيناك فلم تُطعمنا لحماً وسقيتَنا الفَضيخَ واللحمُ والخمرُ ببابك، لا نرضى بذا منك . فقال : ائذنوا له؛ فدخل فأدّى الرسالة وقد أناخ الجزُورَ بالباب ووضع الزّقّ والبردين بين يديه . قال : أقرِه السلامَ وقل له : وَصلتْك رَحِمٌ، سيأتيك ثناؤنا . وقام الفتيانُ الى الجزور فنحروها وشقُّوا خاصرتَها عن كبدها وجلدها عن سَنامها ثم جاءوا بهما، فأقبلوا يَشوُون، وصبُّوا الخمر فشربوا، وأكل معهم وشرب ولبس البُردين ونظر الى عِطفيه فيهما فأنشأ يقول :

أرِقتُ وما هذا السهادُ المؤرّق

---

(١) الرسل : اللبن .

(٢) الفضيخ : شراب يتخذ من بسر مفضوخ وهو أن يجعل التمر في إناء ثم يصب الماء الحار عليه حتى تستخرج حلاوته .

حتى انتهى الى قوله :

أَبا مِسمَعٍ سار الذي قد فعلتم فأنجد أَقوامٌ به ثم أَعرَقوا [١]
به تُعقَد الأحمالُ في كلِّ منزلٍ وتُعقَد أطرافُ الحبالِ وتُطلَق

قال : فسار الشعر وشاع في العرب . فما أتت على المحلَّق سنةٌ حتى زَوّج أخواته الثلاثَ كلَّ واحدة على مائة ناقة، فأَيسر وشَرُف .

وذكر الهيثم بن عديّ عن حَمّاد الراوية عن مَعقِل عن أَبي بكر الهلاليّ قال :

خرج الأعشى الى اليمن يريد قيسَ بن معد يكرب ، فمرَّ ببني كِلاب ، فأصابه مطرٌ في ليلة ظَلماء، فأَوى الى فتًى من بني بكر بن كِلاب ، فبصُر به المحلَّق وهو عبد العُزَّى بن حَنتَم بن شَدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن عُبيد بن كِلاب وهو يومئذٍ غلامٌ له ذُؤابة، فأتى أمَّه فقال : يا أمَّه ! رأيت رجلًا أخلِق به أن يَكسبَنا مجداً . قالت : وما تريد يا بُنيّ ؟ قال : نُضيفه الليلة . فأعطته جِلبابَها فاشترى به عشِيراً [٢] من جَزُور وخمراً ؛ فأتى الأعشى، فأخذه اليه، فطعِم وشرِب واصطلى، ثم اصطبح فقال فيه :

أرِقتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ

والرواية الأولى أصحّ .

أخبرني أحمد بن عَمّار قال حدثنا يعقوب بن نُعَيم قال حدثنا قَعنَب بن المُحرِز عن الأصمعيّ قال حدثني رجلٌ قال :

---

(١) أعرقوا : أتوا العراق .

(٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء كالعشر .

جاءت امرأةٌ الى الأعشى فقالت: إنّ لي بناتٍ قد كسَدن عليّ، فشبِّبْ بواحدة منهنّ لعلها أن تَنفُق. فشبَّب بواحدة منهنّ، فما شعَر الأعشى إلا بجزور قد بُعِثَ به اليه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: زُوِّجتْ فلانةُ. فشبّبَ بالأخرى فأتاه مثلُ ذلك، فسأل عنها فقيل: زُوِّجتْ. فما زال يُشبِّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوِّجنَ جميعاً.

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن أبي سَعيد الأمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال:

هجا الأعشى رجلًا من كَلْب فقال:

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ولستَ من الكِرام بني عُبيدِ
ولا من رَهط جبّارِ بن قُرْطٍ ولا من رَهط حارثةَ بن زيد

— قال: وهؤلاء كلُّهم من كلب — فقال الكلبيّ: لا أبا لك! أنا أشرف من هؤلاء. قال: فسبَّه الناس بعدُ بِهجاء الأعشى إيّاه، وكان متغيّظاً عليه. فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأَسر منهم نفَراً وأسر الأعشى وهو لا يعرِفه، ثم جاء حتى نزل بشُرَيح بن السموءل بن عادِياء الغَسّانيّ صاحبِ تَيماءَ بحِصنه الذي يقال له الأبلق. فمرّ شُرَيحٌ بالأعشى؛ فناداه الأعشى:

شُرَيحُ لا تَتركَنّي بعد ما عَلِقَتْ حبالُك اليومَ بعد القِدّ أظفاري
قد جُلتُ ما بين بانِقيا[1] الى عَدَنٍ وطال في العُجْمِ تَردادي وتَسياري
فكان أكرَمهم عهداً وأوثقَهم مجداً أبوك بعُرفٍ غيرِ إنكار
كالغيث ما اَستمطروه جاد وابلُه وفي الشدائد كالُمستأسِد الضاري
كُن كالسموءل إذ طاف الُهمامُ به في جَحفلٍ كهزيع الليل جرّار

(١) بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة.

إذ سامه خُطَّتَيْ خَسفٍ فقال له قل ما تشاء فإني سامعٌ حارِ
فقال غدرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمختار
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له أُقتُل أسيرَك إني مانعٌ جاري
وسوف يُعقِبُنيه إن ظَفِرتَ به ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهار
لا سِرُّهنَّ لدينا ذاهبٌ هدَراً وحافظاتٌ إذا استُودِعنَ أسراري
فاختار أدراعَه كي لا يُسَبَّ بها ولم يكن وعدُه فيها بخَتَّار

— قال: وكان امرؤ القيس بن حُجر أودع السموءل بن عادياء أدراعاً مائةً، فأتاه الحارث بن ظالم — ويقال الحارث بن أبي شَمِر الغسَّانيّ — ليأخذها منه، فتحصّن منه السموءل؛ فأخذ الحارث ابناً له غلاماً وكان في الصيد، فقال: إمَّا أن سلَّمتَ الأدراعَ إليّ وإمَّا أن قتلتُ ابنَك. فأبى السموءلُ أن يُسلِم اليه الأدراع؛ فضرب الحارثُ وَسْطَ الغلام بالسيف فقطَعه قطعتين، فيقال: إن جريراً حين قال للفرزدق:

بسيفِ أبي رَغوانَ[1] سيفِ مُجاشِعٍ ضربتَ ولم تَضرِب بسيف ابن ظالم

إنما عنى هذه الضربة. فقال السموءل في ذلك:

وَفَيتُ بذمّة الكِنديّ إنّي إذا ما ذُمَّ أقوامٌ وَفَيتُ
وأوصى عادِياً يوماً بأن لا تُهدِّم يا سموءلُ ما بَنَيت
بَنى لي عادِياً حِصناً حَصيناً وماءً كلَّما شئتُ استقيت

— قال: فجاء شُرَيح الى الكلبيّ فقال له: هَبْ لي هذا الأسيرَ المضرور. فقال: هو لك، فأطلقه. وقال: أقِم عندي حتى أكرِمَك وأحبُوَكَ. فقال له الأعشى: إنّ من تمام صنيعتك أن تُعطيني ناقةً نجيبة وتُخلّيَني الساعة. قال:

(١) أبو رغوان: لقب مجاشع.

فأعطاه ناقةً فركِبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيَّ أَن الذي وَهب لشُرَيح هو الأعشى . فأرسل الى شُرَيح : ابعثْ إليّ الأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبُوَه وأُعطيَه . فقال : قد مضى . فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يَلحَقه .

حدثنا ابن عُلاثة عن محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا سليمان بن أَبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأمويّ عن محمد بن السائب قال :

أتى الأعشى الأسودَ العنسيَّ وقد امتدحه فاستبطأ جائزته . فقال الأسود : ليس عندنا عينٌ ولكن نُعطيك عَرَضاً ، فأعطاه خمسمائة مثقال دُهناً وخمسمائة حُلَلًا وعَنبراً . فلمَّا مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه ، فأتى عَلقمة بن عُلاثة فقال له : أَجِرني ؛ فقال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ والإنس ؟ قال نعم . قال : ومن الموت ؟ قال لا . فأتى عامرَ بن الطُّفيل فقال : أجِرني ؛ قال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ والإنس ؟ قال نعم . قال : ومن الموت ؟ قال نعم . قال : وكيف تُجيرني من الموت ؟ قال : إن متّ وأنت في جواري بعثتُ الى أهلك الدِّيَة . فقال: الآن علمتُ أنك قد أجرتَني من الموت . فمدح عامراً وهجا علْقمة . فقال علقمة : لو علمتُ الذي أَراد كنتُ أعطيته إياه .

قال الكلبيّ : ولم يهج علقمة بشيء أشدَّ عليه من قوله :

تَبِيتون في المَشتى مِلاءً بطونُكم وجاراتُكم غَرثى يَبِتنَ خمائصا

فرفع علقمة يديه وقال : لعنه الله ! إن كان كاذباً ! أنحن نفعل هذا بجاراتنا ! وأخبار الأعشى وعَلقمة وعامر تأتي مشروحةً في خبر مُنافرتهما إن شاء الله تعالى .

أَخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديُّ قال حدثني عمي عُبيد الله قال حدثني محمد ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل وغيره من أصحابه :

أنّ الأعشى تزوّج امرأة من عَنزةَ من هِزّان — قال : وعنزة هو ابن أسد ابن ربيعة بن نِزار — فلم يَرَضها ولم يستحسن خُلقها؛ فطلّقها وقال فيها :

بِيني حَصانَ الفَرجِ غيرَ ذَميمةٍ ومَوموقةً فينا كذاكِ ووامِقَهْ
وذُوقي فتى قومٍ فإنّيَ ذائقٌ فتاةَ أُناسٍ مثلَ ما أنتِ ذائقَه
لقد كان في فِتيانِ قومِكِ مَنكَحٌ وشُبّانِ هِزّانَ الطِّوالِ العَرانِقَه
فبِيني فإن البَين خيرٌ من العصا وإلّا تَرَيْ لي فوق رأسك بارقه
وما ذاكِ عندي ان تكوني دنيئةً ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقه
ويا جارتا بِيني فإنّك طالقه كذاكِ أمورُ الناس غادٍ وطارقه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثنا الحسين بن إبراهيم بن الحُرّ قال حدثنا المُبارَك بن سعيد عن سُفيان الثَّوريّ قال:

طلاقُ الجاهلية طلاق . كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومُها فضربوه وقالوا : طلّقها فقال :

أيا جارتا بِيني فإنّك طالقهْ كذاكِ أمورُ الناس غادٍ وطارقهْ

وذكر باقيَ الأبيات مثلَ ما تقدّم .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدثنا عبد الصَّمد بن عبد الوارث قال حدثنا عثمان البَرقيُّ في إسناد له قال :

أخذ قومٌ الأعشى فقالوا له : طلّق امرأتك؛ فقال :

أيا جارتا بِيني فإنّكِ طالقهْ كذاكِ أمور الناس غادٍ وطارقهْ

ثم ذكر نحوَ الخبر الذي قبله على ما قدّمناه .

في هذه الأبيات غناء نسبته :

صوت

فبيني فإنّ البينَ خيرٌ من العصا وإلّا تَرَيْ لي فوق رأسكِ بارقهْ
وما ذاك عندي أن تكوني دنيئةً ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقه
ويا جارتا بيني فإنّكِ طالقه كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقه

الشعر للأعشى . والغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن الهشاميّ . قال الهشاميُّ : وفيه لفُلَيح خفيفُ ثقيل بالوسطى لا يُشَكّ فيه من غِنائه . وذكر حَبَشٌ أن الثقيل الثاني لابن سُرَيج . وذكر عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنّ الخفيف الثاني المنسوب الى فُلَيح لأبيه عبد الله بن طاهر . وهذا الصوت يُغنّى في هذا الزمان على ما سمعناه :

أيا جارتا دُومي فإنّك صادَقهْ ومومقةٌ فينا كذاك وواسِقهْ
ولم نفترق أن كنتِ فينا دنيئةً ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقه

وأحسَبه غُيِّر في دُور الطاهريّة على هذا .

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثني سَوّار بن أبي شُراعة قال حدثني أبي عن مسعود بن بِشر عن أبي عُبيدة قال :

دخل الأخطل على عبد الملك بن مَروان وقد شرِب خمراً وتضمّخ بلخالِخَ[1] وخَلوقٍ وعنده الشعبيّ . فلما رآه قال : يا شعبيّ ، ناك الأخطلُ أمّهاتِ الشعراء جميعاً . فقال له الشعبيّ : بأيّ شيء ؟ قال حين يقول :

(١) لخالخ : جمع لخلخة وهي ضرب من الطيب .

وتظلُّ تَنصُفُنا[1] بها قَرويّةٌ إبريقُها برقاعِه ملثومُ
فإذا تعاورتِ الأكُفُّ زُجاجَها نَفَحتْ فشَمَّ رياحَها المزكومُ

فقال الأخطل : سمعتَ بمثل هذا يا شعبيّ ؟! قال : إن أمِنتُك قلتُ لك . قال : أنت آمن . فقلت له : أشعرُ والله منك الذي يقول :

وأدكنَ[2] عاتِقٍ جَحْلٍ رِبَحلٍ صبَحتُ براحِه شَرْباً كِراماً
من اللائي حُمِلن على المَطايا كريح المسك تستلّ الزُّكاما

فقال الأخطل : وَيحك ! ومن يقول هذا ؟ قلت : الأعشى أعشى بني قيس بن ثَعلبة . فقال : قُدّوس قُدّوس ! ناك الأعشى أمّهاتِ الشعراء جميعاً وحقِّ الصليب !

اخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدثنا أبو غَسّان دَماذ عن أبي عُبيدة والهيثم بن عَديّ، وحدثني الصوليُّ قال حدثني الغلابيّ عن العُتْبيّ عن أبيه، وذكر هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضَّبّيّ، قالوا جميعاً :

قدِم الأخطل الكوفة، فأتاه الشعبيّ يسمع من شعره . قال : فوجدته يتغدّى، فدعاني أتغدّى فأتيته، فوُضع الشراب فدعاني اليه فأتيته . فقال ما حاجتُك ؟ قلت : أحِبّ أن أسمع من شعرك؛ فأنشدني قوله :

صَرَمتْ أُمامةُ حبلَنا ورُعومُ

حتى انتهى الى قوله :

---

(١) تنصفنا : تخدمنا .

(٢) الأدكن : الضارب الى السواد . والعاتق : القديم . والجحل : السقاء الواسع . والربحل : الضخم .

فاذا تعاورت الأكُفُّ خِتامَها نفحت فشمَّ رياحها المزكومُ

فقال : يا شَعبيّ، ناك الأخطل أُمّهات الشعراء بهذا البيت . قلت : الأعشى أشعر منك يا أبا مالك . قال : وكيف ؟ قلت : لأنه قال :

من خمر عانةَ قد أتى لِختامها حَولٌ تَسُلّ غُمامةُ(١) المزكومِ

فضرب بالكأس الأرضَ وقال : هو والمسيحِ أشعرُ منّي ! ناك والله الأعشى أُمّهات الشعراء إلّا أنا .

حدثني وَكيع قال حدثني محمد بن إسحاق المَعوَليّ عن إسحاق الموصليّ عن الهيثم بن عَديّ عن حمّاد الراوية عن سِماك بن حَرب قال :

قال الأعشى :

أتيتُ سلامةَ ذا فائش فأطلت المُقامَ ببابه حتى وصلت اليه، فأنشدتُه :

إنّ محلًّا وإن مُرتَحلًا وإنّ في السَّفرِ من مضى مَهَلا
إستأثر اللهُ بالوفاء وبالـ ـعَدل وولّى المَلامةَ الرجلا
الشعرُ قَلّدتُه سَلامةَ ذا فائشَ والشيء حيث ما جُعلا

فقال : صدقتَ، الشيء حيث ما جُعل، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حُللًا وأعطاني كَرِشاً مدبوغةً مملوءةً عنبراً وقال : إياك أن تُخدع عما فيها . فأتيت الحِيرة فبعتُها بثلثمائة ناقة حمراء .

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدثنا عمر بن شَبّة قال قال هشام بن القاسم الغنويّ وكان عَلّامةً بأمر الأعشى :

---

(١) الغمام : كزكام وزنا ومعنى .

إنه وفد الى النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد مدحه بقصيدته التي اولها :

ألم تَغتمِضْ عيناكَ ليلةَ أَرمَدا وعادكَ مـا عاد السليمَ المُسهَّدَا
وما ذاكَ من عشق النساء وإنما تناسيتَ قبل اليوم خُلَّةَ مَهدَدا [1]

وفيها يقول لناقته :

فآليتُ لا أَرثي لها من كَلالَةٍ ولا من حَفاً حتى تَزُورَ محمدا
نبيٌّ يَرى ما لا تَرَون وذكرُه أغارَ لعَمري في البلاد وأَنجدا
متى ما تُناخِي عند باب ابن هاشمٍ تُراحِي وتَلقَيْ من فواضِله يدا

فبلغ خبرُه قريشاً فرَصدوه على طريقه وقالوا : هذا صَنَّاجةُ العرب، ما مدح أَحداً قطُّ إلّا رفع في قدره . فلما ورد عليهم قالوا له : أَين أردت يا أَبا بَصير ؟ قال : أردتُ صاحبَكم هذا لأُسلِم . قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرّمها عليك، وكلُّها بك رافِق ولك موافِق . قال : وما هنّ ؟ فقـال أَبو سفيانَ بنُ حرب : الزِّنا . قال : لقد تركني الزِّنا وما تركته؛ ثم ماذا ؟ قال : القِمار . قال : لعلّي إن لَقِيتُه أَن أصيبَ منه عِوَضاً من القِمار؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الرِّبا . قال : ما دِنتُ ولا أَدَّنتُ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أَوَّهْ ! أَرجع الى صُبابةٍ قد بقيتْ لي في المِهراس [2] فأشرَبها . فقال له أبو سفيان : هل لك في خير مما هممتَ به ؟ قال : ومـا هو ؟ قال : نحن وهو الآنَ في هُدنة، فتأخذ مائة من الإبل وترجع الى بلدك سَنَتَك هذه وتنظُر ما يصير اليه أمرنا، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذت خَلَفاً، وإن ظهر علينا أتيتَه . فقال : ما أَكره ذلك . فقال أَبو سفيان : يا معشر قريش، هـذا الأعشى ! والله لئن أتى محمداً واتّبعه ليُضرمنّ عليكم نيرانَ العرب بشعره، فاجمعوا

(١) مهدد : معشوقة الأعشى .

(٢) المهراس : حجر منقور يسع كثيراً من الماء .

له مائةً من الإبل، ففعلوا؛ فأخذها وانطلق الى بلده . فلما كان بقاع منفوحةَ[1] رمى به بعيرُه فقتله .

أَخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أَبي حَفصة قال : قبر الأعشى بمَنفوحةَ وأنا رأَيته؛ فإذا أَراد الفتيانُ أَن يشربوا خرجوا الى قبره فشربوا عنده وصبُّوا عنده فَضَلاتِ الأَقداح .

أَخبرني أَبو الحسن الأَسديّ قال حدثنا عليّ بن سليمان النوفلي قال حدثنا أَبي قال : أَتيت اليمامة والياً عليها، فمررتُ بمنفوحةَ وهي منزل الأعشى التي يقول فيها:

بشَطِّ منفوحةَ فالحاجرِ

فقلت : أَهذه قرية الأعشى ؟ قالوا نعم . فقلت : أَين منزله ؟ قالوا : ذاك وأَشاروا اليه . قلت : فأين قبره ؟ قالوا : بفِناء بيته . فعدلت اليه بالجيش فانتهيت الى قبره فاذا هو رَطْب . فقلت : ما لي أَراه رطباً ؟ فقالوا : إن الفِتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار اليه القدح صَبُّوه عليه لقوله : « أَرجِعُ الى اليمامة فأَشبَع من الأَطيبَين الزنا والخمر » .

وأَخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدثنا الأُطروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أَبيه :

أنّ ابن عائشة غنى يوماً :

هُرَيرةَ ودّعها وإن لام لائمُ

---

(١) منفوحة : قرية مشهورة من نواحي اليمامة .

فأعجبتْه نفسُه ورآه ينظر في أعطافه . فقيل له : لقد أصبحتَ اليومَ تائهاً ! فقال : وما يمنعني من ذلك وقد أخذتُ عن أبي عبّاد معبدٍ أحد عشر صوتاً منها :

هريرةَ ودِّعها وإن لام لائم

وأبو عَبّاد مغنّي أهل المدينة وإمامُهم !

قال : وكان مَعبد يقول والله لقد صنعت صوتاً لا يقدِر أن يغنّيه شبعانٌ ممتلئ، ولا يقدر متكئٌ على أن يغنّيه حتى يَجثُوَ، ولا قائم حتى يقعُد . قيل : وما هو يا أبا عَبّاد ؟ قال إسحاق فأخبرني بذاك محمد بن سلّام الجُمحيُّ أنه بلغه أن معبداً قاله . وأخبرني بهذا الخبر اسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال : قال معبد : والله لأغنّين صوتاً لا يغنّيه مهموم ولا شبعانٌ ولا حاملُ حِمْلٍ؛ ثم غنى :

ولقد قلتُ والضميرُ كثيرُ البلابِلِ
ليت شعري تَمنّياً والمُنى غيرُ طائل
هل رسولٌ مبلِّغ فيُؤدّي رسائلي

لحنُ معبد هذا خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه ثقيلٌ اول ينسب اليه ايضاً، ويقال : إنه لأهل مكة .

ومنها الصوت المسمّى بالمُنَمنَم .

صوت

هاج ذا القلبَ من تَذكُّر جُمْلٍ ما يَهيج المتيَّم المحزونا
إذ تراءتْ على البَلاطِ فلمّا واجهتْنا كالشمس تُعشِي العيونا
ليلةَ السبت إذ نظرتُ اليها نظرةً زادت الفؤادَ جنونا

الشعر لإسماعيلَ بنِ يسار . والغناء لمَعبدٍ ثقيل اول بالوسطى . وفيه لدَحمان ثاني ثقيل بالبنصر، ذكر الهشاميّ أنّه لا يُشَكّ فيه من غنائه . وقد مضت اخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستُغني عن إعادتها هاهنا .

صوت

أمن آل لَيلى بالَملا مُتربَّعُ كما لاح وَشْمٌ في الذراع مُرجَّعُ
سأَتبَع ليلى حيث سارت وخيَّمتْ وما الناسُ إلا آلِفٌ ومُودِّعُ

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد، وقيل: إنه للمجنون وإنّ مع هذين البيتين أَخرَ وهي:

وقفتُ لليلى بعد عشرين حِجَّةً بمنزلةٍ فانهلَّتِ العينُ تَدمَعُ
فأمرضَ قلبي حبُّها وطِلابُها فيا آلَ ليلى دعوةً كيف أصنع
سأتبَع ليلى حيث حلَّت وخيَّمتْ وما الناسُ إلا آلِفٌ ومودِّع
كأنّ زِماماً في الفؤاد معلَّقاً تَقود به حيث استمرّت وأَتبَع

والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ اول بالسبَّابة في مجرى الوسطى. وقد ذكر حمَّاد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول الى معبد وأنه مما يُشبه غناءه. وذكر ابن الكلبيّ عن محمد بن يزيد أن معبداً أخذ لحن سائب خاثر في:

أفاطمُ مهلًا بعضَ هذا التدلُّل

فغنَّى فيه:

أمن آلِ ليلى بالَملا متربَّعُ

نسب عمرو بن سعيد بن زيد واخباره

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب. وسعيد بن زيد يُكنى أَبا الأعور، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حِراء فرَجف بهم، فقال: «أثبُتْ حِراء فليس عليك إلَّا نبيٌّ أَو صِدّيق أَو شهيد».

* * *

أَخبرني ابن أَبي الأزهر قال حدثنا حمَّاد بن إسحاق قال حدثني أَبي قال حدثني الهيثم بن سُفيان عن أَبي مِسكين قال:

جلس الوليد بن يزيد يوماً للغِنَين وكانوا متوافرين عنده وفيهم مَعبد وابن عائشة؛ فقال لابن عائشة: يا محمد. قال: لَبَّيك يا أَمير المؤمنين. قال: إني قد قلت شعراً فغنِّ فيه. قال وما هو؟ فأنشده إياه، وترنَّم به محمد ثم غنّاه فأحسن، وهو:

صوت

عَلِّلاني واسقِياني من شرابِ أصبَهاني
من شرابِ الشيخ كِسرى أَو شراب القَيرَوان

إنّ في الكأس لَمِسكاً أو بكفَّيْ مَن سَقاني
أو لقد غُودِرَ فيها حين صُبَّت في الدِّنان
كلِّلاني توّجاني وبشعري غنّياني
أطلِقاني بوَثاقي وأشدُّداني بعناني
إنّما الكأسُ ربيعٌ يُتعاطى بالبَنان
وحُمَيَّا الكأسِ دَبَّتْ بين رِجلي ولِساني

— الغناء لابن عائشة هَزَجٌ بالبنصر من رواية حَبَش — قال : فأجاد ابن عائشة واستحسن غناءَه مَن حضَر ؛ فالتفت الى مَعبد فقال : كيف ترى يا أبا عَبَّاد ؟ فقال له معبد : شِئتَ غناءَك بصلَفِك . قال ابن عائشة : يا أحول ! والله لولا أنّك شيخُنا وأنّك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك مَنِ الشائنُ لغنائه أنا بصلَفي أم أنت بقبح وجهك . وفطَن الوليدُ بحركتهما فقال : ما هذا ؟ فقال : خيرٌ يا أمير المؤمنين، لحنٌ كان مَعبدٌ طارَحنِيه فأُنسِيتُه فسألته عنه لأغنّيَ فيه أميرَ المؤمنين . فقال وما هو ؟ قال :

أمِن آلِ ليلى بالَملا مُترَبَّعُ كما لاح وشمٌ في الذِّراع مُرجَّعُ

فقال : هاتِ يا مَعبد، فغنّاه إياه؛ فاستحسنه الوليد وقال : أنت والله سيِّد مَن غنى . وهذا الخبر أيضاً مما يدلّ على أن ما ذكره حمّاد من أنّ هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له .

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيض قال حدثني أحمد بن أبي العلاء المغنّي قال : غنّيتُ المعتضدَ صوتاً في شعر له ثم أتبعتُه بشعر الوليد بن يزيد :

كلِّلاني توّجاني وبشِعري غنّياني

فقال : أحسن والله ! هكذا تقول الملوك المُترَفون ، وهكذا يطرَبون، وبمثل هذا

يُشيرون، وإليه يرتاحون! أحسنتَ يا أحمد الاختيار لِما شاكل الحالَ، وأحسنتَ الغناء، أعد؛ فأعدته، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلًا ثم استعاده فأعدتُه، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ستَّ مرّات وشرب ستة أرطال وأمر لي بعشرة آلاف درهم — وقال مرةً أخرى بستمائة دينار — ثم سكِر. وما رُئي قبل ذلك ولا بعده أعطى مغنّياً هذه العطيّة. وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضع آخر يصلُح له.

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمدَ بن سهل النُّوشَجاني أنه حضر أحمدَ ابن أبي العلاء وقد غنى المعتضدَ هذا الصوتَ في هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصّة كما شرحها أحمد.

ومنها صوت وهو المتبخِتر

جعل الله جعفراً لكِ بَعلًا وشِفاءً من حادث الأوصابِ
إذ تقولين للوَليدة قُومي فانظُري مَن تَرَينَ بالأبواب

الشعر للأحوص. والغناء لمَعبد خفيفُ ثقيل اول بالبنصر. وذكر حمّاد عن أبيه في كتاب مَعبد أنه منحول الى معبد وأنه لكَردَم.

صوت

وهو المسمى مُقطِّع الأثفار

ضوءُ نار بدا لعينك أم شَبَّـــتْ بذي الأثلِ من سَلامةَ نارُ
تلك بين الرّياضِ والأثلِ والبا ناتِ منّا ومن سَلامــةَ دار
وكذاكَ الزمانُ يذهبُ بالنا سِ وتَبقى الرُّسومُ والآثار

الشعر للأحوص. والغناء لمَعبد خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن

إسحاق . وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادي رَمَلٌ عن الهشامي . وفيه لعبد الله بن العبّاس خفيفُ رمل بالوسطى .

أخبرني الحرمي بن أبي العَلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمي قال :

مدَح موسى شَهَوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مَروان بقصيدةٍ أحسن فيها وأجاد وقال فيها :

وكذاك الزمانُ يذهب بالنا س وتبقى الديارُ والآثارُ

فقام الأحوص ودخل منزلَه وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها . فقال له موسى شهوات : ما رأيت يا أحوصُ مثلَك ! قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأمير فسرقتَ أجودَ بيت فيها وجعلتَه في قصيدتك . فقال له الأحوص : ليس الأمر كما ذكرت، ولا البيت لي ولا لك، هو للَبِيد سرقناه جميعاً منه، إنما ذكر لبيدٌ قومَه فقال :

فعفا آخرُ الزمانِ عليهم فعلى آخرِ الزمان الدَّبارُ [1]
وكذاك الزمان يذهب بالنا سِ وتبقى الرُّسوم والآثار

قال : فسكت موسى شهوات فلم يُحِرْ جواباً كأنما أَلقَمه حَجَراً .

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدِّمشقي خبرَ الأحوص مع سَلَّامةَ التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشكُّ فيه لأن شعره المنسوب الى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نَمَط الأحوص، والتوليدُ بَيِّن فيه يشهد على أنه مُحدَث . والقصة أيضاً باطلة لا أصل لها؛ ولكني ذكرتُه في موضعه على ما فيه من سوء العهدة . قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني أبو محمد الجزري قال :

(١) الدبار : الهلاك .

كانت بالمدينة سلامةُ من أحسن الناس وجهاً وأتمّهن عقلًا وأحسنِهن حديثاً قد قرأت القرآنَ وروت الأشعارَ وقالت الشعر، وكان عبد الرحمن بن حسّان والأحوصُ بن محمد يختلفان اليها فيروّيانها الشعرَ ويُناشدانها إياه. فعَلِقتِ الأحوصَ وصدَّت عن عبد الرحمن. فقال لها عبد الرحمن يعرّض لها بما ظَنَّه من ذلك:

أرى الإقبالَ منكِ على خليلي وما لي في حديثكُم نصيبُ

فأجابته:

لأن الله علّقه فؤادي فحاز الحبَّ دونكم الحبيبُ

فقال الأحوص:

خليلي لا تَلُمها في هواها ألذُّ العيشِ ما تَهوى القلوبُ

قال: فأضرب عنها ابنُ حسّان وخرج ممتدحاً ليزيد بنِ معاوية فأكرمه وأعطاه. فلما أراد الانصرافَ قال له: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة. قال: وما هي؟ قال: جارية خلّفتُها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلُح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سُمّارِه. فأرسل اليها يزيدُ فاشتُريتْ له وحُملت اليه؛ فوقعت منه موقعاً عظيماً وفضّلها على جميع من عنده. وقدِمَ عبدُ الرحمن المدينةَ فمرّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم، فأراد أن يزيده الى ما به فقال:

يا مُبتَلًى بالحب مفدوحاً لاقى من الحبِ تَبارِيحَا
أَلجمه الحبُّ فما يَنثني إلا بكأس الشوق مَصبوحا
وصار ما يُعجبه مُغلَقاً عنه وما يكره مفتوحا
قد حازها من أصبحتْ عنده ينال منها الشمَّ والرّيحا
خليفةُ الله فسَلِّ الهوى وعَزِّ قلباً منك مجروحا

فأمسك الأحوصُ عن جوابه . ثم إن شابَّين من بني أميَّة أرادا الوِفادةَ الى يزيد، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتاباً ففعلا . فكتب اليها معهما :

سَلَامُ ذكرُكِ مُلصَقٌ بلساني ... وعلى هواكِ تَعودُني أَحزاني
ما لي رأيتُكِ في المنام مطيعةً ... واذا انتبهتُ لجَجتِ في العصيان
أبداً محبُّك مُمسِكٌ بفؤاده ... يخشى اللجاجةَ منكِ في الهجران
إن كنتِ عاتبةً فإني مُعتِبٌ ... بعد الإساءة فاقبلي إحساني
لا تقتُلي رجلًا يَراكِ لما به ... مثلَ الشراب لغُلَّة الظمآن
ولقد أقول لقاطنَين مِنَ اهلنا ... كانا على خُلُقي من الإخوان
يا صاحبيَّ على فؤادي جمرةٌ ... وبَرى الهوى جسمي كما تَريان
أُمُرّقيانِ الى سلامة أنتما ... ما قد لقيتُ بها وتَحتَسبان
لا أستطيع الصبر عنها إنها ... من مهجتي نزلتْ بكلِّ مكان

قال : ثم غلبه جَزَعُه فخرج الى يزيدَ ممتدحاً له . فلما قدِم عليه قرَّبه وأكرمه وبلغ لديه كلَّ مبلغ . فدسَّت اليه سلامةُ خادماً وأعطته مالًا على أن يُدخلَه اليها . فأخبر الخادمُ يزيدَ بذلك؛ فقال إمضِ برسالتها . ففعل ما أمره به وأدخل الأحوص، وجلس يزيدُ بحيث يراهما . فلما بَصُرت الجاريةُ بالأحوص بكت اليه وبكى اليها، وأمرت فألقي له كرسيٌّ فقعد عليه، وجعل كلٌّ واحد منهما يشكو الى صاحبه شدّةَ الشوق . فلم يزالا يتحدّثان الى السَّحَر ويزيدُ يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما رِيبةٌ . حتى إذا هَمّ بالخروج قال :

أمسى فؤاديَ في همٍّ وبِلبال ... من حبِّ مَن لم أزل منه على بالِ

فقالت :

صحا المحبُّون بعد النأيِ إذ يئسوا ... وقد يئستُ وما أصحو على حال

فقال :

مَن كان يسلو بيأسٍ عن أخي ثِقَةً فعن سَلامةَ ما أمسيتُ بالسَّالِي

فقالت :

واللهِ واللهِ لا أنساكَ يا سَكَني حتى يُفارِقَ منّي الرُّوح أوصالِي

فقال :

واللهِ ما خاب مَن أمسى وأنتِ له يا قُرَّة العين في أهـل وفي مالِ

ثم ودّعهـا وخرج . فأخذه يزيدُ ودعا بها فقال : أخبراني عمّا كان جرى بينكما في ليلتكما وأصدُقاني . فأخبراه وأنشداه ما قالاه ، فلم يَخرِما حرفاً ولا غيَّرا شيئاً مما سمعه . فقال له يزيد : أتحبُّها يا أحوص ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين .

حُبًّا شديداً تليداً غيرَ مُطَّرِفٍ بين الجوانح مثلَ النار يَضطرِمُ

فقال لها : أتحبّينه ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين :

حبًّا شديداً جرى كالرُّوح في جسدي فهل يُفرَّق بين الروح والجسدِ

فقال يزيد : إنكما لَتَصِفانِ حبًّا شديداً ، خُذها يا أحوص فهي لك ؛ ووصَله بصلة سنيَّة ، وانصرف بها وبالجارية الى الحجاز وهو من أقرّ الناس عيناً . مضى الحديث .

مدن معبد او حصونه :

أصوات معبد المسمّاة مُدُن معبد وتسمّى أيضاً حصون معبد

أخبرني ابنُ أبي الأزهر والحسينُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال حسين في خبره واللفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال :

قال معبد وقد سمع رجلًا يقول : إن قُتيبة بن مُسلِم فتح سبعةَ حصون أو سبعَ مُدُن بخُراسان فيها سبعة حصون صَعبة المُرتَقى والمسالكِ لم يُوصَل اليها قطُّ . فقال : والله لقد صنعتُ سبعةَ أَلحان كلُّ لحنٍ منها أشدّ من فتح تلك الحصون . فسئل عنها فقال :

لعَمري لئن شَطَّت بعَشمةَ دارُها
و : هُويرةَ ودِّعها وإن لام لائمُ
و : رأيتُ عَرابةَ الأوسِيَّ يَسمُو
و : كم بذاك الحجونِ من حَيِّ صِدْقِ
و : لو تعلمين الغَيبَ أيقنت أنني
و : يا دار عَبلة بالجواء تكلَّمي
و : ودِّع هريرةَ إنّ الركبَ مُرتحِل

ومن الناس من يروي مُدُنَ معبد :

تقطَّع من ظَلَّامةَ الوصلُ أجمعُ
و : خَمصانةٌ قَلِقٌ مَوشَّحُها
و : يومَ تُبدِي لنا قُتَيلةُ

مكان

: كم بذاك الحجونِ من حَيّ صدق
و : لو تعلمين الغيب أيقنتِ أنني
و : يا دارَ عَبلة بالجواء تكلَّمي

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

صوت

لعمري لئن شَطَّت بعَشمةَ دارُها لقد كدتُ من وَشك الفِراق أليحُ
أَرُوح بهَمٍّ ثم أَغدُو بمثله ويُحسَب أنّي في الثياب صحيح

عروضه من الطويل . شَطَّت : بعُدتْ . ووَشْك الفراق : دنوُّه وسرعتُه . وأليح : أشفِق وأَجزَع . الشعر لعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة الفقيه . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ اول بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونُس وإسحاقَ وعمرٍو وغيرِهم . وفيه رمل يقال : إنه لابن سُريج .

ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

هو عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود بن غافِل بن حبيب بن شَمخ بن فأر بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سَعد بن هُذَيل بن مُدرِكة بن الياس بن مضر بن نِزار . وهو في حُلفاء بني زُهرة من قريش وعِدادُه فيهم . وعتبةُ بن مسعود وعبد الله بن مسعود البَدريّ صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخوان، ولعُتبة صحبةٌ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم وليس من البَدريّين . وكان ابنه عبد الله أَبو عُبيد الله بن عبد الله رجلًا صالحاً، واستعمله عمرُ بن الخطّاب فأَحمده .

ولعُبيد الله بن عبد الله أَخوانِ عَوْنٌ وعبد الرحمن .

وكان عون من أَهل الفقه والأدب، وكان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه . وقال — وكان شاعراً — :

فأوّلُ ما أفارِقُ غيرَ شَكٍّ أُفارِقُ ما يقول المُرجِؤونا
وقالوا مؤمنٌ من آل جَورٍ وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمنٌ دَمُه حلالٌ وقد حَرُمتْ دِماءُ المؤمنينا

وخرج مع ابن الأشعث، فلمّا هُزِم هَرب، وطلبه الحجّاج؛ فأتى محمدَ بن مَروان ابن الحَكَم بنَصِيبِينَ فأَمّنه وألزمه أبنيه مروانَ بن محمد وعبدَ الرحمن بن محمد . فقال له : كيف رأيتَ أَبنَي أخيك ؟ قال : أَمّا عبد الرحمن فطفلٌ، وأَمّا مروان فإني إن أتيتُه حجَب، وإن قعدتُ عنه عتَب، وإن عاتبته صَخِب، وإن صاحبتُه

غضِب . ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يزل معه . ذكر ذلك كلّه ومعانيَه الأصمعيّ عن أبي نَوفل الهُذَليّ عن أبيه . ولعونٍ يقول جرير :

يأيُّها القارئُ المُرخي عِمامتَه هذا زمانُك إنّي قد مضى زمني
أَبلغْ خليفتَنا إن كنتَ لاقِيَه أنّي لدى الباب كالمصفود في قَرَنِ

وخبرُه يأتي في أخبار جرير .

وأمّا عبد الرحمن فلم تكن له نباهةُ أخويه وفضلُهما فسقَط ذكره .

وأما عُبيد الله فإنه أحد وجوه الفُقَهاء الذين رُوي عنهم الفقه والحديث . وهو أحد السبعة من أهل المدينة ، وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق ، وعُروة بن الزبير ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن المُسيَّب ، وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، وخارِجة بن زيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار . وكان عبيد الله ضريراً . وقد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عبّاس وعبد الله بن مسعود عمه وأبي هريرة . وروى عنه الزُّهريّ وابن أبي الزّناد وغيرهما من نُظرائهما .

وكان عبد الله بن عباس يقدّمه ويُؤثِره .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حَنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا يونُس بن محمد قال حدثنا حمّاد بن زيد عن مَعمر عن الزُّهريّ قال :

كان عُبيد الله بن عبد الله يلطُف لابن عبّاس فكان يُعزُّه عِزًّا .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أنس عن ابن شِهاب الزُّهريّ قال :

كنت أخدم عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة حتى إن كنتُ لأستَقِي الماءَ المِلح وإن كان ليسأل جاريته فتقول : غلامُك الأعمش .

أخبرني وكيع قال حدثنا محمد بن عبد الملك بن زَنْجويه قال حدثنا عبد الرزّاق عن مَعمر عن الزُّهريّ قال :

أدركت أربعة بُحور ، عُبيد الله بن عبد الله أحدُهم .

أخبرني وكيع قال حدثنا محمد قال حدثنا حامد بن يحيى عن ابن عُيَينة عن الزُّهريّ قال :

سمعت من العلم شيئاً كثيراً ، فلما لقيتُ عبيد الله بن عبد الله كأني كنت في شِعْب من الشعاب فوقعتُ في الوادي ؛ وقال مرّة : صِرْتُ كأنّي لم أسمع من العلم شيئاً .

أخبرني وكيع قال حدثني بشر بن موسى قال حدثنا الحُميديّ عن ابن عُيَينة عن عليّ بن زيد بن جُدْعان قال :

كان عمر بن عبد العزيز يقول . ليت لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بدِيَةٍ .

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وَهْب قال حدثني عمي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهريّ عن حمزةَ بن عبدالله قال :

قال عمر بن عبد العزيز : لو كان عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة حيًّا ما صدَرتُ إلا عن رأيه ، ولوددتُ أنّ لي بيوم من عبيد الله غُرماً . قال ذلك في خِلافته .

أخبرنا محمد بن جرير الطَّبَريّ وعمّ أبي عبد العزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليزيديّ والطُّوسيّ ووكيع والحوميّ بن أبي العلاء وطاهر بن عبد الله الهاشميّ، قالوا حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثنا إبراهيم بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصِّديق وابن أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعاً عن عثمان بن عمر بن موسى عن الزُّهريّ قال:

دخل عُروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة على عمرَ بن عبد العزيز وهو أمير المدينة. فقال عروة لشيء حُدّث به من ذكر عائشة وعبد الله بن الزبير: سمعتُ عائشة تقول: ما أحببت أحداً حبي عبد الله بن الزبير لا أعني رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولا أبويّ. فقال عمر: إنكم لتنتحلون عائشة لابن الزبير انتحالَ من لا يرى لكل مسلم منه فيها نصيباً. فقال عُروة: بركةُ عائشة كانت أوسع من ألّا يرى لكل مسلم فيها حقّ، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعتهُ الرّحمُ والمودة التي لا يَشركُ كلّ واحد منهما فيه عند صاحبه أحد. فقال عمر: كذبت. فقال عُروة: هذا عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أنّي غير كاذب، وإنّ من أكذب الكاذبين من كذّب الصادقين. فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء. فأقّف بهما عمر وقال: اخرجا عنّي. ثم لم يلبث أن بعث إلى عُبيد الله بن عبد الله رسولًا يدعوه لبعض ما كان يدعوه اليه. فكتب اليه عُبيد الله:

لعمرُ ابن ليلى وابن عائشةَ التي ... لمروانَ أدّتْهُ، أبٌ غير زُمَّلِ[1]
لَوَ انهم عمًّا وجدًّا ووالداً ... تأسّوا فسنُّوا سُنة المُتعطل
عذرت أُبا حفص وإن كان واحداً ... من القوم يَهدي هدَيهم ليس يأتلي
ولكنهم فاتُوا وجئت مُصلّياً ... تقرّبُ[2] إثرَ السابق المتمهل

(١) الزمل: الضعيف الساقط.

(٢) التقريب: عدو دون الإسراع.

وعُمْتَ[1] فإن تَسبق فضنءٌ مبرّزٍ جوادٍ وإن تُسبَق فنفسك فاعذُلِ
فما لك بالسلطان أن تحمل القذى جفون عيونٍ بالقذى لم تُكحَّل
وما الحقُّ أن تهوَى فتسعف بالذي هَويتَ إذا ما كان ليس بأعدل
أَبَى الله والأحسابُ أن ترأم[2] الخنى نفوسٌ كرامٌ بالخنا لم تُوكَّلِ

قال الزبير في خبره وحدَه : الضِّنء والضَّنء : الولد . قال : وأنشد الخليلُ بن أسد قال أنشدني دَهثم :

ابنُ عجوزٍ ضَنْؤُها غيرُ أَمِرْ[3] لو نحرت في بيتها عشر جزرْ
لأصبحتْ من لحمهنّ تعتذر تغدو على الحيّ بعود من سَمُر
حتى يَفرَّ أهلُها كلَّ مَفرّْ

أخبرني الحسن بن عليّ ووكيع قالا حدثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير ، وأخبرناه الحرميّ بن أبي العلاء إجازةً قال حدثنا الزبير عن ابن أبي أُوَيس عن بكّار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن هشام بن عُروة :

إن عُبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه ، فردّه الحاجب وقال له : عنده عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وهو مُختلٍ به ، فانصرف غضبان . وكان في صلاحه ربما صنع الأبيات ، فقال لعمر :

أَبِنْ لي فكن مِثلي أو ابتغِ صاحباً كمثلكَ إنّي تابع صاحباً مثلي
عزيزٌ إخائي لا ينال مودّتي من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل

---

(١) عمت : سرت .

(٢) ترأم الخنى : ترضاه وتستسيغه .

(٣) الأمر : الكثير .

وما يلبثُ الفِتيانُ أن يتفرقوا إذا لم يُؤلف رُوح شكل الى شكل

قال : فأخبر عمرُ بأبياته ؛ فبعث اليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خَيثمة وعِراك بن مالك يَعذرانه عنده ويقولان : إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا بردّ الحاجب إياك ، فعذرَه . قال الزبير وقد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني مُحرز بن جعفر لعُبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها وهو أوّلها :

وإنّي امرؤ من يُصفِني الودَّ يُلفِني وإن نزحتْ دارٌ به دائمَ الوصلِ
عزيزٌ إخائي لا ينال مودّتي من الناس إلا مسلمٌ كاملُ العقل
ولولا اتّقائي اللهَ قلتُ قصيدةً تسير بها الرُّكبانُ أبرَدُها يَغلي
بها تُنقَض الأحلاسُ[1] في كلّ منزل ويَنفي الكرى عنه بها صاحبُ الرَّحل
كفاني يسيرٌ إذ أراكَ بحاجتي كَليلَ اللسانِ ما تُمِرُّ وما تُحلي[2]
تُلاوِذُ[3] بالأبواب منّي مخافةَ الملامة والإخلافُ شرٌّ من البخل

وذكر الأبيات الاوَل بعد هذه .

أخبرني وكيع قال حدثني عليّ بن حرب المَوصِليّ قال حدثنا إسماعيل بن رَيّان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول :

كان عِراكُ بن مالك وأبو بكر بن حَزم وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة يتجالسون بالمدينة زماناً . ثم إن ابن حزم ولي إمرَتها وولي عِراكٌ القضاء ، وكانا

---

(١) الأحلاس : جمع حلس وهو كل ما ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج .

(٢) ما تمرّ وما تحلي : ما تضر وما تنفع .

(٣) تلاوذ : تراوغ .

يمرّان بعُبَيد الله فلا يسلّمان عليه ولا يقفان ، وكان ضريراً فأخبر بذلك ، فأنشأ يقول :

ألا أبلغا عنّي عِراكَ بنَ مالك ولا تَدَعا أن تَثنيا بأبي بكرِ
فقد جعلتْ تبدو شواكِلُ منكما كأنّكما بي مُوقَران من الصَّخر
وطاوعتُما بي داعِكاً[1] ذا مَعاكةٍ لعمري لقد أزرى وما مثله يُزري
ولولا اتّقائي ثم بُقيايَ فيكما لَلُمتكُما لوماً أحرَّ من الجمر

صوت

فمسّاً تُرابَ الأرض منها خُلِقتُما ومنها المَعادُ والمَصيرُ الى الحَشرِ
ولا تأنفا أن تسألا وتسلّما فما خشي الإنسانُ شرّاً من الكِبر
فلو شئتُ أن ألفي عدوّاً وطاعناً لألفَيتُه أو قال عنديَ في السرّ
فإن أنا لم آمُرْ ولم أنهَ عنكما ضحكتُ له حتى يَلِجَّ ويَستشري

عروضه من الطويل . غُنّيَ في :

فمسّاً ترابَ الأرض منها خُلِقتُما

والذي بعده لحن من الثقيل الاول بالبنصر من رواية عمر بن بانة وابن المكيّ ويونسَ وغيرِهم . وزعم ابن شِهاب الزُّهريّ أن عبيد الله قال هذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز وعمرو بن عثمان ، يعني أن الأبياتَ الأول ليست منها في شيء ، وإنما أُدخِلتْ فيها لاتّفاق الرَّويّ والقافية .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا إبراهيم بن

(١) الداعك : الأحمق .

المُنذِر الحِزاميّ قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال :

جئت عُبيد الله بن عبد الله يوماً في منزله فوجدته ينفُخ وهو مغتاظ؛ فقلت له : ما لك ؟ قال : جئت أميرَكم آنفاً — يعني عمرَ بن عبد العزيز — فسلَّمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلم يردَّا عليّ، فقلت :

فسًّا ترابَ الأرض منها خُلقتما

وذكر الأبياتَ الأربعة . قال فقلتُ له : رحمكَ الله ! أتقول الشعر في فضلك ونُسكك ! قال : إنّ المصدور إذا نفَث بَرَأ .

قال أبو زيد حدثنا إبراهيم بن المنذر، وأنشدني هذه الأبياتَ عبد العزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزِّناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو، وزاد فيها :

وكيف يُريدانِ ابنَ تسعين حِجَّةً على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشرِ

ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فَحلٌ جيِّد ليس بالكثير . منه قوله :

اذا كان لي سِرٌّ فحدّثتُه العِدا وضاق به صدري فللنّاسُ أعذَرُ
وسرُّك ما استُودعتَه وكتمتَه وليس بسرٍّ حين يفشو ويظهر

وقولُه لابن شِهاب الزُّهريّ :

اذا قلتُ أمَّا بعدُ لم يُثنَ مَنطِقي فحاذِر اذا ما قلتُ كيف أقولُ
إذا شئتَ أن تَلقى خليلًا مصافياً لقيتَ وإخوانُ الثِّقاتِ قليل

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المُساحِقيّ عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال :

أنشد عبيدُ الله بن عبد الله جامعَ بنَ مُرخِيَةَ الكلابيّ لنفسه :

لعمرُ أبي المُحصِنَ أيامَ نلتقي لمَا لا نُلاقِيها من الدهر أكثرُ
يَعُدُّون يوماً واحداً إن أتيتُها ويَنسَون ما كانت على الدهر تهجُر
وإن أولعَ الواشون عَمداً بوصلنا فنحن بتجديد المودة أبصر

قال : فأعجبت أبياتُه هذه جامعاً، فسَرَّ ذلك عبيدَ الله فكساه وحَمله .

جامع بن مُرخِيَة هذا من شعراء الحجاز، وهو الذي يقول :

سألتُ سعيدَ بن المسيَّب مفتيَ المدينة هل في حبِّ ظَمياءَ من وِزرِ
فقال سعيد بن المسيَّب إنما تُلام على ما تستطيع من الأمر

فبلغ قولُه سعيداً، فقال : كذَب والله ! ما سألني ولا أفتيتُه بما قال . أخبرني بذلك الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير .

ومن جيِّد شعر عُبيد الله وسهلِه :

أعاذلَ عاجلُ ما أشتهي أحبُّ من الآجل الرائثِ[1]
سأُنفق مالي على لذّتي وأُوثِر نفسي على الوارث
أُبادِر إهلاكَ مستهلِك لماليَ أو عبثَ العابث

وقولُه يفتخر في أبيات :

إذا هي حلَّت وَسط عُوذِ ابن غالبٍ فذلك ودٌّ نازحٌ لا أُطالِعُهْ
شددتُ حَيازِيمي[2] على قلب حازمٍ كَتومٍ لما ضُمَّت عليه أضالعه

(١) الرائث : البطيء .

(٢) الحيزوم : وسط الصدر .

أُداجِي رجالًا لستُ مُطلِعَ بعضِهم على سرِّ بعضٍ إنّ صدريَ واسعهْ
بنى ليَ عبدُ الله في ذِروة العلا وعُتبةُ مجداً لا تُنال مصانعه

وقوله وفيه غناء :

صوت

إن يكُ ذا الدهرُ قد أضرَّ بنا من غير ذَحْلٍ[1] فربما نفعاَ
أبكي على ذلك الزمانِ ولا أحسَب شيئاً قد فات مُرتَجَعا
إذ نحن في ظلّ نعمةٍ سلَفتْ كانت لها كلُّ نعمةٍ تَبَعا

عروضه من المنسرِح . غنَّت فيها عَريبُ خفيفَ رَمَلٍ عن الهشاميّ .

حدثنا محمد بن جرير الطبريّ والحرميّ بن أبي العلاء ووكيع قالوا حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال :

قَدِمتِ المدينةَ امرأةٌ من ناحية مكة من هُذَيل، وكانت جميلة نخطبها الناس، وكادت تَذهب بعقول أكثرِهم . فقال فيها عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة :

أحِبُّكِ حبًّا لو علمتِ ببعضه لَجُدتِ ولم يَصعُب عليكِ شَديدُ
وحُبُّكِ يا أُمَّ الصبيِّ مُدَلِّهي شَهيدي أبو بكر وأيُّ شهيد
ويعلم وَجدي القاسمُ بن محمد وعُروةُ ما ألقى بكم وسَعيد
ويعلم ما أُخفي سليمانُ علمَه وخارجةٌ يُبدي لنا ويُعيد
متى تَسأَلي عمَّا أقول فتُخبَري فللحبِّ عندي طارفٌ وتَليد

(١) الذحل : الثأر .

فبلغت أبياتُه سعيدَ بن المُسيَّب ، فقال : والله لقد أَمِنَ أن تسألَنا وعلم أنها لو استَشهدتْ بنا لم نشهد له بالباطل عندها .

وقال الزبير : أبو بكر الذي ذكر والنَّفَرُ المسمَّون معه : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعُروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيَّب ، وسليمان بن يسار ، وخارجةُ بن زيد بن ثابت ، وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهلُ المدينة .

أخبرني وكيع قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات عن أحمد بن سعيد الفِهريّ عن ابراهيم بن المُنذِر بن عبد الملك بن الماجشون :

أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أوّلها :

لَعَمري لئن شطَّت بعَثْمةَ دارُها لقد كدتُ من وَشك الفراق أُليحُ

قالها في زوجة له كانت تسمَّى عَثمة ، فعتب عليها في بعض الأمر فطلَّقها . وله فيها أشعار كثيرة ، منها هذه الابيات ، ومنها قوله يذكر ندَمَه على طلاقها :

كتمتَ الهوى حتى أَضرَّ بك الكَتْمُ ولامَك أقوامٌ ولومُهمُ ظلمُ

وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال قال لي عمي :

لقيني عليّ بن صالح فأنشدني بيتاً وسألني مَن قائله ؟ وهل فيه زيادة ؟ فقلت : لا أدري ، وقد قدِم ابن أخي — أعنيكَ — ، وقلَّما فاتني شيء إلّا وجدتُه عنده . قال الزبير : فأنشدني عمي البيتَ وهو :

غُرابٌ وظبيٌ أعضبُ[1] القَرنِ نادَيا بصُرْمٍ وصِردانٌ[2] العَشِيّ تَصيحُ

(١) الأعضب القرن : المكسور القرن

(٢) الصردان : طائر ابيض .

فقلت له : قائله عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، وتمامها :

لعمري لئن شطَّت بعَشمَة دارُها لقد كدتُ من وَشك الفِراق أُليحُ
أَروحُ بهمٍّ ثم أغدو بمثله ويُحسَبُ أَنّي في الثياب صحيحُ

فكتبها عمي عنّي وانصرف بها اليه .

صوت

أَلا مَن لنفسٍ لا تموت فينقضي عَناها ولا تحيا حياةً لها طعمُ
أأترُكُ إتيانَ الحبيب تأثُّماً أَلا إنّ هِجران الحبيب هو الإثم
فذُق هجرَها قد كنتَ تزعم أنه رَشادٌ ألا يا ربّما كذَب الزَّعم

عروضه من الطويل . غنى يونس في هذه الابيات الثلاثة لحناً ماخورياً وهو خفيفُ الثقيل الثاني من رواية إسحاق ويونس وابن المكيّ وغيرهم . وغنَّت عريبُ في :

أأترك إتيانَ الحبيب تأثُّماً

لحناً من الثقيل الأوّل ، وأضافت اليه بعدَه على الوِلاء بيتين ليسا من هذا الشعر وهما :

وأقبل أقوالَ الوُشاةِ تَجَرُّماً أَلا إن أَقوال الوُشاة هي الجُرْمُ
وأشتاقُ لي إلفاً على قُرب داره لأنّ مُلاقاةَ الحبيب هي الغُنْمُ

ومما قاله عبيد الله أيضاً في زوجته هذه وغُنّيَ فيه :

صوت

عَفَت أطلالُ عَشمةَ بالغَميم فأضحت وهي مُوحشةُ الرّسومِ

وقد كُنَّا نَحُلُّ بها وفيهـا هَضيمُ الكَشحِ جائـلةُ البريمِ

عروضه من الوافر . عَفَتْ : درست . والأطـلال : ما شخص من آثار الديار . والرُّسوم : ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر . والهضيم الكشح : الخميص الحشى والبطن . والبريم : الخلخال ، وقيل : بل هو اسم لكل ما يُلبس من الحُليّ في اليدين والرجلين . والجائل : ما يجول في موضعه لا يستقرّ . غنى في هذين البيتين قَفا النجّار ، ولحنُه من القَدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر .

ومما قاله في زوجته عَشمةَ وفيها غناء :

صوت

تغلغلَ حُبُّ عَشمةَ في فؤادي فباديه مع الخـافي يسيرُ
تغلغل حيث لم يَبلُـغ شرابٌ ولا حُزنٌ ولم يبلـغ سرور
صدَعتِ القلبَ ثم ذَرَرتِ فيه هواكِ فَلِـيمَ والتأمَ الفُطُور[1]
أكادُ إذا ذكرتُ العهد منهـا أطـير لَوَ أنّ إنساناً يَطير
غـنيُّ النفسِ أن أزدادَ حبًّا ولكني الى صِـلةٍ فقير
وأنفَذ جارِحـاكِ سوادَ قلبي فأنتِ عـليَّ ما عِشنا أمير

لمعبد في الأوّل والثاني من الأبيات هَزَجٌ بالبنصر عن حَبش ، وذكر أحمد بن عبيـد الله أنه منحولٌ من المكيّ . وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرَّشيد رَملٌ .

قال ابن أبي الزّناد في الخبر الذي تقدّم ذكرُه عن عُبيد الله وما قاله من الشعر في عَشمةَ وغيرِها : فقيل له : أتقول في مثل هذا ؟! قال : في اللَّدُود راحةُ المَفؤود .

---

(١) الفطور : الشقوق .

أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا ابن وَهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال :

كان رجل يأتي عُبيد الله بن عبد الله ويجلس اليه . فبلغ عبيدَ الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجاءه الرجل فلم يلتفت اليه عبيد الله . وكان الرجل شديدَ العقل ، فقال له : يا أبا محمد ، إن لك لشأناً ، فإن رأيتَ لي عذراً فاقبل عذري . فقال له : أتتّهم الله في علمه ؟ قال : أعوذ بالله . قال : أتتّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه ؟ قال : أعوذ بالله . قال : يقول الله عز وجلّ : (لقد رضيَ اللهُ عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة) وأنت تقع في فلان وهو ممن بايع ، فهل بلغك أن الله سخِط عليه بعد ان رضيَ عنه ؟! قال : والله لا أعود أبداً . قال : والرجل عمر بن عبد العزيز .

أخبرني وكيع عن أحمد بن زُهَير عن يحيى بن مَعين قال :

مات عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة سنةَ اثنتين ومائة ، ويقال سنة تسع وتسعين .

أخبرني محمد بن جرير الطبريّ والحسن بن عليّ عن الحارث عن ابن سعد عن مَعن عن محمد بن هلال : أن عُبيد الله توّفي بالمدينة سنةَ ثمانٍ وتسعين .

* * *

ومنها :

صوت

ودِّع هُرَيرةَ إن الرَّكب مُرتحِلُ وهل تُطيق وَداعاً أيُّها الرجلُ

غَرّاءُ فَرعاءُ مصقولٌ عوارضُها ... تمشي الهُوَينَى كما يمشي الوَجي الوَجِلُ
تسمع للحَلْيِ وَسواساً اذا انصرفت ... كما استعان بريح عِشرِقٌ زَجِلُ
عُلِّقتُها عَرَضاً وعُلِّقتْ رُجلًا ... غيري وعُلِّق أخرى غيرَها الرَّجل
قالت هريرةُ لمَّا جئتُ زائرَها ... وَيلي عليك وويلي منك يا رجل
لم تمشِ ميلًا ولم تركب على جملٍ ... ولم ترَ الشمس إلا دونها الكِلَل
أقول للركب في دُرَنى[1] وقد ثَمِلوا ... شِيموا وكيف يَشيم الشاربُ الثَّمِل
كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفْلِقَها ... فلم يَضِرْها وأوهى قَرنَه الوَعِل
أبلغ يزيدَ بني شَيبانَ مَألُكَةً ... أبا ثُبَيتٍ أَمَا تَنفَكُّ تأتَكِل
إن تركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا ... أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُل
وقد غدوتُ الى الحانوت يَتبعُني ... شاوٍ نَشولٌ مِشَلٌّ شُلشُلٌ شَوِل
في فِتيةٍ كسيوف الهند قد علموا ... أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحِيَل
نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحان مُتَّكِئاً ... وقهوةً مُزَّةً راووقُها خَضِل

غنّى معبد في الأول والثاني في لحنه المذكور من مُدُنِ معبد لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكرت دَنانيرُ أن فيهما لابن سُرَيج أيضاً صنعةً . ولمعبد أيضاً في الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أولُ ، ذكره حَبشٌ ، وقيل : بل هو لحن ابن سريج ، وذلك الصحيح . ولابن مُحرز في الثقيل في « إن تركبوا » وفي « كناطحٍ صخرةً » ثاني ثقيلٍ مُطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولحُنَينٍ الحِيريّ في « أبلغ يزيد بني شيبان » و « إن تركبوا » ثاني ثقيلٍ آخر . وذكر أحمد بن المكيّ أن لابن مُحرز في « ودِّع هريرةَ » و « تسمع للحَلْيِ » ثانيَ ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر . وفي « وقد غدوتُ » وما بعده رملٌ لابن سُريج ومُخارق عن الهشامي . ولابن سريج في « تسمع للحلي » وقبله « ودّع هُريرةَ » رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

(١) درنى : موضع بنواحي اليمامة .

وللغريض في « قالت هُريرةُ » و « عُلِّقتها عَرَضاً » رمل . وفي هذه الابيات بعينها هَزَجٌ ينسب اليه ايضاً وإلى غيره . وفي « تسمع للحلي » و « قالت هُريرة » هزج لمحمد بن حسن بن مُصعب . وفي « لم تمش مِيلًا » و « أقول للركب » لابن سريج خفيف الثقيل الأول بالبنصر عن حَبش . وفي « قالت هريرة » و « تسمع للحلي » لحن لابن سريج . وإن لُحنَين في البيتين الآخرين لحناً آخر . وقد مضت أخبار هريرة مع الاعشى في :

هُرَيرةَ ودّعها وإن لام لائمُ

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال قلت لأعرابية : ما الغرّاء ؟ قالت : التي بين حاجبيها بَلَجٌ وفي جبهتها اتساعٌ تتباعد قُصَّتُها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نَفنَف . وقال أبو عُبيدة : الفرعاء : الكثيرة الشعر . والعوارض : الأسنان . والهُوَينَى تصغير الهُونى ، والهونى : مؤنث الأهون . والوَجي : الظالع وهو الذي قد حَفِيَ فليس يكاد يستقلُّ على رجله . والوَحِلُ : الذي قد وقع في الوحل . والعِشرِق : نبت يَيبسَ فتحرّكه الريح ، شبَّه صوتَ حَليها بصوته . الزِجلُ : المصوّت من العِشرِق . وعلّقتها : أحببتُها . وعرضا : على غير موعد . والوَعِلُ : التَّيسُ الجبليّ ، والجمع أوعال . مَأْلُكة : رسالة ، والجمع مآلك . ما تنفكُّ : ما تزال . وتأتكل : تتحرّق . وقال أبو عُبيدة : الشاوي : الذي يشوي اللحم : والنشولُ : الذي ينشل اللحم من القِدْر . ومِشَلٌّ : سوّاقٌ سريع يسوق به . وشُلشُلٌ : خفيف . وشَولٌ : طيّب الرّيح .

الشعر للأعشى وقد تقدّم نسبه وأخباره . يقول هذه القصيدة ليزيدَ بن مُسهر أَبي ثابت الشيباني . قال أبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلًا من بني كعب بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلبة ، يقال له ضُبَيع ، قتل رجلًا من بني هَمّام يقال له زاهر بن سيّار بن أسعد بن هَمّام بن مُرّة بن ذُهل بن شَيبان ، وكان ضُبَيع مطروقاً ضعيف العقل . فنهاهم يزيد بن مُسهِر

أَن يقتلوا ضُبَيعاً بزاهر وقال : اقتلوا به سيِّداً من بني سعد بن مالك بن ضُبيعة ، فحضَّ بني سَيَّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به . وبلغ بني قيس ما قاله ، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يَدَع بني سَيَّار وبني كَعب ولا يُعينَ بني سيَّار ؛ فإنه إن أَعانهم أعانت قبائلُ بني قيس بني كعب ، وحذَّرهم أن تَلقى شَيبانُ منهم مثلَ ما لَقُوا يوم العين عَينِ محلِم بهَجَر .

قال أَبو عبيدة : وكان من حديث ذلك اليوم ، كما زعم عمر بن هلال أحدُ بني سعد بن قيس بن ثعلبة ، أن يزيد بن مُسهر كان خالَع أَصرَمَ بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة ، وكان عوف أَبو بني الأَصرم يقال له الأَعجَف والضَّيعةُ له وهي قرية باليمامة . فلما خلع يزيدُ أصرمَ من ماله خالعه على أن يَرهنه ابنيه أَفلَتَ وشِهابا ابني أَصرم ، وأُمُّهما فُطيمة بنت شُرَحبيل بن عوسجة بن ثعلبة ابن سعد بن قيس ، وأن يزيد قَمر أَصرمَ فطلب أن يدفع اليه ابنيه رهينةً ؛ فأبتْ أمّهما وأبى يزيدُ إِلَّا أخذَهما . فنادت قومَها ، فحضر الناسُ للحرب ، فاشتملتْ فطيمة على ابنيها بثوبها ، وفكَّ قومُها عنها وعنهما . فذلك قول الأعشى :

نحن الفوارس يوم العَين ضاحيةً جَنبيْ فُطَيمةَ لا ميلٌ ولا عُزُلُ

قال : فانهزمت بنو شَيبان ؛ فحذِر الأعشى أن يلقى مُسهرٌ مثلَ تلك الحال .

قال أَبو عُبيدة : وذكر عامر ومِسمَعٌ عن قَتادةَ الفقيه أن رجلين من بني مَروانَ تنازعا في هذا الحديث ، فجرّدا رسولًا في ذلك الى العراق حتى قدِم الى الكوفة فسأل فأخبر أن فُطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شَيبان ، وكانت له زوجة أخرى من بني شيبان ، فتعايَرتا فعمَدتِ الشَّيبانية فحلَّت ذوائبَ فُطيمة ، فاهتاج الحيَّانِ فاقتتلوا ، فهزمت بنو شَيبانَ يومئذٍ .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن محمد القصير قال حدثنا محمد ابن صالح قال حدثني أبو اليَقظان قال حدثني جُوَيرِيةُ عن يَشكر بن وائل

اليَشكُري ، وكان من علماء بكر بن وائل ووُلد أيام مُسَيلِمةَ فجيء به اليه فمسح على رأسه فعَمِيَ ، قال جُويرية فحدثني يَشكُرُ هذا قال حدثني جَرير بن عبد الله البَجَلي قال :

سافرت في الجاهلية فأقبلتُ على بعيري ليلةً أريد أن أسقيه ، فجعلت أريده على أن يتقدم فوالله ما يتقدّم ، فتقدّمتُ فدنوت من الماء وعَقلته ، ثم أتيت الماء فاذا قوم مشوّهون عند الماء فقعدت . فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشدّ تشويهاً منهم فقالوا : هذا شاعرهم . فقالوا له : يا فلان أنشد هـذا فإنه ضيف ؛ فأنشد :

ودّع هريرةَ إن الركب مرتحلُ

فلا والله ما خرَم منها بيتاً واحداً حتى انتهى الى هذا البيت :

تسمع للحَلْيِ وَسواساً اذا انصرفت كما استعان بريحٍ عِشرقٌ زَجِلُ

فأعجب به . فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا . قلت : لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثَعلبة أنشدَنيها عامَ أوّل بنجران . قال : فإنك صادق ، أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا مِسحَلٌ صاحبه ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس :

صوت

رأيتُ عَرابةَ الأوسِيَّ يسمو الى الخيرات مُنقَطِـعَ القَرينِ
إذا مـا رايةٌ رُفعت لمجد تلقّاهـا عَرابةُ باليمين

عروضه من الوافر . الشعر للشَّماخ . والغناء لمعبد خفيف الثقيل الأول بالوسطى . وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه . وذكر ابن المكيّ أن له فيه

لحناً آخر من خفيف الثقيل . وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبَّة عن محمد بن يحيى أَبي غَسَّان قال غنَّى أبو نؤي :

رأيت عرابة الأوسي يسمو الى الخيرات منقطع القرين

فنسبه الناس الى مَعبد . ولعلَّه يعني اللحنَ الآخر الذي ذكره ابن المكيّ . وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات أخبرني حَمَّاد عن ابن أَبي جَناح قال : الناس ينسبون هذا الصوت الى معبد .

ذكر الشماخ ونسبه وخبره

هو ، فيما ذكر لنا أبو خليفة عن محمد بن سلّام ، الشَّمّاخ بن ضِرار بن سِنان بن أميَّة بن عمرو بن حِجاش بن عَجّالة بن مازِن بن ثَعلبة بن سعد بن ذُبيان . وذكر الكوفيون أنه الشماخ بن ضِرار بن حَرملة بن صَيفيّ بن إياس بن عبد بن عثمان بن حِجاش بن عَجالة بن مازِن بن ثَعلبة بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان. وأمُّ الشمّاخ أَنمارِيّة من بنات الخُرشُب ويقال : إنهنّ أنجبُ نساء العرب ، واسمها مُعاذة بنت بُجَير بن خالد بن إياس . والشمّاخ مُخضرَم ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وقد قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم :

تَعَلَّم رسولَ الله أنا كأننا أَفَأْنا بأَنمارٍ ثعالبَ ذي غِسلِ

يعني أَنمارَ بن بَغيض وهم قومه . وهو أحد من هجا عشيرَته وهجا أضيافه ومَنّ عليهم بالقِرَى . والشمّاخ : لقب واسمه مَعقِل ، وقيل الهَيثم ، والصحيح معقل . قال جَبَل بن جَوّال له في قصة كانت بينهما :

لَعمري لعل الخيرَ لو تعلمانه يَمُنّ علينا مَعقِلٌ ويزيد
مَنِيحةَ[1] عنزٍ أو عطاءَ فَطيمةٍ أَلا أنّ نيل الثَّعلبيّ زهيد

وللشمّاخ أخوان من أُمّه وأبيه شاعران ، أحدهما مُزرّد وهو مشهور ، واسمه يزيد وإنما سمي مُزَرّداً لقوله :

---

(١) المنيحة : الناقة او الشاة .

فقلتُ تَرَدَّدْها عُبيدُ فإنني لدُردِ الشيوخِ في السنينَ مُزرِّدُ

والآخر جَزء بن ضِرار، وهو الذي يقول يرثي عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه :

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ يدُ الله في ذاك الأديم المزَّقِ
فمن يَسعَ أو يركبْ جناحَي نَعامةٍ ليُدرك ما حاولتَ بالأمس يُسبَق

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا شِهاب بن عَبَّاد قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا مِسعَر عن عبد الملك بن عُمير عن الصَّقر بن عبد الله عن عُروة عن عائشة قالت :

ناحت الجنّ على عمر قبل أن يُقتل بثلاث فقالت :

أبعد قَتيلٍ بالمدينة أظلمتْ له الأرضُ تهتزُّ العِضاهُ[1] بأسؤُقِ
جزى الله خيراً من إمامٍ وباركتْ يدُ الله في ذاك الأديم المزَّق
فمن يَسعَ أو يركبْ جَناحيْ نعامةٍ ليُدرك ما حاولتَ بالأمس يُسبَق
قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها بوائقَ[2] في أكمامها لم تُفتَّق
وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته بكفَّي سَبَنتَى أزرقِ العين مُطرِق

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزُّهريّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصدّيق :

أن عائشة حدثتْها أن عمر أذِن لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يَحجُجنَ

---

(١) العضاه : كل شجر له شوك . والأسؤق : جمع ساق .

(٢) البوائق : الشرور .

في آخر حِجَّة حَجَّها عمر . قال : فلما ارتحل عمر من المحصَّب أقبل رجل متلثِّم فقال وأنا أسمع : هذا كان منزله، فأناخ في منزل عمر ثم رفع عَقيرَته يتغنى :

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ يدُ الله في ذاك الأديم المزَّقِ
فمن يَجرِ أو يركبْ جناحَيْ نَعامةٍ ليدرك ما قدَّمتَ بالأمس يُسبَق
قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها بوائقَ في أكمامها لم تفتَّق

قالت عائشة : فقلت لبعض أهلي : اعلَموا لي علمَ هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في مُناخِه أحداً . قالت عائشة : فوالله إني لأحسَبه من الجنِّ . فلما قُتل عمر نحلَ الناسُ هذه الأبيات للشمَّاخ بن ضِرار أو جَمَّاع بن ضِرار . هكذا في الخبر، وهو جَزْء بن ضرار .

وجعل محمد بن سَلَّام في الطبقة الثالثة الشمَّاخَ وقرنه بالنابغة ولبيد وأبي ذُؤَيب الهُذليّ، ووصفه فقال : كان شديد متون الشعر أشدَّ كلاماً من لبيد، وفيه كَزازة[1]، ولبيدٌ أسهلُ منه منطقاً . أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه .

وقد قال الحُطيئة في وصيَّته : أبلِغوا الشمَّاخَ أنه أشعرُ غَطَفان، وقد كُتب ذلك في شعر الحطيئة .

وهو أوصفُ الناس للحَمير . أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدثني عمي عن ابن الكلبيّ قال : أُنشِد الوليدُ بن عبد الملك شيئاً من شعر الشمَّاخ في صفة الحمير فقال : ما أوصفه لها ! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمَّاراً .

أخبرني إبراهيم بن عبد الله قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال :

---

(١) الكزازة : اليبس والتقبض .

كان الشمّاخ يهجو قومه ويهجو ضيفَه ويَمُنُّ عليه بقِراه . وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرجز الناس على البديهة .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا عبد الرحمن ابن اخي الأصمعيّ عن عمه قال :

قال مُزرِّد لأمّه : كان كعب بن زُهير لا يهابني وهو اليومَ يَهابني . فقالت : يا بُنيّ نعم ! إنه يرى جَروَ الهِراش مُوثَقاً ببابك . تعني أخاه الشمّاخ . وقد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابيّ عن المُفضَّل قال : قالت مُعاذة بنت بُجير بن خَلَف للشمّاخ ومُزرِّد : عرّضتُماني لشعراء العرب الحطيئةِ وكعب بن زُهير . فقال : كلّا ! لا تخافي . قالت : فما يؤمّنني ؟ قالا : إنك رَبطتِ بباب بيتك جَروَيْ هِراشٍ لا يجترئ أحدٌ عليهما . يعنيان أنفسَهما .

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سَلّام قال أخبرني شُعيب بن صخر قال: كانت عند الشمّاخ امرأةٌ من بني سُلَيم أحدِ بني حَرام بن سِماك ، فنازعته وادّعته طلاقاً وحضر معها قومُها فاختصموا الى كَثير بن الصَّلت — وكان عثمان بن عفّان أقعده للنظر بين الناس ، وهو رجل من كِندة وعِدادُه في بني جُمَح وقد ولدتهم بنو جمح ثم تحوّلوا الى بني العبّاس فهم فيهم اليوم — فرأى كثيرٌ عليهم يميناً ، فألتوى الشمّاخُ باليمين يحرّضهم عليها ، ثم حلف وقال :

أَتتني سُلَيمٌ قَضُّها وقَضِيضُها تمسّح حولي بالبَقيع سِبالَها
يقولون لي يا أحلِفْ ولستُ بحالفٍ أُخاتِلهم عنها لكيما أنالها
ففرّجتُ همَّ النفس عنّي بحَلفةٍ كما شَقَّتِ الشَّقراء عنها جِلالها

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال :

قدِم ناسٌ من بَهز المدينة يستَعدون على الشمّاخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم ،

فجحد ذلك الشماخ . فأمر عثمانُ كثيرَ بنَ الصَّلت أن يستحلفه على مِنبر النبيّ صلى الله عليه وسلم : ما هجاهم . فانطلق به كثيرٌ الى المسجد ثم انتحاه دون بني بَهز — وبهز : اسمه تَيم بن سُلَيم بن منصور — فقال له : وَيلك يا شَمَّاخ ! إنك لتحلف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن حلف به آثِمًا يتبوّأ مقعدَه من النار ! قال : فكيف أفعل فداؤك أبي وأمي ؟ ! قال : إني سوف أُحلِّفك ما هجوتَهم، فأقلِب الكلامَ عليّ وعلى ناحيتي فقل : والله ما هجوتكم، فأَردِني وناحيتي بذلك، وإني سأدفع عنك . فلما وقف حلَف كما قال له وأقبل على كثير فقال : ما هجوتكم . فقالت بَهز : ما عنى غيرَكم، فأعِد اليمين عليه . فقال : ما لي أتأوّله ! هل استحلفتُه إلّا لكم ! وما اليمين إلا مرّةٌ واحدة ! إنصرفْ يا شَمَّاخ . فانصرف وهو يقول :

أتتني سُليم قَضُّها وقَضيضُها تمسّح حولي بالبَقيع سِبالَها
يقولون لي يا احلِفْ ولستُ بحالفٍ أُخادعهم عنها لكيما أنالها
فلولا كثيرٌ نعَّم اللهُ بالَه أزلَّتْ(١) بأعلى حُجَّتَيك نعالها
ففرّجتُ همَّ الموت عنّي بحَلفةٍ كما شَقَّتِ الشَّقراء عنها جلالها

ونسختُ هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدثني عليّ بن صالح صاحب المصلَّى قال قال القاسم بن مَعن :

كان الشماخ تزوّج امرأة من بني سُلَيم، فأساء اليها وضربها وكسر يدها . فعرَضت امرأةٌ من قومها، يقال لها أسماء، ذاتَ يوم للطريق تسأل عن صاحبتها . فاجتاز الشمَّاخ وهي لا تعرفه : فقالت له : ما فعل الخبيث شمَّاخ ؟ فقال لها : وما تريدين منه ؟ قالت : إنه فعل بصاحبةٍ لنا كيت وكيت . فتجاهل عليها وقال : لا أعلم له خبراً، ومضى وتركها وهو يقول :

---

(١) أزلت : أزلقت .

تُعارِضُ أسماءُ الرِّفاقَ عشيَّةً تسائل عن ضِغنِ النساءِ النَّواكحِ
وماذا عليها إنْ قَلوصٌ تمرَّغتْ بعِدلين أو ألقتهما بالصَّحاصِح
فإنكِ لو أُنكِحتِ دارتْ بكِ الرَّحا وأُلقيتِ رَحلي سَمحةً غيرَ طامح
أأسماءُ إنّي قد أتاني مخبِّرٌ بفِيقةَ يُنبي منطقاً غيرَ صالح
بَعَجتُ اليه البطنَ ثم انتصحتُه وما كلُّ من يُفشي اليه بناصح
وإنّي من قومٍ على أن ذَمَمتِهم اذا أُولِموا لم يُولِموا بالأنافِح (١)
وإنكِ من قوم تَحِنّ نساؤهم الى الجانب الأقصى حنينَ المَنائح

ثم دخل المدينةَ في بعض حوائجه، فتعلّقت به بنو سُليم يطلبونه بظُلامة صاحبتهم، فأنكر. فقالوا: احلف، فجعل يطلب اليهم ويغلّظ عليهم أمرَ اليمين وشدّتَها عليه ليرَضوا بها منه حتى رَضوا، فحلَف لهم وقال:

ألا أصبحتْ عِرسي من البيت جامحاً بغير بلاءٍ أيُّ أمرٍ بَدا لها
على خَيرةٍ كانت أم العِرسُ جامحٌ فكيف وقد سُقنا الى الحيِّ ما لها
سترجِع غَضبى رَثّةَ الحال عندنا كما قطعتْ منّا بليلٍ وصالها

فذكر بعد هذه الأبيات قولَه:

أتتني سُلَيم قَضُّها وقَضيضُها

الى آخر الأبيات.

وقال ابن الكلبيّ:

كان الشمّاخ يهوى امرأة من قومه يقال لها كَلبةُ بنتُ جَوّال أختُ جَبَل ابن جَوّال الشاعر ابن صَفوان بن بِلال بن أُصرَم بن إياس بن عبد تَميم بن جِحاش

(١) الأنافح: كرش الحمل والجدي.

ابن نَجالة بن مازِن بن ثَعلبة ، وكان يتحدّث اليها ويقول فيها الشعر ؛ فخطَبها فأجابته وهمّت ان تتزوّجه . ثم خرج الى سفر له فتزوّجها أخوه جَزْء بن ضِرار ، فآلى الشمّاخ أَلّا يكلِّمه أبداً ، وهجاه بقصيدته التي يقول فيها :

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نَظرةٍ سقيمُ الفؤاد حبُّ كَلبةَ شاغلُهْ

فماتا متهاجرين .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدثني أحمد بن محمد بن بكر الزُّبيري قال حدثنا الحسن بن موسى بن رَباح مولى الأنصار عن أبي خُزيّة الأنصاري قال :

كنتُ على باب المهديّ يوماً ، فخرج حاجبه فقال : أين ابن دَأب ؟ فقال : هاءَنذا . فقال : أدخل ؛ فدخل ثم خرج فجلس . فقلت : يابنَ دأب ، ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين ؟ قال قال لي : أنشِدني أبياتاً من أشعر ما قالت العرب ؛ فأردت أن أُنشده قولَ صاحبك أبي صِرمةَ الأنصاريّ التي يقول فيها :

لنا صُورٌ يؤول الحقُّ فيها وأخلاقٌ يَسود بها الفقيرُ
ونصحٌ للعشيرة حيث كانت إذا مُلئت من الغشّ الصدور
وحِلمٌ لا يَصوب الجهلُ فيه وإطعامٌ اذا قَحِطَ الصَّبير [1]
بذات يدٍ على ما كان فيها نجود به قليلٌ أو كثير

فتركتُها وقلت : إن من أشعر ما قالت العرب قولَ الشمّاخ :

وأشعثَ قد قَدّ السِّفار قميصَه يجرّ شِواءً بالعصا غيرَ مُنضَجِ
دعوتُ الى ما نابني فأجابني كريمٍ من الفتيان غيرِ مُزَلَّج

(١) الصبير : السحاب الابيض .

فتًى يملأ الشِّيزى[1] ويُروي سِنانه ويضرب في رأس الكَمِيّ المُدَجّجِ
فتًى ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ولا في بيوت الحيّ بالمتــولِّج

فقال: أحسنتَ! ثم رفع رأسه الى عبد الله بن مالك فقال: هذه صفتُك يا أبا العباس. فأَكَبَّ عليه عبد الله فقبَّل رأسه وقال: ذكَرك الله بخــير الذّكر يا أمير المؤمنين. قال أبو غُزَيَّة فقلت له: الأبيات التي تركتَ والله أشعرُ من التي ذكرت.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

عَرابةُ الذي عَناه الشمّاخ بمدحه هو أحد أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو عرابة بن أَوْس بن قَيظيّ بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث ابن الخَزرَج. وإنما قال له الشماخ: عرابة الأوسيّ، وهو من الخَزرَج، نسبةً الى أبيه أوس بن قَيظِيّ. ولم يصنع إسحاق في هذا القول شيئاً. عَرابة من الأوس لا من الخَزْرج؛ وفي الأوس رجل يقال له الخَزرج ليس هذا هو الجدّ الذي ينتهي اليه الخَزرجيون الذي هو أخو الأوس، هذا الخزرج بن النَّبيت بن مالك بن الأوس وهكذا نسبه النسّابون.

وأخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء عن عبد الله بن جعفر بن مُصعب عن جدّه مُصعَب الزُّبيريّ عن ابن القدّاح: وأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم في غَزاة أُحد ليغزوَ معه؛ فردّه في غِلمة استصغرهم: منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسَيد بن حُضَير والبراء بن عازِب وعَرابة بن أوس وأبو سعيد الخُدْريّ.

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبريّ عن الحارث بن سعد عن الواقديّ عن محمد بن حُميد عن سلمة عن ابن إسحاق.

---

(١) الشيزى: نوع من الخشب.

وأوس بن قَيظِيّ أبو عَرابة من المنافقين الذين شهدوا أُحداً مع النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال له : إنّ بيوتنا عَورةٌ . وأخوه مِربَع بن قيظيّ الأعمى الذي حَثا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب لمّا خرج الى أُحدٍ وقد مرّ في حائطه[1] وقال له : إن كنتَ نبيًّا فما أُحِلُّ لك أن تدخل في حائطي . فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوسه فشَجَّه وقال : دَعني يا رسول الله أقتلْه فإنه منافق . فقال صلى الله عليه وسلم : « دعوه فإنه أعمى القلبِ أعمى البصر » . فقال أخوه أَوس بن قَيظيّ أَبو عَرابة : لا والله ولكنها عداوتكم يا بني عبد الأشهل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا والله ولكنه نِفاقكم يا بني قَيظيّ » .

أخبرنا بذلك الحرميّ عن عبد الله بن جعفر الزُّبيريّ عن جدّه مُصعب عن ابن القَدّاح :

أن عرابة كان سيّداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم ، وكان أَبوه أوس ابن قَيظيّ من وجوه المنافقين .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جُعدُبة ، وأخبرني عليّ بن سليمان عن محمد بن يزيد ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم :

أن الشماخ خرج يريد المدينة ، فلقيه عَرابةُ بن أوس فسأله عما أقدمه المدينةَ ، فقال : أردت أن أَمتارَ لأهلي . وكان معه بَعيران فأوقرهما له بُرًّا وتمراً وكساه وبَرَّه وأكرمه . فخرج عن المدينة وامتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها :

---

(١) الحائط : البستان .

رأيت عَرابةَ الأوسيَّ يسمو الى الخيرات منقطعَ القرين

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثنا الرّياشيّ قال حدثنا الأصمعي قال:

قال معاوية لعرابة بن أوس: بأي شيء سُدتَ قومَك؟ فقال: أعفو عن جاهلهم، وأعطي سائلَهم، واسعى في حاجاتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي، ومن قصَّر عنه فأنا خيرٌ منه، ومن زاد فهو خيرٌ منّي. قال الأصمعيُّ: وقد انقرض عَقِبُ عرابة فلم يبق منهم احد.

أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن ابن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال ابن دأب وسمع قول الشماخ بن ضِرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

إنك يابنَ جعفرٍ نِعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ اذا أتى
وجارُ ضيفٍ طرق الحيَّ سُرَى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إن الحديثَ طرَفٌ من القِرى

فقال ابن دأب: العجب للشماخ! يقول مثلَ هذا لابن جعفر ويقول لعرابة:

إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقَّاها عَرابةُ باليمين

ابن جعفر كان أحقَّ بهذا من عَرابة!

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الكُرانيُّ محمد بن سعد قال حدثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكَتِس قال قال لي أبو نواس: ما أحسن الشمّاخُ في قوله:

إذا بلغتني وحملتِ رحلي عَرابةَ فاشرَقي بدم الوَتينِ[1]

لا كما قال الفرزدق :

عــلامَ تَلفَّتين وأنت تحتي وخيرُ الناس كلِّهم أمامي
متى تَردي الرُّصافةَ تستريحي من التَّهجير والدَّبَرِ الدَّوامي

قلت أنا : وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داودُ بن سلم في مدحه قُثَمَ بن العبَّاس فأحسن فقال :

نجوتِ من حِلِّي ومن رِحلتي يا ناقُ إن أدنيتني من قُثَمْ
إنكِ إن أدنيتِ منه غداً حالفنا اليُسْرُ ومات العَدَم
في كفِّه بحرٌ وفي وجهه بدرٌ وفي العِرْنين منه شَمَم
أصمُّ عن قِيل الخَنا سمعُه وما عن الخير به من صَمَم
لم يَدْرِ ما « لا » و « بَلى » قد درَى فعافها واعتاض منها « نعم »

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخرّاز عن المدائني قال :

أنشد عبدُ الملك قولَ الشماخ في عَرابة بن أوس :

إذا بلَّغتني وحملتِ رحلي عرابةَ فاشرَقي بدم الوتين

فقال : بئست المكافأةُ كافأها ! حملت رحلَه وبلَّغتْه بُغيته فجعل مكافأتها نَحرَها !

قال الخرّاز : ومثل هذا ما حدّثناه المدائنيُّ عن ابن دأب أن رجلًا لقي المهلَّب فنحر ناقته في وجهه ؛ فتطيَّر من ذلك وقال له : ما قصَّتك ؟ فقال :

---

(١) الوتين : عرق في القلب .

إني نذرتُ لئن لَقِيتُكَ سالماً أن تستمرّ بها شِفارُ الجازر

فقال المهلَّب : فأطعمونا من كَبِد هذه المظلومة ، ووصلَه .

قال المدائني : ولقِيَتْه امرأةٌ من الأزد وقد قدِم من حرب كان نهض اليها ، فقالت : أيها الأمير ، إني نذرتُ إن وافيتك سالماً أن أُقبّل يدك وأصوم يوماً وتهبَ لي جارية صُغدية وثلثمائة درهم . فضحك المهلَّب وقال : قد وَفينا لكِ بنذرك فلا تعاودي مثله ، فليس كل أحد يفي لك به .

وأخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني بعض أصحابنا عن القَحذَميّ : أن أبا دُلامة لقِيَ المهديَّ لمّا قدِم بغدادَ ، فقال له :

إني نذرتُ لئن رأيتكَ وارداً أرضَ العراق وأنت ذو وَفْرِ
لَتُصَلِّيَنَّ على النبيّ محمدٍ ولتملأنّ دراهماً حِجري

فقال له : أمّا النبيّ فصلّى الله على النبي محمد وآله وسلّم ، وأما الدراهم فلا سبيل اليها . فقال له : أنت أكرمُ من أن تُعطِيَني أسهلَهما عليك وتمنعني الأخرى . فضحك وأمر له بما سأل . وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يُذكر الشيء بمثله .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن عيسى العَبديّ قال حدثني أحمد بن طالب الكناني (كنانة تَغلِب) ، وأخبرني به محمد بن أحمد بن الطَّلّاس عن الخرّاز عن المدائنيّ لم يتجاوزه به قال :

نصَب عبد الملك بن مروان الموائد يُطعم الناس ؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد . فنظر اليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره ، فقال له : أعِراقيٌّ

أنت ؟ قال : نعم . قال : أنت جاسوس ؟ قال : لا . قال : بَلى . قال : وَيحكَ ! دَعني أتهنَّأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغِّصني به . ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال مَنِ القائل :

إذا الأرطى توسَّد أبرَدَيهِ خدودُ جوازئٍ بالرَّمل عِينِ

وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزْناه ، والخادم يسمع . فقال العراقيّ للخادم : أتحبّ أن أشرح لك قائله وفيم قاله ؟ قال : نعم . قال : يقوله عديّ بن زيد في صفة البِطِّيخ الرَّمسيّ . فقال ذلك الخادم . فضحك عبد الملك حتى سقط . فقال له الخادم : أخطأتُ أم أصبتُ ؟ فقال : بل أخطأتَ . فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا العراقيّ فعل الله به وفعل لقَّنَنيه . فقال : أيُّ الرجالِ هو ؟ فأراه إياه . فعاد اليه عبد الملك وقال : أنت لقَّنْتَه هذا ؟ قال : نعم . قال : أخطأً لقَّنتَه أم صواباً ؟ قال : بل خطأ . قال : ولِمَ ؟ قال : لأني كنت متحرّماً بمائدتك فقال لي كيت وكيت ، فأردتُ أن أَكُفَّه عنّي وأُضحكَكَ . قال : فكيف الصواب ؟ قال : يقوله الشماخ بن ضِرار الغَطَفاني في صفة البقر الوحشية قد جَزَأَتْ بالرُّطب عن الماء . قال : صدقتَ وأجازه ، ثم قال له : حاجتك ؟ قال : تُنَحّي هذا عن بابك فإنه يَشينُه .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكَّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليُّ أن أبا عُبيدة حدّثه عن غير واحد من أهل المدينة :

أن يزيد بن عبد الملك لمَّا قَدِم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم . فأقبل اليه كثيِّر يرجو أكثر من ذلك ، وكان قد عوّده مَن كان قبلَ يزيدَ من الخلفاء أن يُلقي عليهم بيوتَ الشعر ويسألهم عن المعاني . فألقى على يزيدَ بيتاً وقال يا أمير المؤمنين ، ما يعني الشماخُ بقوله :

فما أَروى وإن كَرُمتْ علينا بأدنى من موقَّفةٍ حَرونِ

تُطيف على الرُّماة فتتَّقيهم بأوعالٍ مُعطَّفةِ القرونِ

فقال يزيد : وما يضرُّ يا ماصَّ بَظرِ أمّه ألّا يعلم أميرُ المؤمنين هذا ! وإن احتاج الى علمه سأل عبداً مثلك عنه ! فندِم كثيِّر وسكَّته مَن حضر من أهل بيته ، وقالوا له : إنه قد عوّده مَن كان قبلك من الخلفاء أن يُلقي عليه أشباهَ هذا ، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه ؛ فطَفِئَ عنه غضبه . وكانت جائزته ثلاثين ألفاً ، وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص .

وأخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سلّام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشمّاخ :

وقد عَرِقتْ مَغابِنُها وجادتْ بدِرَّتِها قِرى حَجِنٍ قَتِينِ

فسكت عنه يزيد ، فقال يزيد : وما على أمير المؤمنين لا أمَّ لك ألّا يعرف هذا ! هو القُراد أشبهُ الدوابِّ بك !

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدثنا علي بن صالح صاحب المُصَلَّى قال حدثنا ابن دأب قال :

قال معاوية لعبد الله بن الزُّبير وهو عنده بالمدينة في أُناس : يابنَ الزُّبير ، ألا تَعذِرني في حسن بن عليّ ! ما رأيتُه مُذ قَدِمتُ المدينةَ إلّا مرَّةً . قال : دَعْ عنك حسناً ، فأنت والله وهو كما قال الشمّاخ :

أجامِلُ أقواماً حياءً وقد أرَى صدورَهم تَغلي عليّ مِراضُها

والله لو يشاء حسنٌ أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك ! والله لأهلُ العراق أرأمُ له من أمّ الحُوار لحوارها . فقال معاوية رحمه الله : أردتَ أن تُغرِيَني به ! والله لأصِلنّ رَحِمَه ولأقبِلنّ عليه ، وقال :

أَلا أيّهـا المرءُ المحرّشُ بيننا أَلا أقتُلْ أخاك لستُ قاتلَ أربَدِ
أَبَى قُربُه منّي وحُسنُ بلائـه وعلمي بما يأتي به الدهرُ في غدِ

— والشعر لعُروة بن قَيس — فقال ابن الزبير : أَمَا والله إنّي وإيّاه لَيَدٌ عليك بحِلْف الفُضُول . فقال معاوية : من أنت ! لا أعرِض لك وحِلفَ الفُضول ! والله ما كنت فيها إلا كالرَّهينة تُثخَن معنا وتَرْدَى هزيلًا ، كما قال أخو هَمدان :

إذا ما بعيرٌ قام علّق رحـله وإن هو أبقى بالحياة مُقطَّعَا

صوت من مدن معبد

وهو الذي أوّله :

كم بذاك الحجون من حيّ صدقِ

أَسعداني بعَبرةٍ أَسرابِ من شؤون كثيرةِ التَّسكاب
إن أهلَ الحِصاب قد تركوني مُوزَعاً مُولعاً بأهـل الحِصاب
كم بذاك الحجونِ من حيّ صِدْقٍ وكهول أَعِفَّـةٍ وشَباب
سكَنوا الجزعَ جزعَ بيت أبي مو سى إلى النخل من صُفيّ السِّباب
فارَقوني وقـد علمتُ يقيناً ما لمن ذاق مِيتـةً من إياب
فَلِيَ الويـلُ بعدهم وعليهم صرتُ فرداً ومَلَّني أصحـابي

عَروضه من الخفيف . الشؤون : الشُّعَب التي يتداخل بعضها في بعض من عظام الرأس ، واحدها شأن مهموزاً . والجزْع : منعطَف الوادي . وصُفِيُّ السِّباب : جمع صَفاة وهي الحجارة . ولُقِّبت صُفِيَّ السِّباب لأن قوماً من قريش ومواليهم كانوا يخرجون اليها بالعَشِيّات يتشاتمون ويذكرون المعايبَ والمثالبَ التي يُرمَون بها ؛ فسمّيت تلك الحجارةُ صُفِيَّ السِّباب .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عليّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه قال يقال : صَفا السِّباب وصُفِيّ السِّباب بفتح الفاء وكسرها جميعاً ، وهو شِعبٌ من شِعاب مكة فيها صَفاً أي صخرٌ مطروح . وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال ؛ ثم صار ذلك في صدرٍ من الإسلام أيضاً حتى نشأ سُدَيف مولى عُتبة بن أبي سُدَيف وشَبيبٌ مولى بني أُمية ، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في موالي بني أُميَّة ، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف . وكان يقال لهم السُدَيفيَّة والشَّبيبيَّة . وكان أهل مكة مقتسَمين بينهما في العصبية ؛ ثم درس ذلك فصارت العصبية بمكة بين الجزّارين والحنَّاطين ، فهي بينهم الى اليوم ، وكذلك بالمدينة في القِمار وغيره .

الشعر لكَثير بن كثير بن المطَّلب بن أبي وَداعة السَّهميّ ، وقيل : بل هو لكثيِّر عَزَّة . وقد رُوي في ذلك خبر نذكره . والغناء لمعبد ثقيلٌ اول بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه ثقيلًا اول بالخنصر للغَريض ولحناً آخر لابن عَبَّاد ولم يجنِّسه . ولابن جامع في الخامس والسادس رَمَلٌ بالوسطى . ولابن سُرَيج في الأربعة الأُوَل ثقيلٌ اول بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن أبي دُباكِل الخُراعيّ فيها ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأبي أيّوبَ المَدنيّ وحَبَش . فمن روى هذا الشعر لكثيِّر عزّة يرويه :

إنّ أهل الخضاب قد تركوني

ويزعم أن كثيِّراً قاله في خِضاب خضَبتْه عَزّةُ به .

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة ولم يتجاوزه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الزبيريّ قال حدثني بهذا الخبر ايضاً وفيه زيادة وخبرُه أحسن وأكثر تلخيصاً وأدخل في معنى الكتاب ، قال الزبيريّ حدثني أبي قال :

خرجت الى ناحية فَيد[1] متنزّهاً، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزبير وإحدى يديه على يد هذا والأخرى على يد هـذا، وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تُجلى على زوجها. فلمّا رأيتهم دنوت فسلّمت وكنت أحدثَ القومِ سِنّاً، فاشتهيتُ غِناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع. وكان ابن عائشة إذا هيّجتَه تحرّك. فقلت: رحم الله كثيّراً وعَزّة! ما كان أوفاهما وأكرمَهما وأصونَهما لأنفسهما! لقد ذكرتُ بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عَزّة حين خضَبتْ كثيّراً. فقال ابن عائشة: وكيف كان حديث ذلـك؟ قلت: حدثني مَن حضره بذلك — ومن هاهنا تتفق رواية عمر بن شَبّة والزبيريّ — قال: خرج كثيّر يريـد عَزّة وهي منتجِعة بالصواري وهي الأودية بناحية فَدَك، فلما كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابيًّا فقال له: اذهب الى ذلك الماء فإنـك ترى امرأةً جسيمةً لَحِيمةً تُبـالِط الرجالَ الشعر — قال إسحاق: المبالطة: أن تُنشِد أوّلَ الشعر وآخرَه — فإذا رأيتَها فناد — من رأى الجملَ الأحمر؟ مراراً. ففعل. فقالت له: وَيحك قد أسمعتَ فانصرِفْ، فانصرف اليه فأخبره. فلم يلبَث أن أقبلتْ جاريةٌ معها طَستٌ وتَوْرٌ[2] وقِربة ماء حتى انتهت اليه، ثم جاءت بعد ذلك عَزّةُ فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته. فقالت له: ما عـلى هذا فارقتُك! فركب راحلتَه وهي باركةٌ وقامت الى لِحيته فأخذت التَّور فخضَبتْه وهو على ظهر جمله حتى فرغتْ من خِضابه، ثم نزل فجعلا يتحدّثان حتى عَلِق الخضابُ، ثم قامت اليه فغسلت لِحيتَه ودهنَته، ثم قام فركب وقال:

إنّ أهل الخِضاب قد تركوني مُوزَعاً مُولَعاً بأهـل الخضاب

وذكر باقيَ الأبيات كلّها. والى هاهنا رواية عمر بن شَبّة. فقال ابن عائشة: فأنا

---

(١) فيد: منزل بطريق مكة.

(٢) تور: إناء صغير.

والله أُغنّيه وأُجيده، فهل لكم في ذلك ؟ فقلنا : وهل لنا عنه مَدفعٌ ! فاندفع يغنّي بالأبيات، فخُيِّل إليّ أن الأودية تنطق معه حسناً . فلمَّا رجعنا الى المدينة قصصت القصَّة، فقيل لي : إن ذلك أحسن صوت يغنّيه ابن عائشة ؟ فقلت : لا أدري إلَّا أني سمعت شيئاً وافق محبَّتي .

وقال عبد الله بن أَبي سعد حدثني عبد الله بن الصبَّاح عن هشام بن محمد عن أبيه قال :

زار معبدٌ ابنَ سُريج والغريضَ بمكة، فخرجا به الى التنعيم[1] ثم صاروا الى الثنيَّة العُليا ثم قالوا : تعالَوْا حتى نُبكِيَ أهل مكة، فاندفع ابن سُرَيج فغنى صوته في شعر كثير بن كثير السَّهميّ :

أَسعديني بعَبرةٍ أَسرابِ من دموعٍ كثيرةِ التَّسكابِ

فأخذ أهلُ مكة في البكاء وأَنُّوا حتى سُمع أنينُهم . ثم غنى معبد :

صوت

يا راكباً نحوَ المدينة جَسرةً أُسُداً تلاعِب حَلقةً وزِماما
إقرأ على أهل البَقيع من امرئٍ كَمِدٍ على أهل البقيع سلاما
كم غيَّبوا فيه كريماً ماجداً شَهماً ومُقتبِلَ الشبابِ غلاما
ونَفيسةً في أَهلها مرجوّةً جمعتْ صَباحةَ صورةٍ وتَماما

فنادَوْا من الدروب بالويل والحَرَب والسَّلَب، وبقي الغريض لا يقدِر من البكاء والصُّراخ أن يغني .

---

(١) التنعيم : موضع بمكة .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبد ثقيل اول بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي، وقد غلط . وذكر حبش أن لعلّويه فيه ثقيلًا اول آخر .

ومن مُدُن معبد

صوت

وقد أُضيف اليه غيره من القصيدة :

سَلِي هل قَلانِي من عَشيرٍ صَحِبتُه ... وهل ذَمَّ رحلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يَحتوي القومُ الكِرامُ صَحابتي ... اذا أغبرَّ مَخشِيُّ الفِجاج عَميق
ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهدايا المُشعَراتِ صديق
تكاد بلادُ الله يا أمَّ مَعمَرٍ ... بما رَحُبتْ يوماً عليّ تَضيق
أذُود سَوامَ الطَّرْف عنكِ وهل لها ... الى أحدٍ إلا اليكِ طريق
وحدّثتني يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البَين من لُبنى فسوف تذوق
فمُتْ كَمَداً أو عِش سَقيماً فإنما ... تكلّفني مالا أراك تُطيق
بلُبنى أُنادَى عند أول غَشية ... ولو كنتُ بين العائدات أُفيق
إذا ذُكرت لبنى تَجلّتكَ زَفرةٌ ... ويَثني لك الدّاعي بها فتُفيق

عروضه من الطويل . الشعر لقيس بن ذَريح . والغناء لمعبد في اللحن المذكور ثقيل اول بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق في الاول والثاني والثالث . وذكر في موضع آخر وافقته دَنانيرُ أن لمعبد ثقيلًا اول بالبنصر في مجرى الوسطى اوله :

صوت

أتجمع قلباً بالعراق فَريقُه ... ومنه بأطلال الأَراكِ فريقُ
فكيف بها لا الدارُ جامعةُ النَّوى ... ولا أنت يوماً عن هواكَ تُفيق
ولو تعلمين الغيب أيقنتِ أنني ... لكم والهدايا المُشعَراتِ صديق

البيتان الاولان يُروَيان لجرير وغيره، والثالث لقيس بن ذَرِيح أضافه اليهما مَعبد. وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد الأوّلَ في خمسة أبيات أُولى من الشعر. وذكر عمرو بن بانة أنّ لبَذل الكبيرة خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى في الرابع من الأبيات وبعده:

دَعَونَ الهوى ثم ارتَمَينَ قلوبَنا بأعيُنِ أعداءٍ وهنّ صديقُ

وبعده الخامس من الأبيات وهو «أَذُود سَوامَ الطَّرْف». وزعم حَبَشٌ أن في لحن معبدٍ الثاني الذي أوّله: «أتجمع قلباً» لابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبنصر. وذكر أيضاً أن للغريض في الاول والثاني والسابع ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر، ولابن مِسجَح خفيفَ رملٍ بالبنصر. وفي السادس وما بعده لحَكَم الواديّ ثقيلٌ اول بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر حَبَش أن للغريض فيها ثقيلًا اول بالوسطى.

ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره

هو، فيما ذكر الكلبيّ والقَحذميّ وغيرهما، قيس بن ذَريح بن سُنَّة بن حُذافة بن طَريف بن عُتوارة بن عامر بن لَيث بن بكر بن عبد مَناة وهو عليّ بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدرِكة بن الياس بن مُضر بن نِزار. وذكر أبو شُراعة القَيسيّ أنه قيس بن ذَريح بن الحُباب بن سُنَّة؛ وسائر النسب متَّفق. واحتجَّ بقول قيس:

فإن يك تَهيامي بلُبنى غَوايةً فقد يا ذَريحُ بنَ الحُبابِ غَوَيتُ

وذكر القحذَميّ أن أمّه بنتُ سُنَّة بن الذاهِل بن عامر الخُزاعيّ، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنَّة شاعر، وهو الذي يقول:

ضربوا الفِيلَ بالمغمَّس[1] حتى ظَلَّ يحبو كأنه محمومُ

وفيه يقول قيس:

أُنبئتُ أنّ لخالي هَجمةً حُبُساً كأنّهن بجنبِ المَشعرِ النُّصُلُ
قد كنتَ فيما مضى قِدْماً تجاورُنا لا ناقةٌ لك ترعاها ولا جمل
ما ضَرَّ خاليَ عمراً لو تقَسَّمها بعضُ الحياض وجَمُّ البئر مُحتفِل

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن موسى بن حمّاد قال حدثني أحمد

(١) المغمس: موضع قرب مكة.

ابن القاسم بن يوسف قال حدثني جَزْء بن قَطَن قال حدثنا جَسّاس بن محمد بن عمرو أحدُ بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السَّريّ عن هشام بن الكَلبيّ قال حدثني عدد من الكنانيّين :

أن قيس بن ذَرِيح كان رضيعَ الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، أرضعته أُمّ قيس .

أخبرني بخبر قيس ولُبنى امرأته جماعةٌ من مشايخنا في قِصَص متّصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومةٍ ، فألّفتُ ذلك أجمعَ ليتّسق حديثُه إلّا ما جاء مفرداً وعَسُر إخراجُه عن جملة النظم فذكرته على حدة . فممّن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبّة ولم يتجاوزه الى غيره ، وإبراهيم بن محمد بن أيّوب عن ابن قُتيبة ، والحسنُ بن عليّ عن محمد بن موسى بن حمّاد البربريّ عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جَزْء بن قَطَن عن جَسّاس بن محمد عن محمد بن أبي السَّريّ عن هشام بن الكَلبيّ وعلى روايته أكثر المعوَّل . ونسختُ ايضاً من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القَحذميّ عن رجاله ، وخالدُ بن كُلثوم عن نفسه ومن روى عنه، وخالدُ بن جَمَل ونُتَفاً حكاها اليوسفيّ صاحبُ الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حمّاد عن جميل عن ابن أبي جَناح الكَعبيّ . وحكيت كلَّ مُتّفِقٍ فيه متّصلاً، وكل مختلِفٍ في معانيه منسوباً الى راويه . قالوا جميعاً :

كان منزل قومه في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضِرة المدينة . وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسَرِف[1]؛ واحتجّ بقوله :

الحمد لله قد أمست مُجاوِرةً أهلَ العَقيق وأمسَينا على سَرِفِ

قالوا : فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خُزاعة ، فوقف على خَيمة منها

(١) سرف : موضع قرب مكة .

والحيّ خُلوف(١) والخيمةُ خيمة لُبْنَى بنت الحُباب الكعبيَّة، فاستسقى ماءً، فسقته وخرجتْ اليه به، وكانت امرأةً مَديدةَ القامةِ شَهلاءَ حُلوةَ المنظر والكلام. فلما رآها وقعتْ في نفسه، وشرب الماء. فقالت له: أتنزل فتتبرَّدَ عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. وجاء أبوها فنحر له وأكرمه. فانصرف قيس وفي قلبه من لُبنى حَرٌّ لا يَطفَأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوي. ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتدّ وجدُه بها، فسلَّم فظهرت له وردّت سلامَه وتحفَّت به؛ فشكا اليها ما يَجدُ بها وما يَلقى من حبّها، وشكت اليه مثلَ ذلك فأطالت، وعرف كلٌّ واحد منهما ما له عند صاحبه. فانصرف الى أبيه وأعلمه حاله وسأله ان يزوّجه إياها. فأبى عليه وقال: يا بنيّ، عليك بإحدى بناتِ عمك فهنّ أحقُّ بك. وكان ذَريحٌ كثير المال موسِراً، فأحبّ ألّا يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به. فأتى أمّه فشكا ذلك اليها واستعان بها على ابيه، فلم يجد عندها ما يحبّ. فأتى الحسينَ بن علي بن أبي طالب وابنَ أبي عَتيق فشكا اليهما ما به وما ردّ عليه أبوه. فقال له الحسين: أنا أكفيك. فمشى معه الى أبي لُبنى. فلما بَصُر به أعظمه ووثب اليه، وقال له: يابنَ رسول الله، ما جاء بك؟ ألا بعثتَ إليّ فأتيتُك! قال: إن الذي جئتُ فيه يُوجب قصدَك وقد جئتك خاطباً ابنتك لُبنى لقيس بن ذَريح. فقال: يابنَ رسول الله، ما كنّا لنَعْصِيَ لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحبّ الأمرِ الينا أن يخطُبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره، فإنّا نخاف إن لم يَسعَ أبوه في هذا أن يكون عاراً وسُبَّةً علينا. فأتى الحسينُ رضي الله عنه ذَريحاً وقومَه وهم مجتمعون، فقاموا اليه إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخُزاعيين. فقال لذَريح: أقسمتُ عليك إلّا خطبتَ لُبنى لابنك قيس. قال: السمعَ والطاعةَ لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتَوْا لُبنى فخطبها ذَريحٌ على ابنه إلى أبيها فزوّجه إيّاها، وزُفّت اليه بعد ذلك. فأقامت معه مدّة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه

(١) خلوف: غيب.

شيئاً . وكان أبرّ الناس بأُمّه، فألهته لُبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أُمّه في نفسها وقالت : لقد شغلتْ هذه المرأةُ ابني عن برّي ؛ ولم تَرَ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرِض مرضاً شديداً . فلما بَرَأ من علّته قالت أمّه لأبيه : لقد خَشيتُ أن يموت قيسٌ وما يتركُ خَلَفاً وقد حُرِم الولدَ من هذه المرأة ، وأنت ذو مال فيصيرُ مالك إلى الكلالة، فزوّجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً ، وألحّتْ عليه في ذلك . فأمهلَ قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال : يا قيس ، إنك اعتللتَ هذه العلّةَ فخفتُ عليك ولا ولد لك ولا لي سواك . وهذه المرأة ليست بوَلود ؛ فتزوّج إحدى بناتِ عمك لعلّ الله أن يهَب لك ولداً تَقَرُّ به عينُك وأعيننا . فقال قيس : لست متزوّجاً غيرها أبداً . فقال له أبوه : فإن في مالي سَعَةً فتَسَرَّ بالإماء . قال : ولا أسوءها بشيءٍ أبداً والله . قال أبوه : فاني أُقسِم عليك إلّا طلّقتَها . فأبى وقال : الموتُ والله عليّ أسهل من ذلك ، ولكني اخيّرك خَصلةً من ثلاث خصال . قال : وما هي ؟ قال : تتزوّج أنت فلعلّ الله أن يرزُقك ولداً غيري . قال : فما فيَّ فضلة لذلك . قال : فدعني أرتحِلْ عنك بأهلي وأصنع ما كنتَ صانعاً لو متُّ في علّتي هذه . قال : ولا هذه . قال : فأدَعُ لُبنى عندك وأرتحلُ عنك فلعلي أسلوها فإني ما أحبّ بعد أن تكون نفسي طيّبة أنها في خيالي . قال : لا أرضى أو تطلّقها ، وحلَف لا يَكُنُّه سقفُ بيت أبداً حتى يطلّق لُبنى ، فكان يخرج فيقفُ في حرّ الشمس ، ويجيء قيس فيقف الى جانبه فيُظِلّه بردائه ويَصلى هو بحرّ الشمس حتى يَفيءَ الفيءُ فينصرفَ عنه ، ويدخل الى لُبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له : يا قيس ، لا تُطِعْ أباك فتهلِكَ وتُهلِكَني . فيقول : ما كنت لأطيعَ أحداً فيكِ أبداً . فيقال : إنه مكث كذلك سنة . وقال خالد بن كُلثوم : ذكر ابنُ عائشة أنه أقام على ذلك أربعينَ يوماً ثم طلّقها . وهذا ليس بصحيح .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زُهير قال حدثني يحيى بن مَعين قال حدثنا عبد الرزّاق قال أخبرنا ابن جُريج قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو :

أنه سمع قيس بن ذَريح يقول لزيد بن سليمان : هَجرني أبواي في لُبنى عشرَ سنين أستأذِنُ عليهما فيَرُدّاني حتى طلّقتُها . قال ابن جُرَيج : وأُخبرت أن عبدالله ابن صَفوان الطويل لَقِيَ ذريحاً أبا قيس فقال له : ما حملك على أن فرّقتَ بينهما؟ أَمَا علمتَ أن عمر بن الخطاب قال : ما أُبالي أفرّقتُ بينهما أو مشيتُ اليهما بالسيف. وروى هذا الحديثَ إبراهيم بن يَسار الرَّماديّ عن سُفيان بن عُيَينة عن عمرو ابن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذرَيح بن سُنَّة أبي قيس : أَحلّ لكَ أن فرّقتَ بين قيس ولُبنى ؟! أما اني سمعت عمر بن الخطاب يقول : ما أُبالي أفرّقتُ بين الرجل وامرأته أو مشيتُ اليهما بالسيف . قالوا : فلما بانت لُبنى بطلاقه إيّاها وفُرغ من الكلام، لم يلبَثْ حتى اسْتُطِير عقلُه وذُهِب به ولحقه مثلُ الجنون . وتذكّر لُبنى وحالَها معه فأسِف وجعل يبكي ويَنشِج أحرَّ نَشيج . وبلغها الخبرُ فأرسلتْ الى أبيها ليحتملها، وقيل : بل أقامت حتى انقضت عدّتها وقيسٌ يدخل عليها . فأقبل أبوها يَهودج على ناقة وبإبل تحملُ أثاثها . فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال : وَيحكِ ! ما دهاني فيكم ؟ فقالت : لا تسألني وَسَلْ لُبنى . فذهب ليُلِمَّ بخبائها فيسألها، فمنعه قومُها . فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له : ما لك وَيحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل ! هذه لُبنى ترتحل الليلةَ أو غداً . فسقط مغشيّاً عليه لا يَعقِل ثم أفاق وهو يقول :

وإني لمُفنٍ دمعَ عينيَّ بالبكا ... حِذارَ الذي قد كان او هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنتُ أخشى أن تكون منيَّتي ... بكفَّيْكِ إلاَّ أنَّ ما حان حائن

في هذه الأبيات غِناء ولها أخبار قد ذُكرت في أخبار المجنون . قال وقال قيس :

يقولون لُبنى فتنةٌ كنتَ قبلها ... بخير فلا تَندَمْ عليها وطلِّقِ
فطاوعتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي ... وأقررتُ عين الشامت المُتخلِّق[1]

(١) المتخلق : الذي يتكلف ما ليس في خلقه .

وَدِدْتُ وبيتِ الله أَنّي عَصَيتُهم وحُمِّلت في رِضوانها كلَّ مُوبِقِ[1]
وكُلِّفتُ خوضَ البحر والبحر زاخرٌ أَبِيتُ على أَثباج موج مُغَرّق
كأني أَرَى الناسَ المحبّين بعدها عُصارةَ ماء الحنظل المُتفلّق
فتُنكرُ عيني بعدها كلَّ منظرٍ ويكره سمعي بعدَها كلّ منطق

قال : وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنعِق مراراً ، فتطيَّر منه وقال :

لقد نادى الغرابُ بِبَيْنِ لُبنى فطار القلب من حَذَرِ الغرابِ
وقال غداً تَباعَدُ دارُ لُبنى وتَنْأى بعد ودٍّ واقتراب
فقلتُ تَعِستَ ويحك من غراب وكان الدهرَ سعيُك في تَباب

وقال أَيضاً وقد منعه قومه من الإلمام بها :

صوت

أَلا يا غُرابَ البَيْنِ وَيحكَ نَبِّني بعلمك في لُبنى وأَنتَ خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبِر بما قد علمته فلا طِرتَ إلّا والجناح كَسير
ودُرتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهمُ كما قد تَراني بالحبيب أدور

غنّى سليمان أخو حَجَبَةَ رملًا بالوسطى .

قالوا : وقال أَيضاً وقد أُدخِلتْ هودَجها ورحلتْ وهي تبكي ويتبعُها :

صوت

أَلا يا غرابَ البَينِ هل أنتَ مُخبِري بخيرٍ كما خَبَّرتَ بالنأي والشرّ

(١) الموبق : المهلك .

وقلتَ كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعاً صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ

غنّى فيهما ابن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ. وذكر حبش أنّ لقفا النجّار فيهما ثقيلًا أوّل بالوسطى. قالوا: فلما ارتحل قومُها اتّبعها مَليًّا، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها، فوقف ينظر اليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكرّ راجعاً. ونظر الى أثر خُفِّ بعيرها فأكبَّ عليه يقبّله ورجع يقبّلُ موضعَ مجلسها وأثر قدَمِها. فلِيمَ على ذلك وعنّفه قومُه على تقبيل التراب؛ فقال:

وما أحببتُ أرضَكمُ ولكن أُقبّل إثر مَن وَطِئَ الترابا
لقد لاقيتُ من كلَفي بلُبنى بَلاءً ما أُسيغ به الشَّرابا
إذا نادى المنادي باسمِ لُبنى عَيِيتُ فما أُطيقُ له جوابا

وقال وقد نظر الى آثارها:

صوت

أَلا يا رَبعَ لُبنى ما تقولُ أبِنْ لي اليومَ ما فعل الحُلولُ
فلو أن الديارَ تُجيب صَبًّا لردّ جوابيَ الرّبعُ المُحيل
ولو أنّي قدَرتُ غداةَ قالت غدَرتَ وماءُ مُقلتِها يَسيل
نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها مقالتها وذاك لها قليل
شَفَيتُ غليلَ نفسي من فِعالي ولم أَغبُنْ بلا عقلٍ أُجول

غنّى فيه حسين بن مُحرز خفيفَ ثقيلٍ من روايتي بَذل وقُرَيض. وتمام هذه الأبيات:

كأنّي والِهٌ بفراق لُبنى تَهيمُ بفقد واحدِها ثَكولُ

أَلا يا قلبُ وَيحك كن جَليداً فقد رَحلتْ وفات بها الذَّميلُ[1]
فإنــك لا تُطيق رجوعَ لُبنى إذا رَحلتْ وإن كثُر العَويل
وكم قد عِشتَ كم بالقرب منها ولكنّ الفِراقَ هو السبيــل
فصــبراً كلُّ مؤتَلِفَينِ يوماً من الأيام عيشُهما يزول

قال: فلما جنّ عليه الليلُ وانفرد وأوى الى مضجعه لم يأخذه القرار وجعــل يتململ فيه تململ السليم، ثم وثب حتى أتى موضعَ خِبائها، فجعل يتمرَّغ فيه ويبكي ويقول:

صوت

بِتُّ والهمُّ يا لُبينى ضَجيعي وجرتْ مُذْ نأيتِ عنّي دموعي
وتنفَّستُ إذ ذكرتُــك حتى زالت اليومَ عن فؤادي ضلوعي
أتناساكِ كي يُريــغَ فؤادي ثم يشتدُّ عنــد ذاك وَلوعي
يا لُبَينَى فَدَتكِ نفسي وأهــلي هل لدهرٍ مضى لنا من رجوع

غنَّت في البيتين الأولين شارِيةُ خفيفَ رملٍ بالوسطى. وغنَّى فيهما حسين بن محرز ثانيَ ثقيل، هكذا ذكر الهشاميّ؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزُّبير بن بَكَّار حدثني عبد الجبَّار بن سعيد المُساحِقيّ عن محمد بن مَعن الغِفاريّ عن أبيه عن عجوز لهم يقال لها حمَّادةُ بنت أبي مُسافر قالت:

جاورتُ آلَ ذَريح بقطيع لي فيه الرَّائمة وذات البَوّ والحائلُ والمُتبِــع.

(١) الذميل: السير اللين.

قالت : فكان قيسُ بن ذَريح الى شَرَفٍ في ذلك القطيع ينظر الى ما يَلقَين فيتعجَّب . فقلَّما لبِث حتى عزم عليه أَبوه بطلاق لُبنَى فكاد يموتُ ، ثم آلى أَبوه لئن أقامتْ لا يساكن قيساً . فظعَنتْ فقال :

أَيا كبداً طارتْ صُدوعاً نوافذاً ... ويا حَسرَتا ماذا تَغَلْغَلَ في القلبِ
فأقسِمُ ما عُمشُ العيون شوارفٌ ... روائمُ بَوٍّ حائماتٌ على سَقْبِ (١)
تشمَّمْنَه لو يَستطِعن ارتشفنَه ... إذا سُفنَه يَزددنَ نَكباً على نَكب
رَئِمْنَ فما تَنحاش منهنّ شارفٌ ... وحالَفْنَ حبساً في المُحول وفي الجَدْب
بأَوجَدَ منّي يومَ ولَّت حُمُولُها ... وقد طلعتْ أولى الرِّكاب من النَّقْبِ
وكلُّ مُلِمَّات الزمان وجدتُها ... سوى فُرقةِ الأحباب هيِّنةَ الخطب

أخبرني عمي قال حدثني الكُرانيّ قال سمعتُ ابن عائشةَ يقول : قال إسحاق ابن الفَضل الهاشميّ : لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قَيس بن ذَريح :

وكلُّ مُصيبات الزمان وجدتُها ... سوى فُرقة الأحباب هيِّنةَ الخطبِ

قال وقال ابن النطّاح قال أبو دِعامة :

خرج قيسٌ في فِتية من قومه واعتلَّ على أبيه بالصيد، فأتى بلاد لُبنى ، فجعل يتوقّعُ أن يراها أو يرى من يُرسِل اليها . فاشتغل الفتيانُ بالصيد ؛ فلما قضَوْا وَطَرَهم منه رجعوا اليه وهو واقف، فقالوا له : قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وإنك لم تُرِدِ الصيدَ وإنما أردتَ لقاءَ لبنى ، وقد تعذَّر عليك فانصرف الآن . فقال :

وما حائماتٌ حُمنَ يوماً وليلةً ... على الماء يَغشَين العِصِيَّ حَوان

(١) السقب : ولد الناقة .

عَوافِيَ لا يَصدُرن عنه لِوجهةٍ ولا هنّ من بَرْدِ الحِياض دَوانِ
يَرَينَ حَباب الماء والموتُ دونه فهنّ لأصوات السُّقاةِ رَوان
بأجهدَ منّي حرَّ شوقٍ ولَوعةٍ عليكِ ولكنّ العدوّ عَداني
خليليَّ إني ميّتٌ أو مُكلِّمٌ لُبَينى بسرّي فامضِيا وذَراني
أَنل حاجتي وَحدي ويا رُبَّ حاجةٍ قضيتُ على هَولٍ وخوفِ جَنان
فإنّ أحقَّ الناسِ ألا تُجاوِزا وتطَّرِحا من لو يشاء شفاني
ومن قادني للموت حتى إذا صفَتْ مشاربُه السمَّ الذُّعافَ سقاني

قال : فأقاموا معه حتى لقيَها، فقالت له : يا هذا، إنك متعرّضٌ لنفسك وفاضِحي. فقال لها :

صدَعتِ القلبَ ثم ذررَتِ فيه هواكِ فليمَ فالتأم الفُطورُ [1]
تَغلغلَ حيثُ لم يبلُغ شَرابٌ ولا حزنٌ ولم يبلغ سرور

وقال القَحذميّ حدثني أبو الوَردانِ قال حدثني أبي قال : أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ قيس :

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه هواكِ فليم فالتأم الفطور

فصاح بجارية له سِنديَّةٍ تسمَّى زُبدة، فقال : أي زبدةُ عجّلي . فقالت : أنا أعجن. فقال : وَيحكِ ! تعالَيْ ودَعي العجين . فجاءت فقال لي : أنشِد بيتَيْ قيس، فأعدتُهما. فقال لها : يا زُبدة، أحسنَ قيس وإلّا فأنت حرّة ! إرجعي الآن الى عجينك أدرِكيه لا يَبرُد .

قالوا : وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لُبنى ويقول : فألّا

(١) الفطور : الشقوق .

رحلتُ بها عن بلده فلم أَرَ ما يفعل ولم يَرَني ! فكان اذا فقدني أقلع عمَّا يفعله واذا فقدتُه لم أتحرّج من فعله ! وما كان عليّ لو اعتزلتُه وأقمت في حيّها أو في بعض بَوادي العرب، أو عَصَيته فلم أُطعه ! هذه جنايتي على نفسي فلا لومَ على أحد ! وهاءَنذا ميّتٌ مما فعلته، فمن يردُّ روحي إليّ ! وهل لي سبيل الى لُبنى بعد الطلاق ؟! وكلَّما قرَّع نفسَه وأنّبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحرَّ بكاء وألصق خدَّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال :

صوت

وَيلي وعَولي ومالي حين تُفلِتُني ... من بعد ما أحرزتْ كفي بها الظَّفَرا
قد قال قلبي لطَرفي وهو يعذِله ... هذا جزاؤك منّي فاكدُمِ الحجرا
قد كنتُ أنهاك عنها لو تُطاوِعُني ... فاصبِرْ فما لك فيها أجرٌ من صبرا

غنَّاه الغريض خفيفَ ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حبش . وفي الثالث والأول خفيفُ رملٍ يقال إنه لابن اهِربذ .

قالوا وقال ايضاً :

بانت لُبَينَى فأنتَ اليوم متبولُ ... والرأي عندك بعد الحزم مخبولُ
أستودع اللهَ لُبنى إذ تفارقني ... بالرغم منّي وقولُ الشيخ مفعول
وقد أَراني بلبنى حقَّ مُقتنِعٍ ... والشمْل مجتمعٌ والحبل موصول

قال خالد بن كُلثوم وقال :

ألا ليت لُبنى في خلاءٍ تزورني ... فأشكو اليها لَوعتي ثم ترجِعُ
صحا كلُّ ذي لبٍّ وكلُّ متيَّم ... وقلبي بلُبنى ما حَييتُ مروَّع
فيا مَن لِقلبٍ ما يُفيق من الهوى ... ويا مَن لعينٍ بالصَّبابة تَدمَع

قالوا وقال في ليلته تلك :

قد قلتُ للقلب لا لُبناكَ فاعترفِ ... واقضِ اللُبانةَ ما قضَّيتَ وانصرفِ
قد كنت أحلف جَهداً لا أفارقها ... أُفٍّ لكثرة ذاك القيل والحَلِف
حتى تكنَّفني الواشون فافتُلِتَتْ[1] ... لا تأمَنَنْ أبداً من غشّ مُكتنِف
هيهات هيهات قد أمستْ مُجاورةً ... أهلَ العَقيق وأمسينا على سَرِف

— قال : وسَرِف على ستة أميال من مكة . والعقيق : واد باليمامة —

حَيٌّ يَمانُونَ والبَطحاء منزلُنا ... هذا لعَمْرُكَ شملٌ غيرُ مؤتلِفِ

قالوا : فلمَّا أصبح خرج متوجّهاً نحوَ الطريق الذي سلكتْه يتنسَّم روائحها ، فسنَحتْ له ظبيةٌ فقصدها فهربت منه فقال :

ألا يا شِبهَ لُبنى لا تُراعي ... ولا تتيمَّمي قُلَلَ القِلاعِ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

فوا كبدي وعاودني رُداعي[2] ... وكان فراقُ لُبنَى كالخداعِ
تكنَّفني الوُشاةُ فأزعجوني ... فيا لله لِلواشي المُطاع
فأصبحتُ الغَداةَ ألوم نفسي ... على شيءٍ وليس بمستطاع
كمغبونٍ يَعَضُّ على يديه ... تَبيَّنَ غَبنَه بعد البِياع
بدار مَضيعةٍ تركتْك لُبنى ... كذاك الحينُ يُهدى للضاع
وقد عِشنا نَلَذُّ العيشَ حِيناً ... لَوَ أن الدهر للإنسان داع

---

(١) افتلتت : أخذت بغتة .

(٢) الرداع : النكس، او : وجع الجسد كله .

ولكنّ الجميعَ الى افتراقٍ وأسبابُ الحُتوفِ لها دواعِ

غنّاه الغريض من القَدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو والهشاميّ . ولشارية في البيتين الأولين ثقيلٌ أوّلُ آخر بالوسطى . ولابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن الهشاميّ في :

بدارِ مَضِيعةٍ تركتْك لُبنى

وقبله :

فوا كبدي وعاودني رُداعِي

ولِسياطٍ في البيتين الأوّلين خفيفُ رملٍ بالبنصر عن حَبَش .

حدثني عمي عن الكُرانيّ عن العُتْبيّ عن أبيه قال :

بعثتْ أمُّ قيس بن ذَريح بفتيات من قومه اليه يَعِبنَ اليه لُبنى ويعِبنَه بجَزَعه وبكائه ويتعرَّضنَ لوصاله، فأتينَه فاجتمعنَ حواليه وجعلن يمازحنَه ويعِبنَ لُبنى عنده ويعيّرنه ما يفعله . فلما أطلنَ أقبل عليهنّ وقال :

صوت

يَقَرُّ بعيني قربُها ويَزيدُني بها كَلَفاً مَن كان عندي يَعيبُها
وكم قائلٍ قد قال تُبْ فعصَيتُه وتلك لعمري توبةٌ لا أتوبها
فيا نفسُ صبراً لستِ واللهِ فاعلمي بأوّلِ نفسٍ غاب عنها حبيبُها

— غنّاه دَحمانُ ثقيلًا اولَ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالبِنصر لسُلَيم، وذكر حَبَشٌ أنه

لإسحاق — قال : فانصرفنَ عنه الى أُمّه فأيأسنَها من سَلوته . وقال سائر الرُّواة الذين ذكرتهم : إجتمع اليه النِّسوة فأطلنَ الجلوسَ عنده ومحادثتَه وهو ساهٍ عنهنّ، ثم نادى : يا لُبنى ! فقلن له : ما لكَ ويحك ! فقال : خَدِرتْ رجلي، ويقال : إن دعاء الإنسان بأسم أحبِّ الناس اليه يُذهِب عنه خَدَر الرِّجل فناديتُها لذلك . فقمن عنه، وقال :

إذا خدِرتْ رجلي تذكرتُ مَن لها ... فناديتُ لُبنى بأسمِها ودعوتُ
دعوتُ التي لو أنّ نفسي تُطيعني ... لفارقتُها من حبِّهـا وقَضيت
بَرَت نبلَها للصيد لبنى وريَّشتْ ... وريَّشتُ أُخرى مثلَها وبَرَيت
فلمَّا رمتني أقصدتْني بسهمها ... وأخطأتُها بالسَّهم حين رميت
وفارقتُ لبنى ضَلَّةً فكأنني ... قُرِنت الى العيُّوق ثم هَوَيت
فيا ليت أنّي مُتُّ قبل فراقها ... وهل تَرجِعَنْ فوتَ القضيَّة لَيت
فصرتُ وشيخي كالذي عثرتْ به ... غَداةَ الوغى بين العُداة كُميت
فقامت ولم تُضرَر هناك سويَّةً ... وفارسُها تحت السَّنابكِ مَيت
فإن يك تَهيامي بلُبنى غوايةً ... فقد يا ذَريحُ بنَ الحُباب غَوَيت
فلا أنت ما أمَّلتَ فيّ رأيتَه ... ولا أنا لبنى والحياةَ حَوَيت
فوطِّن لُهلكي منك نفساً فإنّني ... كأنك بي قد يا ذَريحُ قَضَيت

وقال خالد بن كلثوم : مرِض قيس، فسأل أبوه فتياتِ الحي أن يَعُدنه ويحدِّثنه لعلَّه أن يتسلَّى أو يعلَق بعضَهن، ففعلن ذلك . ودخل اليه طبيب ليداويَه والفتياتُ معه، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علَّته، فقال :

صوت

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى ... داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شديدُ

وإذا عادني العوائدُ يوماً قالت العين لا أرى من أُريدُ
ليت لُبنى تَعودني ثم أَقضي إنها لا تعود فيمن يعود
ويح قيسٍ لقد تضمَّن منها داءَ خَبْلٍ فالقلبُ منه عميد

— غنّاه ابن سُرَيج خفيف رملٍ عن الهشاميّ . وفيه للحَجبيّ ثقيلٌ اولُ بالوسطى . وفيه ليحيى المكي رَمَلٌ — قالوا : فقال له الطبيب : منذُ كم هذه العلّة ؟ ومنذُ كم وَجدتَ بهذه المرأة ما وجدت ؟ فقال :

صوت

تعلَّق رُوحي روحَها قبل خَلقِنا ومن بعدِ ما كنَّا نِطافاً وفي المهدِ
فزاد كما زِدنا فأصبح نامياً وليس إذا مُتنا بمُنصرِم العهد
ولكنَّه باقٍ على كلِّ حادثٍ وزائرُنا في ظُلمة القبر واللَّحد

— غنّاه الغريض ثقيلًا اولَ بالوسطى من رواية حَبش — قالوا : فقال له الطبيب : إن مما يُسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوئ والمعايب وما تَعافُه النفس من أقذار بني آدم ؛ فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخفّ ما بها . فقال :

اذا عِبتُها شبَّهتُها البدرَ طالعاً وحَسبُكَ من عيبٍ لها شَبَهُ البدرِ
لقد فُضِّلتْ لبنى على الناس مثلَ ما على ألف شهر فُضِّلتْ ليلةُ القدر

صوت

اذا ما مشت شبراً من الأرض أَرجَفتْ من البُهر حتى ما تَزيدُ على شبرِ
لها كَفَلٌ يَرتَجُّ منها اذ مشتْ ومتنٌ كغصن البان مُضطَمِرُ الخصر

— غنى في هذين البيتين ابن المكيّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى . وفيهما رمل يُنسب

الى ابن سُرَيج والى ابن طُنبورة عن الهشاميّ — قالوا : ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنّبه ولامه وقال له : يا بنيّ ! اللهَ اللهَ في نفسِك ! فإنك ميّت إن دمتَ على هذا ! فقال :

وفي عُروةَ[1] العُذريّ إن متُّ أُسوةٌ وعمرِو بن عَجلان الذي قتلتْ هندُ
وبي مثلُ ما ماتا به غيرَ أنني الى أجلٍ لم يأتِني وقتُه بعد

صوت

هل الحبُّ إلّا عَبرةٌ بعد زَفرةٍ وحَرٌّ على الأحشاء ليس له بَرْدُ
وفَيضُ دموعٍ تَستهلُّ اذا بدا لنا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

غنى في هذين البيتين زيد بن الخطاب مولى سليمان بن أبي جعفر ، وقيل : إنه مولى سليمان بن عليّ ، ثقيلًا اولَ بالوسطى عن الهشاميّ .

وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير ، وأخبرنا اليزيديّ عن ثَعلَب عن الزبير قال حدثني إسماعيل بن أبي أُوَيس قال :

جلستُ أنا وأبو السائب في النبّالين ، فأنشدني قولَ قيس بن ذَريح :

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى داءُ قيسٍ والحبّ داءٌ شديدُ
لَيت لُبنى تعودني ثم أَقضي إنها لا تعود فيمن يعود

قال : فأنشدته أنا لقيس :

تعلّق روحي روحَها قبل خَلقِنا ومن بعد ما كنّا نِطافاً وفي المهدِ

(١) هو عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني حزام بن ضبة بن عبد بن كبير بن عذرة .

فزاد كما زِدنا وأصبح ناميا وليس إذا متنا بمنتقِضِ العهدِ
ولكنّه باقٍ على كل حادثٍ وزائرُنا في ظلمة القبر واللحد

فخلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويَها . فدخل زُقاقَ النبّالين وجعلتُ أُردِّدها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها .

رجع الخبر الى سِياقته .

وقال خالد بن جَمَل : فلمّا طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوّجه امرأةً جميلة فلعلّه أن يسلو بها عن لُبنى . فدعاه الى ذلك فأباه وقال :

لقد خِفتُ ألّا تَقنَع النفسُ بعدها بشيءٍ من الدنيا وإن كان مَقنَعا
وأزجُر عنها النفس إذ حيل دونها وتأبى اليها النفسُ إلّا تطلُّعا

فأعلمهم أبوه بما ردَّ عليه . قالوا : فمُره بالمسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعلَّ عينه أن تقع على امرأة تُعجبه . فاقسم عليه أبوه أن يفعل . فسار حتى نزل بحيٍّ من فَزارة، فرأى جاريةً حسناء قد حسرَت برُقعَ خَزٍّ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تِمّه، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : لُبنى . فسقط على وجهه مغشيًّا عليه، فنضَحتْ على وجهه ماء وارتاعت لِما عراه، ثم قالت : إن لم يكن هذا قيس بن ذَريح إنه لمجنون ! فأفاق فنسَبَتْه فانتسب . فقالت : قد علمتُ أنك قيس، ولكن نشَدتُك بالله وبحقّ لُبنى إلّا أصبتَ من طعامنا . وقدّمت اليه طعاماً، فأصاب منه بإصبعه . وركب فأتى على أثَره أخٌ لها كان غائباً، فرأى مُناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى ردَّه الى منزله، وحلف عليه ليُقيمنَّ عنده شهراً . فقال له : لقد شَقَقتَ عليَّ، ولكنّي سأتبع هواك، والفزاريُّ يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته، فعرض عليه الصِّهر . فقال له : يا هذا إن فيك لرغبةً، ولكنّي في شغل لا يُنتفع بي معه . فلم يزل يعاوده والحيُّ يلومونه ويقولون له : قد خشينا أن يصير علينا فعلُك سُبّة . فقال : دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام . فلم

يزل به حتى أجابه وعقد الصِّهرَ بينه وبينه على أُخته المسماة لُبنى، وقال له : أنا أسوق عنك صَداقها . فقال : أنا والله يا أخي أكثر قومي مالًا، فما حاجتك إلى تكلُّف هذا ؟ أنا سائر الى قومي وسائق اليها المَهر . ففعل وأعلم أباه الذي كان منه، فسَرَّه وساق المهرَ عنه . ورجع الى الفزاريّين حتى أُدخلت عليه زوجته، فلم يَرَوه هَشَّ اليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر اليها . وأقام على ذلك أياماً كثيرة . ثم أعلمهم أنه يريد الخروج الى قومه أياماً فأذِنوا له في ذلك، فمضى لوجهه الى المدينة . وكان له صديق من الأنصار بها؛ فأتاه فأعلمه الأنصاريُّ أن خبر تزويجه بلغ لُبنى فغمَّها وقالت : إنه لغدَّار ! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي الى التزويج فأنا الآن أُجيبهم، وقد كان أبوها شكا قيساً الى معاوية وأعلمه تعرُّضَه لها بعد الطلاق . فكتب الى مروان بن الحكم يُهدِر دمَه إن تعرّض لها، وأمر أباها أن يزوّجها رجلًا يعرف بخالد بن حِلِزة من بني عبد الله بن غَطَفان — ويقال : بل أمره بتزويجها رجلًا من آل كَثير بن الصَّلت الكِنديّ حليف قريش — فزوّجها أبوها منه . قال : فجعل نساء الحيّ يقلن ليلة زِفافها :

لُبينى زوجُها أصبـــح لا حرَّ بِواديه
له فضلٌ على الناس بمـا باتت تُناجيه
وقيسٌ ميّتٌ حيٌّ صريعٌ في بَواكيه
فـلا يُبعِـدُه الله وبُعداً لنَواعيـه

قال : فجزِع قيس جزعًا شديداً وجعل ينشِج أحرَّ نَشيج ويبكي أحرَّ بكاء . ثم ركب من فَوره حتى أتى محلَّة قومها، فناداه النساء : ما تصنع الآن هاهنا ! قد نُقِلتْ لُبنى الى زوجها ! وجعل الفتيانُ يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضع خِبائها فنزل عن راحلته وجعل يتمعَّك[1] في موضعها ويُمرِّغ خدَّه على ترابها ويبكي أحرَّ بكاء . ثم قال :

(١) يتمعك : يتمرّغ .

صوت

الى الله أَشكو فَقْدَ لُبنى كما شكا ... الى الله فقدَ الوالدَينِ يتيمُ
يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمُه ... نَحيلٌ وعهدُ الوالدَين قديم
بكت دارُهم من نأيهم فتهلَّلتْ ... دموعي فأيَّ الجازِعَينِ ألوم
أمُستعبراً يبكي من الشوق والهوى ... أَمَ آخرَ يبكي شَجوَه ويَهيم

لابن جامع في البيتين الأولين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ. ولَعريبَ فيهما ثاني ثقيلٍ. وفي الثالث والرابع لَميَّاسةَ خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو وحَبش والهشاميّ. وتمام هذه الأبيات، وليست فيها صنعة، قوله:

تهيَّضَني من حبّ لُبنى علائقٌ ... وأصنافُ حبٍّ هولهن عظيمُ
ومن يتعلَّق حبَّ لبنى فؤادُه ... يَمُتْ أَو يَعِش ما عاش وهو كَليم
فإنّي وإن أجمعتُ عنك تجلُّداً ... على العهد فيما بيننا لمقيم
وإنّ زماناً شتَّت الشملَ بيننا ... وبينكم فيه العِدا لمشُوم
أَفي الحقّ هذا أن قلبكِ فارغٌ ... صحيح وقلبي في هواكِ سَقيم

وقد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلطت بشعره، ولكنها في هذه الرواية منسوبة اليه.

قال: وقال أيضاً في رحيل لبنى عن وطنها وانتقالها الى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيّها:

صوت

بانت لُبَيْنَى فهاج القلبَ مَن بانا ... وكان ما وعدتْ مَطلاً وَلَيَّانا
وأَخلفتْك مُنًى قد كنتَ تأمُلها ... فأصبح القلبُ بعد البين حيرانا

الله يدري وما يدري به أحدٌ ماذا أُجَمْجِم من ذكراكِ أحيانا
يا أكملَ الناسِ من قَرنٍ إلى قدمٍ وأحسنَ الناس ذا ثوبٍ وعُريانا
نعم الضَّجيعُ بُعَيد النوم تَجلِبُه اليك ممتلئاً نوماً ويَقظانا

للغريض في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاقَ وعمرو. وذكر الهشاميّ أن فيه لابن مُحرز ثانيَ ثقيلٍ آخر. وقال أحمد بن عُبيد: فيه لحنانِ ليحيى المكيّ وعَلّويه. وتمام هذه القصيدة:

لا بارك اللهُ فيمن كان يحسَبُكم إلّا على العهد حتى كان ما كانا
حتى استفقتُ أخيراً بعد ما نُكحت كأنما كان ذاك القلب حيرانا
قد زارني طَيفُكم ليلًا فأرّقني فبِتُّ للشوق أُذري الدمع تَهتانا
إن تَصرِمي الحبلَ او تُمسي مُفارِقةً فالدهر يُحدثُ للإنسان ألوانا
وما أرى مثلكم في الناس من بَشَرٍ فقد رأيتُ به حيًّا ونِسوانا

وقال ابن قُتَيبة في خبره عن الهيثم بن عَديّ، ورواه عمر بن شبّة أيضاً: أن أبا لبنى شخَص الى معاوية فشكا اليه قيساً وتعرُّضه لابنته بعد طلاقه إيّاها. فكتب معاوية الى مروانَ أو سعيدِ بن العاص يُهدِر دمه إن ألَمّ بها وأن يشتدّ في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك الى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبنى كتاباً وَكيداً. ووجّهتْ لبنى رسولًا قاصداً الى قيس تُعلمه ما جرى وتحذّره. وبلغ أباه الخبرُ فعاتبه وتجهّمه وقال له: انتهى بك الأمر إلى أن يُهدِر السلطان دمك؟ فقال:

صوت

فإن يَحجُبوها أو يَحُلْ دون وصلها مقالةُ واشٍ أو وَعيدُ أميرِ
فلن يمنعوا عينيّ من دائم البُكا ولن يُذهبوا ما قد أَجَنّ ضميري
إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومن حُرَقٍ تعتادني وزَفير

ومن حَرَقٍ للحبّ في باطن الحشى وليلٍ طويلِ الحزن غيرِ قصيرِ
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ بكاءَ حزينٍ في الوَثاق أسيرِ
وكنّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأنعَمِ حالَيْ غِبطةٍ وسرور
فما برِح الواشون حتى بَدَت لهم بطونُ الهوى مقلوبةً لظهور
لقد كنتِ حَسْبَ النفس لو دام وصلُنا ولكنّما الدنيا متاعُ غرور

— هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذَريح. وذكر الزُّبير بن بَكّار أنه لجدّه عبد الله بن مُصعب — غنّى يزيدُ حَوراءَ في الأول والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيفَ رملٍ بالوسطى. وغنّى إبراهيم في الأول والثاني لحناً من كتابه غيرَ مجنَّس. وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى. وفي الخامس وما بعده لعريب ثقيلٌ أوّلُ ابتداؤه نشيد. وقال ابن الكلبيّ في خبره: قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها:

إن تكُ لُبنَى قد أتى دون قربها حجابٌ منيعٌ ما اليه سبيلُ
فإنّ نسيم الجوّ يجمع بيننا ونُبصر قَرنَ الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل في الحيّ تلتقي ونعلم أنّا بالنهار نَقيل
وتجمعنا الارضُ القَرارُ وفوقنا سماء نرى فيها النجومَ تجول
إلى أن يعود الدهر سَلماً وتنقضي تراتٌ بغاها عندنا وذُحول

ومما وجد في كتاب لابن النطّاح قال العُتبيّ حدثني أبي قال: حَجّ قيس بن ذَريح، واتّفق أن حجّت لُبنَى في تلك السنة، فرآها ومعها امرأة من قومها، فدهِش وبقي واقفاً مكانه ومضت لسبيلها. ثم أرسلت اليه بالمرأة تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره؛ فألفَتْه جالساً وحده يُنشد ويبكي:

ويومَ مِنًى أعرضتِ عنّي فلم أقل بحاجة نفس عند لُبنَى مقالُها
وفي اليأس للنفس المريضة راحةٌ إذا النفسُ رامت خُطّةً لا تَنالُها

فدخلتْ خباءه وجعلت تحدّثه عن لُبنَى ويحدّثها عن نفسه مَليًّا، ولم تُعلِمه أنّ لُبنَى أرسلتها اليه . فسألها أن تُبلغها عنه السلام، فامتنعت عليه ؛ فأنشأ يقول :

إذا طلعتْ شمسُ النهـار فسلّمي ... فآيةُ تسليمي عليـكِ طلوعُها
بعشر تحيّات إذا الشمسُ أشرقت ... وعشرٍ إذا اصفرّت وحان رجوعُها
ولو أبلغتْهـا جارةٌ قوليَ اسلَمي ... بكت جَزَعاً وارفضّ منها دموعُها
وبانَ الذي تُخفي من الوجد في الحشى ... إذا جاءهـا عنّي حديث يَروعُها

— غنّى في البيتين الأولين عَلّويه خفيفَ رملٍ بالوسطى — قال : وقضى الناسُ حجّهم وانصرفوا . فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أشفى منه على الموت، فلم يأته رسولها عائداً لان قومها رأوْه وعلموا به ؛ فقال :

ألُبنى لقد جَلّت عليكِ مصيبتي ... غداةَ غـدٍ إذ حلّ ما أتوقّعُ
تُمنّيني نَيـلًا وتَلوينني به ... فنفسيَ شوقاً كلّ يوم تَقطّع
وقلبكِ قطُّ ما يَلين لما يَرى ... فوا كبدي قد طال هذا التضرُّع
ألومُكِ في شأني وأنتِ مُليمةٌ ... لعَمري وأجفى للمحبِّ وأقطع
أُخبّرتِ أنّي فيكِ مِتُّ حسرتي ... فما فاض من عينيك للوَجد مَدْمَع
ولكن لعمري قد بكيتُكِ جاهداً ... وإن كان دائي كلُّه منك أجمع
صَبيحةَ جاء العائداتُ يَعُدْنني ... فظلّت عـليّ العائداتُ تَفَجّع
فقائلةٌ جئنا اليه وقـد قضى ... وقائلةٌ لا، بل تركناه يَنزِع

وروى القَحْذَميّ هاهنا :

فما غَشيتْ عينيكِ من ذاكِ عَبرةٌ ... وعيني على ما بي بذِكراكِ تدمع
إذا أنتِ لم تَبكي عـليّ جِنازةً ... لديكِ فلا تبكي غداً حين أُرفع

قال : فبلغتْها الأبياتُ، فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاء كثيراً . ثم خرجت

اليه ليلًا على موعد فاعتذرت وقالت : إنما أبقي عليك وأخشى أن تُقتَل : فأنا أتحاماكَ لذلك ، ولولا هذا لما افترقنا . وودّعته وانصرفتْ .

وقال خالد بن كُلثوم : فبلغه أن أهلها قالوا لها : إنه عليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا . فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها : ما أراهُ إلا كاذباً فيما يدّعي ومتعلّلًا لا عَليلًا . فبلغه ذلك فقال :

تكاد بلادُ الله يا أُمَّ مَعمَرٍ ... بما رُحبتْ يوماً عليّ تَضِيقُ
تكذّبني بالودّ لُبنى وليتَها ... تُكَلَّف منّي مثله فتذوق
ولو تعلمين الغَيْبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهدايا المُشعَراتِ صديق
تتوق اليكِ النفس ثم أردُّها ... حياءً ومثلي بالحياء حَقيق
أَذُود سَوامَ النفس عنكِ وما له ... على أحدٍ إلا عليكِ طريق
فإني وإن حاولتِ صُرمي وهِجرتي ... عليكِ مِنَ احداثِ الرَّدى لشَفيق
ولم أَرَ أيّاماً كأيّامنا التي ... مَرَرنَ علينا والزمان أَنيق
ووعدُكِ إيّانا، ولو قلتِ عاجلٌ، ... بعيدٌ كما قد تعلمين سَحيق
وحدّثتني يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البين من لُبنى فسوف تذوق
فمُتْ كَمَداً أو عِشْ سَقيماً فإنما ... تكلّفني ما لا أراكَ تُطيق
أطعتَ وُشاةً لم يكن لك فيهمُ ... خليلٌ ولا جارٌ عليك شَفيق
فإن تك لمّا تَسْلُ عنها فإنني ... بها مُغرَمٌ صَبٌّ الفؤاد مَشُوق
بلُبنى أُنادي عند أول غَشيَةٍ ... ويَثني بها الدّاعي لها فأفيق
شهِدتُ على نفسي بأنكِ غادةٌ ... رَداحٌ وأنّ الوجه منكِ عَتيق
وإنكِ لا تَجزينَني بصَحابةٍ ... ولا أنا للهِجران منكِ مُطيق
وأنكِ قسّمتِ الفؤادَ فنصفُه ... رَهينٌ ونصفٌ في الحبال وثيق
صَبوحي إذا ما ذَرَّتِ الشمسُ ذِكرُكم ... ولي ذِكرُكم عند المساء غَبُوق
إذا أنا غَزّيتُ الهوى أو تركتُه ... أتتْ عَبَراتٌ بالدموع تَسوق

كأن الهوى بين الحيازيم(١) والحشى ... وبين التّراقي واللّهاة حَريقُ
فإن كنتِ لمّا تعلمي العلم فاسألي ... فبعضٌ لبعضٍ في الفعال فَوُوق
سَلي هل قَلاني من عَشيرٍ صحبتُه ... وهل مَلّ رَحلي في الرّفاق رفيق
وهل يَحتوي القومُ الكرامُ صحابتي ... اذا أغبرّ مَخشيّ الفِجاج عَميق
وأكتُم أسرار الهوى فأُميتها ... اذا باح مَزّاحٌ بهنّ بَروق
سعى الدهرُ والواشون بيني وبينها ... فقُطِّع حبلُ الوصل وهو وثيق
هل الصبر إلا أن أَصُدَّ فلا أرَى ... بأرضكِ إلّا أن يكون طريق

قال : ثم أتى قومه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويَمتارَ لأهله بثمنها . فعرَف أبوه أنه انما يريد لبنى ، فعاتبه وزجره عن ذلك ؛ فلم يقبل منه ، وأخذ إبله وقدِم بها المدينةَ . فبينا هو يَعرِضها إذ ساومه زوجُ لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان ، فباعه إيّاها . فقال له : إذا كان غدٌ فأْتني في دار كَثير بن الصَّلت فاقبِض الثمن ؛ قال : نعم . ومضى زوج لبنى اليها فقال لها : إني ابتعتُ ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها ، فأَعِدّي له طعاماً ، ففعلتْ . فلما كان من الغد جاء قيس فصوّت بالخادم : قولي لسيّدك : صاحبُ الناقة بالباب . فعرفتْ لبنى نَغمتَه فلم تقل شيئاً . فقال زوجها للخادم : قولي له : ادخل ، فدخل فجلس . فقالت لبنى للخادم : قولي له : يا فتى ، مالي أراك أشعثَ أغبر ؟ فقالت له ذلك . فتنفّس ثم قال لها : هكذا تكون حالُ مَن فارق الأحبّة واختار الموتَ على الحياة ، وبكى . فقالت لها لبنى : قولي له حدّثنا حديثَك . فلما ابتدأ يحدّث به كشفت الحجابَ وقالت : حَسبُك ! قد عرفنا حديثَك ! وأسبلتِ الحجابَ . فبُهِت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج . فناداه زوجها: ويحك ما قصّتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك ، وإن شِئتَ زِدناك . فلم يكلّمه وخرج فاغترز في رَحلِه ومضى . وقالت لبنى لزوجها : وَيحك ! هذا قيس بن

(١) الحيازيم : وسط الصدر .

ذَريح . فما حَملك على ما فعلتَ به ؟ قال : ما عرفتُه . وجعل قيسٌ يبكي في طريقه ويندُب نفسه ويوبّخها على فعله ثم قال :

صوت

أتبكي على لبنى وأنت تركتَها ... وأنت عليها بالمَلَا أنت أقدَرُ
فإن تكن الدنيا بلُبنى تقلَّبتْ ... عليَّ فللدنيا بطونٌ وأظهُر
لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكَفِّ مُرتادٌ وللعين مَنظَر
وللحائم العطشانِ رِيٌّ بريقِها ... وللمَرح المختالِ خمرٌ ومُسكِر
كأني لها أُرجوحةٌ بين أَحبُلٍ ... إذا ذُكرةٌ منها على القلب تَخطُر

للغريض في البيتين الأولين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيهما لعريب رَملٌ . ولشارِيَة خفيفُ رملٍ من رواية أبي العُبَيس .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بنُ بَكّار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال :

تزوّج رجل من أهل المدينة يقال له أبو دُرَّةَ امرأةً كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بُطَينة ؛ فلقيه زوجها الأوّل فضربه ضربة شلّت يدُه منها . فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له : يا أبا دُرّة ! أضربكَ أبو بُطَينة في زوجته ؟ قال : نعم . قال : أما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذَريح في زوجته لُبنى :

لقد كان فيها للأمانة موضعٌ ... وللكَفِّ مُرتادٌ وللعين مَنظَرُ
وللحائم العطشان رِيٌّ بريقِها ... وللمَرح المختال خمر ومُسكِر

قال : وكانت زوجة أبي دُرَّة هذه سوداء كأنها خُنفَساء .

قال : وعاد الى قومه بعد رؤيته إيَّاها وقد أنكر نفسه وأسِف ولحقه أمر عظيم ؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم ؛ ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت . فدخل اليه أبوه ورجال قومه فكلَّموه وعاتبوه وناشدوه اللهَ . فقال : وَيحكم ! أُتُرَوني أمرضتُ نفسي أو وجدت لها سَلوةً بعد اليأس فاخترتُ لها همَّ والبلاء ، أو لي في ذلك صُنع ! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به . فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفرج والسَّلوة . فقال قيس :

لقد عذّبتَني يا حبَّ لُبنى فقَعْ إمَّا بموتٍ او حياةِ
فإنّ الموت أَرْوحُ من حياةٍ تدوم على التباعد والشَّتات
وقال الأقربون تَعَزَّ عنها فقلت لهم إذاً حانت وفاتي

قال : ودسَّتْ اليه لُبنى بعد خروجه رسولًا وقالت له : استنشِده ، فإن سألك عن نسبتك فانتسِبْ له خُزاعيًّا ؛ فإذا أنشدك فقل له : لم تزوّجتَ بعدها حتى أجابت الى ان تتزوّج بعدك ؟ واحفَظ ما يقول لك حتى تردَّه عليَّ . فأتاه الرسول فسلَّم وانتسب خُزاعيًّا ، وذكر أنه من أهل الشام واستنشده ؛ فأنشده قوله :

فأُقسِم ما عُمشُ العيونِ شوارِفٌ روائمُ بَوٍّ حانياتٌ على سَقْبِ

— وقد مضت هذه الأبيات — فقال له الرجل : فلم تزوّجتَ بعدها ؟ فأخبره الخبر ، وحلف له أنّ عينه ما اكتحلتْ بالمرأة التي تزوّجها ، وأنه لو رآها في نِسوة ما عرفها ، وأنه ما مدّ يدَه اليها ولا كلَّمها ولا كشف لها عن ثوب . فقال له الرجل : فإني جارٌ لها وإنها من الوَجدِ بك على حالٍ قد تمنّى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلُح حالُها بك ؛ فحمِّلني اليها ما شئت أؤدِّه اليها . قال : تعود إليَّ اذا أردتَ الرحيل ، فعاد اليه لمَّا أراد الرحيلَ . فقال تقول لها :

أَلا حيِّ لُبنى اليومَ إن كنتَ غادياً وألمِمْ بها من قبلِ أن لا تَلاقِيا
وأَهدِ لها منك النصيحةَ إنها قليلٌ ولا تَخشَ الوُشاةَ الأدانيا

وقل إنني والراقصاتِ إلى مِنًى ... بأجبُلِ جَمْعٍ ينتظرنَ المناديا
أصونُكِ عن بعض الأمور مَضَنَّةً ... وأخشى عليكِ الكاشحين الأعاديا
تَساقطُ نفسي حين ألقاكِ أنفُساً ... يَرِدْنَ فما يَصدُرنَ إلا صواديا
فإن أَحْيَ أو أَهلِكْ فلستُ بزائلٍ ... لكم حافظاً ما بَلَّ ريقٌ لسانيا
أقول إذا نفسي من الوَجد أَصعدتْ ... بها زَفرةٌ تعتادني هي ما هيا
وبين الحشى والنحرِ مني حرارةٌ ... ولوعةُ وجدٍ تترك القلب ساهيا :
أَلا ليت لُبنى لم تكن ليَ خُلَّةً[1] ... ولم تَرَني لُبنى ولم أَدرِ ما هيا
سَلي الناسَ هل خبَّرتُ سرَّكِ منهم ... أَخا ثقةٍ او ظاهرَ الغِشِّ باديا
يقول ليَ الواشون لمَّا تظاهروا ... عليكِ وأضحَى الحبلُ للبين واهيا :
لعمري لقبلَ اليوم حُمِّلتَ ما تَرى ... وأَنذِرتَ من لُبنى الذي كنتَ لاقيا
خليليَّ ما لي قد بَلِيتُ ولا أَرى ... لُبَينى على الهجران إلّا كما هيا
أَلا يا غرابَ البَين ما لكَ كلَّما ... ذكرتُ لُبينى طِرتَ لي عن شِمالِيا
أعندكَ علمُ الغيبِ أم لستَ مُخبِري ... عن الحيِّ إلا بالذي قد بدا ليا
جَزِعتُ عليها لو أَرى ليَ مَجزَعاً ... وأفنيتُ دمعَ العين لو كان فانيا
حياتَك لا تُغلَبْ عليها فإنه ... كفى بالذي تَلقى لنفسِك ناهيا
تَمرّ الليالي والشهور ولا أَرى ... وَلُوعي بها يزداد إلّا تماديا
فما عن نَوالٍ من لُبينى زيارتي ... ولا قِلَّةُ الإلمام أن كنتُ قاليا
ولكنَّها صدَّت وحُمِّلتُ من هوًى ... لها ما يَؤود الشامخاتِ الرواسيا

وهذه القصيدة تُخلَط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلَّما يتميّزان .

غنّى الحسين بن مُحرِز في البيت الاول والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلاً اولَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بَذْل والهشاميّ .

(١) خلة : صديقة .

حدثني المدائنيّ عن عَوانة عن يحيى بن عليّ الكِنانيّ قال :

شُهِر أمرُ قيس بالمدينة وغنّى في شعره الغريض ومَعبد ومالك وذووهم ، فلم يبق شريف ولا وضيع إلّا سمع بذلك فأطربه وحزن لقيس مما به . وجاءها زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها وقال : قد فضحتِني بذكرك . فغضِبتْ وقالت : يا هذا ، إني والله ما تزوّجتك رغبةً فيك ولا فيما عندك ولا دُلِّس أمري عليك ، ولقد علمتَ أنّي كنتُ زوجته قبلك وأنه أُكرِه على طلاقي . ووالله ما قبِلت التزويج حتى أُهدِر دمه إن ألَمّ بحيّنا ، فخشيتُ أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيُقتَل ، فتزوّجتك . وأمرُك الآن اليك ، ففارِقني فلا حاجة بي اليك . فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنّينها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك ؛ فلا تزدادُ إلّا تمادياً وبُعداً ، ولا تزال تبكي كلّما سمعتْ شيئاً من ذلك أحرّ بكاء وأشجاه .

رجع الحديث الى سِياقته .

وقال الحِرمازيُّ وخالد بن جَمَل : كانت امرأة من موالي بني زُهرة يقال لها بُريكة من أظرف النساء وأكرمهنّ ، وكان لها زوج من قريش له دارُ ضيافة . فلما طالت عِلّةُ قيس قال له أبوه : إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لُبنى فارحل الى المدينة . فرحل اليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بُريكة . فوثب غِلمانه الى رَحل قيس ليحطّوه . فقال : لا تفعلوا فلستُ نازلًا أو ألقى بُريكة فإنّي قصدتها في حاجة ؛ فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم وإلّا رحلت . فأتوها فأخبروها . فخرجتْ اليه فسلّمتْ عليه ورحّبتْ به وقالت : حاجتُك مقضيةٌ كائنةً ما كانت ، فانزِل . فنزل ودنا منها فقال : أذكُر حاجتي ؟ قالت : إن شئت . قال : أنا قيس بن ذريح . قالت : حيّاك الله وقرّبك ! إنّ ذكرك لجديدٌ عندنا في كل وقت . قال : وحاجتي أن أرى لُبنى نظرةً واحدةً كيف شئت . قالت : ذلك لك عليّ . فنزل بهم واقام عندها وأخفت أمرَه ، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال : لاطِفيها وزوجها بهذا حتى يأنس بِك . ففعلت وزارتها مراراً ، ثم قالت لزوجها :

أخبِرني عنك : أنت خيرٌ من زوجي ؟ قال : لا . قالت : فلُبنى خير منّي ؟ قال : لا . قالت : فما بالي أزورها ولا تزورني ؟ قال : ذلك اليها . فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتها أن قيساً عندها . فتسارعتْ الى ذلك وأتتها . فلما رآها ورأته بكياً حتى كادا يَتلَفان . ثم جعلت تسأله عن خبره وعِلّته فيخبرُها، ويسألها فتخبره . ثم قالت : أنشِدني ما قلتَ في علّتك؛ فأنشدها قولَه :

أعالج من نفسي بَقايا حُشاشةٍ[1] على رَمَقٍ والعائداتُ تعودُ
فإن ذُكرتْ لُبنى هَشِشتُ لذكرها كما هَشَّ للثدي الدَّرورِ وَليد
أُجيب بلُبنى مَن دعاني تجلُّداً وبي زَفراتٌ تنجلي وتعود
تُعيد الى روحي الحياةَ وإنني بنفسيَ لو عاينتني لأجود

قال : وفي هذه القصيدة يقول :

صوت

أَلا ليتَ أياماً مَضَيْنَ تعود فإن عُدنَ يوماً إنني لسعيدُ
سَقى دارَ لُبنى حيث حَلّت وخَيّمتْ من الأرض مُنهَلٌ الغمام رَعود

في هذين البيتين لغَريبَ خفيفُ ثقيلٍ اول مطلق في مجرى الوسطى، وقيل : إنه لغيرها . وتمام هذه القصيدة :

على كلِّ حالٍ إن دَنَت أو تباعدتْ فإن تَدنُ منّا فالدنوُّ مَزيدُ
فلا اليأسُ يُسلِيني ولا القربُ نافعي ولُبنى مَنوعٌ ما تكاد تجود
كأنّيَ من لُبنى سليمٌ مُسهَّدٌ يَظلُّ على أيدي الرجال يَميد

(١) الحشاشة : بقية الروح في المريض .

رمتني لُبينى في الفـؤاد بسهمها وسهمُ لبينى للفؤاد صَيودُ
سلا كلُّ ذي شَجوٍ علمتُ مكانه وقلبي للبنى مـا حَييتُ وَدود
وقائلةٍ قـد مات أو هو مَيّتٌ وللنفس منّي أن تَفيض رَصيد
أُعالِج من نفسي بقـايا حُشاشةٍ على رَمَقٍ والعائداتُ تعـود

وقال الحِرمازيّ في خبره خاصّة : وعاتبتْه على تزوّجه ؛ فحلف أنه لم ينظر اليها ملءَ عينيه ولا دنا منها ، فصدّقته . وقال :

صوت

ولقد أردتُ الصبر عنكِ فعاقني عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قـديمُ
يبقَى على حَدَثِ الزمانِ ورَيبِه وعلى جَفائـكِ ، إنه لكريم
فصَرَمتِـه وَصَحَت وهو بدائه شَتّانَ بـين مُصَحَّح وَسَقِيم
وارَبْتِه(١) زمناً فعـاد بحلمه إنّ المحبّ عن الحبيب حلـيم

— لعريب في هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ ، وللدّارميّ خفيفُ رملٍ من رواية الهشاميّ . ومن الناس من يَنسُب خفيفَ الثقيل اليـه وخفيفَ الرمل اليها — قالوا : فلم يزل يومَه معها يحدّثها ويشكو اليها أعفّ شكوى وأكرم حديث حتى أمسى ؛ فانصرفتْ ووعدْته الرجوعَ اليه من غدٍ فلم ترجع . وشاع خبره فلم تُرسل اليه رسولًا . فكتب هذه الأبيات في رُقعة ودفعها الى بُرَيكة وسألها أن تُوصلها اليها ، ورَحل متوجّهاً الى معاوية . والأبياتُ :

صوت

بنفسيَ مَن قلبي له الدّهرَ ذاكرُ ومَن هو عنّي مُعرِضُ القلبِ صابرُ

---

(١) المواربة : المخاتلة والمخادعة .

ومَن حُبُّه يزداد عندي جِدَّةً وحبّي لديه مُخلِقُ العهدِ داثِرُ

— غنّت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيفَ رَمَلٍ — قالوا : ثم ارتحل الى معاوية، فدخل الى يزيد فشكا ما به اليه وامتدحه ؛ فرَقّ له وقال : سَلْ ما شئت ، إن شئتَ أن أكتب الى زوجها فأُحتِّمَ عليه أن يطلّقها فعلتُ . قال : لا أريد ذلك ، ولكن أحبّ أن أقيم بحيث تقيم من البلاد ، أتعرّفُ أخبارها وأقنَعُ بذلك من غير أن يُهدَر دمي . قال : لو سألتَ هذا من غير أن ترحل الينا فيه لَما وجب أن تُمنَعَه ، فأقم حيث شئت ؛ وأخذ كتابَ أبيه له بأن يُقيم حيث شاء وأحبّ ولا يعترضَ عليه أحد ، وأزال ما كان كتب به في إهدار دمه ؛ فقدِم الى بلده . وبلغ الفَزاريّين خبرُه وإلمامُه بلُبنى ، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه . فقال للرسول : قل للفتى (يعني أخا الجارية التي تزوّجها) : يا أخي ما غرَرتُك من نفسي ، ولقد أعلمتك أني مشغول عن كل أحد ، وقد جعلتُ أمرَ أختك اليك فأمضِ فيه من حكمك ما رأيتَ . فتكرّم الفتى عن أن يُفرّق بينهما ، فمكثتْ في حِباله مدّةً ثم ماتت .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثني سليمان ابن عيّاش السَّعديّ عن أبيه قال :

أقبلتُ ذات يوم من الغابة[1] ؛ فلما كنت بالمَذاد ، اذا ربعٌ حديثُ العهدِ بالساكن ، وإذا رجل مجتمعٌ في جانب ذلك الربع يَبكي ويحدّث نفسَه . فسلّمتُ فلم يَرُدّ عليّ سلاماً . فقلت في نفسي : رجل مُلتَبِسٌ به فولّيتُ عنه . فصاح بي بعد ساعة : وعليك السلام ، هَلُمَّ هلم إليَّ يا صاحب السلام ! فأتيته فقال : أما واللهِ لقد فهمتُ سلامَك ولكني رجل مُشترَك اللُّبّ يَضِلُّ عنّي أحياناً ثم يعود إليّ . فقلت : ومن أنت ؟ قال : قيس بن ذُريح اللَّيثيّ . قلت :

(١) الغابة : يريد من المدينة على طريق الشام .

صاحبُ لُبْنى ؟ قال : صاحبُ لُبنَى لعَمري وقتيلُها ! ثم أرسل عينيه كأنهما غَرادتان ؛ فما أنسى حسنَ قوله :

أبائنةٌ لُبنى ولم تَقطعِ المَدى ... بوصلٍ ولا صُرمٍ فييأسَ طامعُ
نهاري نهارُ الواهِنِ صَبابةً ... وليلِيَ تنبو فيه عنّي المضاجع
وقد كنتُ قبل اليوم خِلواً وإنّما ... تُقَسَّم بين الهالكين المَصارع
فلولا رجاء القلب أن تُسعِف النَّوى ... لَما حبستُه بينهنّ الأضالع
له وَجباتٌ إثْرَ لُبنى كأنها ... شَقائقُ برقٍ في السماء لَوامِع
أبى اللهُ أن يَلقَى الرشادَ مُتيَّمٌ ... أَلا كلُّ أمرٍ حُمَّ لا بُدّ واقع
هما بَرَّحا بي مُعْوِلَينِ كلاهما ... فؤادٌ وعينٌ جفنُها الدَّهرَ دامع

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سَعيد قال حدثنا الزُّبير قال : وأخبرنا به وكيع عن أبي أيوب المدينيّ ، قال الزُّبير قال حدثتني ظَبية قالت :

سمعتُ عبد الله بن مُسلِم بن جُندب يُنشِد زوجي قولَ قيس بن ذَريح :

اذا ذُكِرتْ لُبنَى تأوَّه واشتَكى ... تأوُّهَ محموم عليه البَلابلُ
يَبيت ويُضحي تحت ظِلّ منيَّةٍ ... به رَمَقٌ تبكي عليه القبائل
قتيلُ لُبنى صدَّع الحبُّ قلبَه ... وفي الحب شغلٌ للمحبّين شاغل

فصاح زوجي : أوَّه ! واحَرَباه واسَلَباه ! ثم أقبل على ابن جُندَب فقال : وَيلك أتُنشد هذا كذا ! قال : فكيف أُنشِدُه ؟ قال : لم لا تتأوّه كما يتأوّه وتشتكي كما يشتكي !

وقال القَحذَميّ : قال ابن أبي عَتيق لقيس يوماً : أنشِدْني أحرَّ ما قلتَ في لُبنى . فأنشده قولَه :

وإني لأهوَى النَّومَ في غير حينه ... لعلَّ لقاءً في المنام يكونُ

تُحدّثني الأحلامُ أني أراكم فيا ليتَ أحلامَ المنام يقينُ
شهدتُ بأني لم أُحلْ عن مودّةٍ وأني بكم لو تعلمين ضَنين
وأن فؤادي لا يَلِين الى هوًى سواكِ وإن قالوا بَلى سيَلِين

فقال له ابن أبي عَتيق : لَقَلَّ ما رضيتَ به منها يا قَيس . قال : ذلك جُهدُ المُقِلِّ .

غنّى في البيتين الأولين قَفَا النجّار ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبش .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعلب لقيس بن ذَريح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره :

سقَى طَلَلَ الدّارِ التي أنتم بها حَيًا ثم وَبْلٌ صَيِّفٌ وربيعُ
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي فهل لي إلى لبنى الغَداةَ شَفيع
سأصرِم لُبنى حبلَكِ اليومَ مُجمِلًا وإن كان صَرمُ الحبل منكِ يَروع
وسوف أُسَلّي النفسَ عنكِ كما سَلَا عن البلد النائي البعيدِ نَزيع (١)
وإن مَسَّني للضُّرّ منكِ كآبةٌ وإن نال جسمي للفِراق خُشوع
يقولون صَب بالنساء موكَّلٌ وما ذاك من فعلِ الرجال بَديع
نَدِمتُ على ما كان منّي ندامةً كما ندِم المغبونُ حين يَبيع
فقد تُكِ من نفسٍ شَعاعٍ ألم أكن نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جَميع
فقرّبتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ هناكَ ثَنايا ما لهنَّ طلوع
الى الله أشكو نِيَّةً شَقَّت العصا هي اليوم شَتَّى وهي أمسِ جميع
فيا حَجَراتِ الدارِ حيث تحمَّلوا بذي سَلَمٍ لا جادكنَّ ربيع

(١) نزيع : غريب .

صوت

فلو لم يَهِجني الظاعنون لهاجني حمائمُ وُرقٌ في الدّيار وُقوعُ
تَداعَيْنَ فاستبكَيْنَ مَن كان ذا هوًى نوائحَ لم تَقطُر لهنّ دُموع

— غنّى في هذين البيتين ابنُ سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّل عن الهشاميّ —

صوت

اذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها أبتْ كَبِدٌ عمّا يَقُلنَ صَديعُ
وكيف أُطيع العاذلاتِ وذكرُها يؤرّقني والعاذلاتُ هجُوع

غنّى في هذين البيتين إبراهيمُ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو .

أخبرني الحرميُّ قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال :

أنشدتُ أبا السائبِ المخزوميّ قولَ قيس بن ذَريح :

صوت

أُحبُّكِ أصنافاً من الحبّ لم أجِدْ لها مَثَلًا في سائر الناس يُوصَفُ
فمنهنّ حبٌّ للحبيب ورحمةٌ بمعرفتي منه بما يتكلّف
ومنهن ألّا يَعرِضَ الدّهرَ ذكرُها على القلب إلّا كادتِ النفس تَتلَف
وحبٌّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرٌ وحبٌّ لدى نفسي من الروح ألطف

قال أبو السائب : لا جَرَم والله لأُخلِصَنّ له الصَّفاء ولأَغضبنّ لغضبه ولأُرضَيَنّ لرضاه . غنّى في البيتين الأوّلين الحسين بن مُحرِز خفيفَ ثقيلٍ عن الهشامي وبَذْل .

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن أبي السائب المخزومي أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كَثير في سَقيفة دار كثير، إذ مُرَّ بجنازة؛ فقال لي: يا أبا السائب، جارُك ابن كلَدة، أَلا تقوم بنا فنصلِّيَ عليه! قال: قلت بَلى والله فديتُك! فقمنا حتى اذا كنَّا عند دار أُوَيس إذ ذكرتُ أن جدّه كان تزوّج لُبنى ونزل بها المدينة، فرجعتُ فطرحتُ نفسي في السَّقيفة وقلت: لا يراني الله أُصلِّي عليه. فرجع الكثيريُّ فقال: أكنتَ جُنُباً؟ قلتُ: لا والله. قال: فعلى غيرِ وُضوء؟ قلتُ: لا والله. قال: فمالك؟ قلتُ: ذكرتُ أن جدّه كان تزوّج لُبنَى وفرَّق بينها وبين قيس بن ذَريح لمَّا ظعَن بها من بلادها، فما كنت لأصلِّيَ عليه.

أخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عبد الله بن شَبيب قال حدثني هارون بن موسى الفَرَويّ قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال:

مررتُ بسُوق الطَّير، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضُهم بعضاً، فاطّلعتُ فاذا أبو السائب المخزوميّ قائم على غراب يُباع وقد أخذ بطَرَف ردائه وهو يقول للغراب: يقول لك قيس بن ذَريح:

أَلا يا غرابَ البين قد طِرتَ بالذي أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقعُ

لِمَ لا تقع! ويضربه بردائه والغراب يصيح. قال: فقال قائل له: أصلحك الله يا أبا السائب! ليس هذا ذاك الغراب. فقال: قد علمت، ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء.

وقال الحِرمازيُّ في خبره: لمَّا بلغ لُبنى قولُ قيس:

أَلا يا غرابَ البين قد طِرتَ بالذي أُحاذِر من لبنى فهل أنت واقع

آلتْ ألّا ترى غراباً إلّا قتلتْه؛ فكانت كلّما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة أبتيع ممن هو معه وذبحته .

وهذه القصيدة العينيَّة ايضاً من جيِّد شعر قيس . والمختارُ منها قوله :

أتبكي على لُبنى وأنت تركتَها ... وكنتَ كآتٍ حَتفَه وهو طائعُ
فيا قلبُ صبراً واعترافاً لما ترى ... ويا حبَّها قَعْ بالذي أنت واقع
ويا قلبُ خبِّرني إذا شَطَّتِ النَّوى ... بلُبنى وبانت عنك ما أنت صانع
أتصبِر للبَين المُشِتِّ مع الجوى ... أم أنت امرؤ ناسي الحياء فجازع
كأنّك بِدعٌ[1] لم ترَ الناسَ قبلَها ... ولم يطَّلِعك الدهرُ فيمن يُطالع
ألا يا غرابَ البَين قد طِرتَ بالذي ... أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقع
فليس محبٌّ دائماً لحبيبِه ... ولا ثقةٌ إلا له الدهرَ فاجع
كأنَّ بلادَ الله ما لم تكن بها ... وإن كان فيها الناسُ قَفْرٌ بَلاقِع
فما أنت إذ بانت لُبينى بهاجعٍ ... إذا ما اطمأنَّت بالنِّيام المَضاجع

صوت

أُقضِّي نهاري بالحديث وبالمُنى ... ويَجمعني والهمَّ بالليل جامعُ
نهاري نهارُ الناس حتى إذا دَجا[2] ... ليَ الليلُ هَزَّتني إليكِ المضاجع
لقد رسختْ في القلب منكِ مودّةٌ ... كما رسخت في الراحتين الأصابع
أحالَ عليَّ الهمُّ من كلِّ جانب ... ودامت فلم تبرح عليَّ الفواجع
ألا إنما أبكي لِما هو واقعٌ ... فهل جَزَعي من وَشكِ ذلك نافع
وقد كنتُ أبكي والنوى مطمئنَّةٌ ... بنا وبكم من عِلمِ ما البينُ صانع

(١) البدع : الغمر من الرجال، وهو الذي لم يجرب الأمور .

(٢) في الأصول : « بدا » .

وأَهجُركم هجرَ البَغيض وحبُّكم على كبدي منه كُلومٌ صوادعُ
وأَعمِد للأرض التي لا أُريدها لِترجعَني يوماً اليكِ الرواجع
وأُشفِق من هِجرانكم وتَرُوعني مَخافةُ وَشْكِ البين والشَّملُ جامع
فما كلُّ ما منَّتكَ نفسُك خالياً تُلاقي ولا كلُّ الهوى أنت تابع
لعمري لمَن أَمسى ولُبنى ضجيعُه من الناس ما اختيرت عليه المضاجع
فتلك لُبينى قد تراخى مَزارُها وتلك نَواها غُربةٌ ما تُطاوع
وليس لأمرٍ حاول اللهُ جمعَه مُشِتٌّ ولا ما فرَّق اللهُ جامع
فلا تَبكِين في إثر لُبنى نَدامةً وقد نَزَعتها من يديك النوازع

غنّى الغريض في الثالث والرابع والاول والعشرين وهو « لعمري لمَن أَمسى ولُبنى ضجيعُه » ثقيلًا اول بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنّى إبراهيم الموصلي في العاشر وهو : « أقضّي نهاري بالحديث وبالُمنى » والحادي عشر والثاني عشر رَمَلًا بالوسطى عن عمرو . وقد قيل : إن ثلاثة أبيات من هذه وهي : « أقضّي نهاري بالحديث وبالمنى » والبيتان اللذان بعده لابن الدُّمينة الخَثعَميّ ؛ وهو الصحيح؛ وإنما أدخلها الناس في هذه الأبيات لتشابهها .

وقد اختُلف في آخر أمر قيس ولُبنى؛ فذكر أكثر الرُّواة أنهما ماتا على افتراقهما؛ فمنهم من قال : إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه . ومنهم من قال : بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها؛ وممن ذكر ذلك اليوسُفيّ عن عليّ بن صالح صاحبِ المُصلَّى؛ قال قال لي أبو عمرو المدَنيّ :

ماتت لُبنى، فخرج قيسٌ ومعه جماعةٌ من أهله فوقف على قبرها فقال :

ماتت لُبينى فموتُها مَوتي وهل تنفعَنْ حَسرتي على الفَوتِ
وسوف أبكي بكاءَ مكتئب قضى حياةً وَجْداً على مَيت

ثم أَكبَّ على القبر يبكي حتى أغمي عليه؛ فرفعه أهله الى منزله وهو لا يعقل، فلم يزل عليلًا لا يُفيق ولا يجيب مكلِّماً ثلاثاً حتى مات فدُفن الى جنبها .

وذكر القَحذميّ وٱبن عائشة وخالد بن جمل أن ٱبن أَبي عتيق صار الى الحسن والحسين ابنَيْ عليّ بن أَبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش، فقال لهم : إن لي حاجةً الى رجل أخشى أَن يَرُدَّني فيها ، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه . قالوا : ذلك لك مُبتَذَلٌ منَّا . فاجتمعوا ليومٍ وعَدهم فيه، فمضى بهم الى زوج لُبنى . فلمَّا رآهم أَعظم مصيرَهم اليه وأَكبره . فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لٱبن أبي عَتيق . قال : هي مقضيَّة كائنةً ما كانت . قال ٱبن أَبي عَتيق : قد قضيتَها كائنةً ما كانت من مِلك او مال أَو أَهل ؟ قال نعم . قال : تَهَب لهم ولي لُبنى زوجتك وتطلّقها . قال : فإني أُشهِدكم أنها طالقٌ ثلاثاً . فٱستحيا القوم وٱعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إيَّاها . وقال ٱبن عائشة : فعوَّضه الحسنُ من ذلك مائةَ أَلف درهم وحملها ٱبن أَبي عتيق اليه . فلم تَزل عنده حتى ٱنقضت عِدَّتُها . فسأل القوم أَباها فزوّجها قيساً، فلم تَزل معه حتى ماتا . قالوا : فقال قيس يمدح ٱبن أَبي عَتيق :

جزى الرحمنُ أَفضلَ ما يُجازي ... على الإحسان خيراً من صديقِ
فقد جَرَّبتُ إخواني جميعاً ... فما ألفَيتُ كٱبنِ ابي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صَدْعٍ ... ورأيٍ حِدتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوعةً كانت بقلبي ... أغصَّتني حرارتُها بريقي

قال : فقال له ٱبن أَبي عتيق : يا حبيبي أَمسِك عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلَّا ظنّني قوّاداً . مضى الحديث .

ومن مدن معبد وهو الذي أوّله :

يا دارَ عَبلة بالجواء تكلَّمي

وقد جُمِع معه سائرُ ما يغنّى فيه من القصيدة .

منها :

صوت

هل غادر الشعراء من مُتردَّمِ ... أم هل عَرَفتَ الدارَ بعد تَوَهّمِ
يا دارَ عَبلةَ بالجواء تَكلَّمي ... وعِمي صباحاً دارَ عبلةَ واسلَمي
وتَحُلّ عبلةُ بالجواء وأهلُنا ... بالحَزْن فالصمّانِ[1] فالمُتثلِّم
كيف القرارُ وقد تربَّع أهلُها ... بعُنيزَتينِ واهلُنا بالغَيلم
حُيِّيتَ من طَللٍ تَقادمَ عهدُه ... أقوى وأقفرَ بعد أمّ الهيثم
ولقد نزلتِ فلا تظُنّي غيرَه ... منّي بمنزلة المُحبِّ المُكرَم
ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ ... للحرب دائرةٌ على ابْنَيْ ضَمضم
الشاتِمَي عِرضي ولم أشتُمهما ... والناذِرَينِ إذا لَمَ ألقَهما دمي
ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقمَها ... قِيلُ الفوارس وَيكَ عنترُ فأقدِم
ما زِلتُ أرميهم بثُغرة نَحرِه ... ولَبانه حتى تَسربلَ بالدَّم
هَلّا سألتِ الخيلَ يابنةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعلمي
يُخبِركِ مَن شَهِد الوقِيعةَ أنّني ... أغشى الوغى وأعِفُّ عند المَغنم
يَدعون عَنتر والرِّماحُ كأنّها ... أشطانُ بئرٍ في لَبان الأدهم
فشككتُ بالرُّمح الطويل ثيابَه ... ليس الكريمُ على القنا بمحرَّم
فإذا شَربتُ فإنني مُستهلِكٌ ... مالي، وعِرضي وافرٌ لم يُكلَم
وإذا صحوتُ فما أقصِّر عن نَدًى ... وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي

الشعر لعنترة بن شَدّاد العبسيّ، وقد تقدّمتْ أخباره ونسبه. وغنّى في البيت الاول، على ما ذكره ابن المكي، إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ اول بالوسطى، وما وجدتُ هذا في رواية غيره. وغنّى مَعبد في البيت الثاني والثالث خفيفَ ثقيلٍ

(١) الصمّان: موضع جبل.

اول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وهو الصوت المعدود في مُدُن معبد. وغنّى سلّام الغسّال في السابع والثامن والثالث والعاشر رَمَلًا بالسبّابة في مجرى البنصر، ووجدت في بعض الكتب أن له أيضاً في السابع وحده ثانيَ ثقيلٍ أيضاً، وذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثانيَ بالوسطى لمعبد ووافقه يونس، وذكر ابن المكيّ أن هذا الثقيل الثانيَ للهُذَليّ، وذكر غيره أنه لابن مُحرِز. وذكر أحمد بن عُبيد أنّ في السابع ثقيلًا اول للهُذَليّ، ووافقه حَبَش. وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيلًا اول، وأن لابن سُرَيج فيه رملًا آخر غير رمل ابن الغسّال، وأن لابنِ مِسجَح أيضاً فيه خفيف ثقيلٍ بالوسطى. وفي كتاب أبي العُبَيس: له في الثالث لحن. وفي كتاب أبي أيّوب المَدينيّ. لابن جامع في هذه الأبيات لحن. ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيفُ ثقيلٍ اول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ايضاً. ولعلّويه في السادس والرابع ثاني ثقيلٍ، وله أيضاً في الرابع عشر والثالث عشر رَمَلٌ. وفي كتاب هارون بن الزيّات لعبدِ آلٍ في الخامس ثقيلٌ اول؛ وقد نسب الثقيل الثاني المختلَف فيه لابن مُحرِز. وفي كتاب هارون: لأحمد النَّصْبيّ في الرابع والخامس لحن.

«هل غادر الشعراء» البيت، يدفع أكثرُ الرواة أن يكون لعنترة؛ وممن يدفعه الأصمعيّ وابن الأعرابيّ. واول القصيدة عندهما «يا دارَ عَبلة». فذكر أبو عمرو الشيبانيّ أنه لم يكن يَرويه حتى سمع أبا حِزامٍ العُكليّ يرويه له.

قوله: «هل غادر الشعراء من متردَّم» يقول: هل تركوا شيئاً يُنظَر فيه لم ينظروا فيه؟ والمتردَّم: المتعطَّف، وهو مصدر. يقول: هل تركوا شيئاً يُتردَّم عليه اي يتعطَّف؛ ويقال: تردَّمت الناقة على ولدها إذا تعطَّفت عليه، وثوبٌ مردَّم ومُلدَّم إذا سُدّت خروقُه بالرِّقاع. والرَّبع: المنزل، سُمّي ربعاً لارتباعهم فيه؛ والرَّبيعة: الصخرة. حكى أبو نصر أنه يقول: هل ترك الشعراء من خَرقٍ لم يرقعوه وفَتقٍ لم يرتُقوه! وهو أشبهُ بقوله من متردَّم. وقال غيره: يعني بقوله

من متردَّم البناء وهو الرَّدم، أي لم يتركوا بناء إلا بنَوه؛ قال الله عز وجل: (أَجعلْ بينكمْ وبينهُم رَدْماً) يعني بناء؛ وردَم فلان حائطَه أي بناه. والجواء: بلد بعينه؛ والجواء ايضاً: جمع جَوٍّ وهو البطن الواسع من الأرض. عِمي صباحاً، وانعِمي صباحاً: تحيَّةٌ. ترّبع أهلُها: نزلوا في الرَّبيع. وعُنيزتين: أَكَمةٌ سوداء بين البصرة ومكة. والغيلم: موضع. والطَّلل: ما كان له شخص من الدار مثل أثفيَّة[1] أو وَتِدٍ أو نُؤيٍ؛ وتقول العرب: حيَّا الله طَلَلَك، أي شخصك. وأبنا ضَمضَم: حُصَين وهَرِم المُرِّيّان. وثُغرة نحره: موضع لبَّته. واللَّبان: مَجرى لَبِبِه من صدره وهو الصدر نفسه. ويروى «بغُرّة وجهه». وتَسربل، أي صار له سِربال من الدم. وقوله: «هَلَّا سألت الخيلَ» يريد فرسانَ الخيل؛ كما قال الله تعالى: (واسألِ القَرية). والوَقيعة: الوَقعةُ. والوغى والوحى: أَصواتُ الناس وجَلَبتُهم في الحرب؛ وقال الشاعر:

وليلٍ كَساجِ[2] الحِمَيريِّ أدَّرعتُه كأنَّ وَغى حافاتِه لَغَطُ العُجْمِ

والأشطان: الحبال، واحدها شَطَن. شبَّه اختلافَ الرِّماح في صدر فرسه بالأشطان. وشَككتُ بالرمح: نظمت. وقال أبو عمرو: يعني بثيابه قلبَه. والعِرض: موضعُ المدح والذمّ من الرجل؛ يقال: طيِّب العِرض أي طيِّب ريح الرسم. والكُلوم: الجراح. والوافر: التامّ. وشمائلي: أَخلاقي، واحدها شِمال. يقال: فلان حُلو الشمائل والنَّحائت والضرائب والغرائز.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال قال أبو عمرو الشَّيباني:

---

(١) الأثفية: الحجر توضع عليه القدر.

(٢) الساج: الطيلسان الاسود.

قال عنترةُ هذه القصيدةَ لأَن رجلًا من بني عَبس سابّه فذكر سوادَه وسوادَ أُمّه وإخوته وعيّره ذلك . فقال عنترة : والله إن الناس لَيَترافَدون بالطُّعمة ، فوالله ما حضرتَ مَرفِدَ الناس أَنت ولا أَبوك ولا جدُّك قطُّ . وإن الناس لَيُدْعَون في الفزع فما رأيتُك في خيلٍ قطُّ ، ولا كنتَ في أوّل النساء . وإن اللَّبس (يعني الاختلاط) ليكونُ بيننا فما حضرتَ أَنت ولا أَحدٌ من أَهل بيتك لخُطَّةِ فيصلٍ قطُّ ، وكنتَ فَقعاً بقَرقرة . ولو كنتُ في مَرتبتك ومَغرسك الذي أَنت فيه ثم ماجدتُك لمجدتُك ، أَو طاولتُك لطُلتُك . ولو سألتَ أُمَّك وأَباك عن هذا لأَخبراك بصحته . وإني لأَحتضِر الوَغى ، وأَوَقّى المَغنَم ، وأَعِفُّ عن المسألة ، وأَجود بما ملكتُ ، وأَفصِلُ الخُطَّةَ الصَّمعاء[1] . فقال له الآخر : أَنا أَشعرُ منك . فقال : ستعلم ! وكان عنترة لا يقول من الشِّعر إِلّا البيتَ أَو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة . ويزعمون أَنها أَوّل قصيدة قالها . وكانت العرب تسمّيها المُذهّبة .

نسبة الأَصوات التي جُعِلت مكان بعض هذه الأَصوات في مدن معبد ، وهنّ :

صوت

تَقطَّع من ظَلَّامةَ الوصلُ أَجمعُ أَخيراً على أَن لم يكن يتقَطَّعُ
وأصبحتُ قد وَدّعت ظَلَّامةَ التي تَضُرُّ وما كانت مع الضُّرّ تنفع

الشعر لكُثَيِّر . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أَوّل بالبنصر عن عمرو ويونس .

أَخبرني الحرميُّ بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بَكّار قال حدثني سليمان ابن عَيّاش السَّعديُ قال قال سائبُ راويةُ كُثَيِّر ، وأَخبرني إسماعيل بن يونس

---

(١) الصمعاء : الحازمة .

قال حدثنا عمر بن شبّة قال زعم ابن الكلبيّ عن أبي المُقوَّم قال حدثني سائب راوية كُثَيِّر قال :

كنتُ مع كُثيِّر عند ظلَّامة فأقمنا أياماً . فلما أردنا الانصرافَ عقدتْ له في عِلاقة سَوطه عُقداً وقالت : احفَظها . ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضَمرة ، فقال : إن في هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذاتَ جمال ، فهل لك أن تستبرزَها ؟ فقلت : ذاك اليك . قال : فمِلنا اليهم فخرجت الينا جاريتها فأخرجتْها الينا ، فإذا هي عَزّة ، فجلس معها يحادثها ، وطرح سَوطه بينه وبينها الى أن غلَبتْه عيناه . وأقبلتْ عَزّة على تلك العُقَد تَحُلُّها واحدةً واحدةً . فلما استيقظ انصرفنا . فنظر الى عِلاقة سوطه فقال : أحلَلتها ؟ قلت : نعم ! فلا وصلها الله ! والله إنك لمجنون . قال : فسكت عنّي طويلًا ثم رفع السَّوط فضرب به واسطةَ رَحله وأنشأ يقول :

تقطَّع من ظَلَّامةَ الوصلُ أجمعُ ... أخيراً على أن لم يكن يتقطَّعُ
وأصبحتُ قد ودّعت ظَلَّامةَ التي ... تَضُرُّ وما كانت مع الضُّرّ تنفع
وقد سُدَّ من أبواب ظَلَّامةَ التي ... لنا خَلَفٌ للنفس منها ومَقنَع

ثم وصل عزّة بعد ذلك وقطع ظلَّامة .

ومنها :

وهو الذي أوّله : « خَمصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها » .

صوت

أقوى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحَزْمُ ... فالغَمرتانِ فأَوْحَشَ الخَطْمُ
فجَنوبُ أَثْبِرَةَ[1] فمُلحَدُها ... فالسِّدْرتانِ فما حَوَى دَسَمُ

(١) أثبرة : عدة جبال بمكة .

وبما أرى شخصاً به حسناً ... في القوم إذ حيّتكمُ نُعمُ
إذ وُدُّها صافٍ ورؤيتُها ... أمنيَّةٌ وكلامُها غُنْم
لَفّاءُ مملوءةٌ مُخَلْخَلُها ... عَجْزاءُ ليس لعَظْمها حَجْم
خَمصانةٌ قَلِقٌ موشَّحُها ... رُؤُدُ الشبابِ علا بها عَظْم
وكأنّ غاليةً[1] تُباشرها ... تحت الثيابِ إذا صَغا[2] النَّجْم
أُظَلَيمُ إنّ مُصابَكم رجلًا ... أهدَى السلامَ تحيَّةً ظُلْم
أقصيتِه وأراد سِلمَكمُ ... فَلْيَهْنِه إذ جاءكِ السَّلْم

عروضه من الكامل. الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ. والغناء لمعبد، ولحنه من القدْر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر. قال: ولحن معبد:

خمصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها

وأوّل لحن مالك:

أقوى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحزمُ

(١) الغالية: ضرب من الطيب.
(٢) صغا النجم: مال للغروب.

ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره فى هذا الشعر

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المُغِيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ؛ وقد تقدّم ذكره وأخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرُها له وهو :

إن أمراً تَعتادُه ذِكَرُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبَّة قال :

بلغني أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المُغيرة — ويقال : بل خالد بن المُهاجِر بن خالد بن الوليد بن المغيرة — كان تزوّج حُمَيدة بنت النُّعمان بن بَشير بدِمَشق لمَّا قدِم على عبد الملك بن مَروان . فقالت فيه :

نَكَحتُ المَدينيَّ إذ جاءني فيا لكِ من نَكحَةٍ غاويهْ
كهولُ دِمَشقَ وشُبَّانُها أحبُّ الينا من الجاليه
صُنانٌ لهم كصُنان التُّيُو س أعيا على المسك والغاليه

فقال الحارث يجيبها :

صوت

أَسَنَا ضوءِ نار ضَمرة بالقَفْرة أبصرْتَ أم سَنا ضوءِ بَرْقِ
قاطناتُ الحَجونِ أشهى الى قلبيَ من ساكنات دورِ دِمَشق

يَتَضَوَّعْنَ لو تضمَّخْنَ بالمســـــكِ صُناناً كأنه ريحُ مَرْقِ

غنَّاه مالكُ بن أبي السَّمح خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وفيه لابن مُحرز لحنٌ من رواية عمرو بن بانة ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى.

رجعت الرواية إلى خبر الحارث

قال: وطلَّقها الحارث؛ فخلَف عليها رَوح بن زِنباع. قال: وكان الحارث خطَب أَمَةً لمالك بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وخطبها عبد الله بن مُطيع. فتزوّجها عبد الله ثم طلَّقها أو مات عنها، فتزوّجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوّج:

أَقوى مِنَ آلِ ظُليمةَ الحَزمُ فالغَمرتانِ فأوحَش الخَطْمُ

الأبياتَ التي فيها الغناء.

قال وأخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدثنا محمد بن الحَكم عن عَوانة بهذا الخبر فذكر مثله، ولم يذكر أنّ الحارث هو المتزوّجها، وفسَّر قولَها:

أحبُّ الينا من الجاليهْ

وقال: الجالية أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمُّونهم بذلك لأنهم كانوا يَجلون عن بلادهم الى الشام. وقال في الحديث: فبلغ عبدَ الملك قولُها فقال: لولا أنها قدّمت الكهولَ على الشبَّان لعاقبتُها.

قال عَوانة: وكانت لحُميدة أختٌ يقال لها عَمرة، وكانت تحت المختار بن أبي عُبيد الثَّقَفيّ، فأخذها مُصعَب بعد قتله المختار وأخذ امرأته الأخرى وهي بنت سَمُرةَ بنِ جُندَب، فأمرهما بالبراءة من المختار. أمَّا بنت سَمُرةَ فبرئت

منه ، وأبتْ ذلك عَمرةُ . فكتب به مُصعَب الى أخيه عبد الله . فكتب اليه : إن أبت أن تَبرأ منه فاقتُلها . فأبت فحفر لها حفيرةً وأقيمت فيها فقُتلت . فقال عمر بن أبي رَبيعة في ذلك :

إن من أعجبِ العجائب عندي قتلَ بيضاءَ حُرَّةٍ عُطبول[1]
قُتِلتْ حُرَّةٌ على غير جُرْمٍ إنّ للهِ دَرَّها من قَتيل
كُتب القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانياتِ جَرُّ الذيول

رجع الحديث الى رواية عمر بن شبَّة

قال أبو زيد وحدثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه ، وزاد فيه أن الحارث لمَّا تزوّجها قالت فيه :

نَكَحتُ المَدينيَّ إذ جاءني فيا لكِ من نَكحةٍ غاويهْ

وذكر الأبيات المتقدّمة . وقال عمر بن شبَّة فيه : وتزوّجها رَوح بن زِنباع ؛ فنظر اليها يوماً تنظر الى قومه جُذامَ ، وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى إلا جُذامَ ! فوالله ما أحِبُّ الحَلالَ منهم فكيف بالحرام ! وقالت : تهجوه :

بكى الحَرُّ من رَوحٍ وأنكر جلدَه وعَجَّتْ عجيجاً من جُذامَ المطارفُ
وقال العَبَا قد كنتُ حيناً لباسَكم وأكسيةٌ كُردِيّةٌ وقطائف

فقال رَوح :

إن تَبكِ منّا تَبكِ ممن يُهينُها وإن تَهوَكم تهوَ اللِّئامَ المَقارِفا

(١) العطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .

وقال رَوح :

أَثني[1] عليَّ بما علمتِ فإنني مُثنٍ عليكِ لبئس حَشوُ المِنطَقِ

فقالت :

أَثني عليكَ بأنّ باعَكَ ضيّقٌ وبأن أصلك في جُذامٍ مُلصَقُ

فقال رَوح :

أَثني عليَّ بما عَلِمتِ فإنني مُثنٍ عليكِ بمثل ريح الجورَبِ

فقالت :

فثناؤنا شرُّ الثَّناء[1] عليكمُ أسوَا وأنتَنُ من سُلاح الثَّعلَبِ

وقالت:

وهل أَنا إلا مُهرةٌ عربيةٌ سَليلةُ أفراس تجلَّلها بَغلُ
فإن نُتِجتْ مُهراً كريماً فبالحرَى وإن يك إقرافٌ فما أَنجب الفحل

فقال رَوح :

فما بالُ مُهرٍ رائعٍ عَرَضتْ له أَتانٌ فبالتْ عند جَحفَلة[2] البغلِ
إذا هو وَلّى جانباً رَبِخَتْ[3] له كما ربخت قَمراء[4] في دَمسٍ سهل

---

(١) الثناء : ما تصف به الانسان من مدح او ذم .

(٢) الجحفلة : لذي الحافر كالشفة للانسان .

(٣) ربخت : استرخت .

(٤) القمراء : البيضاء .

وقالت عَمرة لأخيها أبان بن النُّعمان :

أطال اللهُ شأوَكَ من غُلامٍ متى كانت مَناكِحَنا جُذامُ
أترضى بالأكارع والذَّنابى وقد كنَّا يَقِرُّ بنا السَّنام

وقال ابن عمٍّ لرَوح :

رَضِي الأشياخ بالفِطْيَوْنِ خِلا وترغَب للحماقة عن جُذامِ
يهوديٌّ له بُضعُ العَذارَى فقبحاً للكهول وللغلام
تُرَفُّ اليه قبل الزوج خَوْدٌ كأنْ شمساً تدلَّتْ من غَمام
فأبقى ذلكم عاراً وخِزْياً بقاءَ الوَحيِ في صَمِّ السِّلام
يهودٌ جُمِّعوا من كلِّ أوبٍ وليسوا بالغَطاريفِ الكرام

وقالت :

سُمِّيتَ رَوحاً وأنت الغمُّ قد عَلِموا لا روَّح اللهُ عن رَوح بن زِنباعِ

فقال رَوح :

لا روَّح الله عَمَّن ليس يمنعنا مالٌ رَغيبٌ وبعلٌ غير مِمناعِ
كشافعِ جَونةٍ نُجْلٍ مَخاصِرُها دَبَّابةٍ شَثْنةِ الكَفَّينِ جُبَّاعِ

قال : والجُبَّاع : القصيرة . والجُبَّاع من السهام : الذي لا نصل له . والجُبَّاع : الرَّصفُ . وقالت :

تُكَحِّل عينيكَ بَرْدَ العَشِيِّ كأنَّكَ مُومِسَةٌ زانيهْ
وآيةُ ذلك بعد الخُفُوقِ تَغَلْغُلُ رأسِك بالغاليه
وأنَّ بَنيكَ لرَيبِ الزما ن أمستْ رقابهمُ حاليه
فلو كان أوسٌ لهم حاضراً لقال لهم إنَّ ذا ماليه

وأوس رجل جُذام يقال : إنه استودع رَوحاً مالًا فلم يردّه عليه . فقالها رَوح :

إن يكن الخُلعُ من بالكم فليس الخلاعةُ من باليهْ
وإن كان مَن قد مضى مثلكم فأُفٍّ وتُفٍّ على الماضيه
وما إن بَرَا اللهُ فاستيقنيه من ذات بعلٍ ومن جاريه
شبيهاً بكِ اليومَ فيمن بَقِي ولا كان في الأعصُر الخاليه
فبُعداً لمحياكِ إذ ما حَيِيتِ وبُعداً لأعظُمِك الباليه

وقال رَوح في بعض ما يتنازعانِ فيه : اللّهمّ إن بَقِيتْ بعدي فأبتلِها ببعلٍ يلطِم وجهَها ويملأ حِجرَها قيئاً . فتزوّجها بعده الفَيض بن محمد بن الحَكَم بن أبي عَقيل وكان شاباً جميلًا يُصيب من الشَّراب فأحبَّتْه . فكان ربّما أصاب من الشَّراب مُسكِراً فيلطِم وجهها ويقيء في حِجرها ؛ فتقول : يرحم الله أبا زُرعَة ! قد أُجيبتْ دعوتُه فيّ . وقالت لفَيض :

سُمّيتَ فيضاً وما شيءٌ تَفيضُ به إلّا سُلاحَكَ بين الباب والدار
فتلك دعوةُ رَوحِ الخيرِ أعرفُها سقى الإلٰه صداه الأوطفَ السّاري

وقالت لفَيض أيضاً :

أَلا يا فَيضُ كنتُ أراكَ فَيضاً فلا فَيضاً أصبتُ ولا فُراتا

وقالت :

وليس فيضٌ بفَيّاضِ العطاء لنا لكنّ فيضاً لنا بالقَيْءِ فَيّاضُ
ليثُ اللُّيوثِ علينا باسلٌ شَرِسٌ وفي الحروب هَيُوبُ الصدرِ جَيّاضُ[1]

(١) الجياض : الرواغ .

فولدتْ من الفَيض ابنة فتزوّجها الحجّاج بن يوسف؛ وقد كانت قبلها عند الحجّاج أمُّ أبانٍ بنتُ النُّعمان بن بَشير. فقالت حُميدة للحجّاج:

إذا تذكّرتُ نكاحَ الحجّاجْ ... من النّهار أو من اللّيل الدّاجْ
فاضتْ له العينُ بدمع ثَجّاجْ ... وأُشعِل القلبُ بوَجْدٍ وهّاج
لو كان نُعمانُ قتيلُ الأعلاجْ ... مُستوِيَ الشخصِ صحيحَ الأوداج
لكنتَ منها بمكان النسّاج ... قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرّاج

أن تَنكِحيه مَلِكاً أو ذا تاج

فقدِمت حُميدة على ابنتها زائرةً. فقال لها الحجّاج: يا حُميدة، إنّي كنتُ أحتمل مُزاحَكِ مرّةً وأما اليوم فإني بالعراق وهم قومُ سَوءٍ فإياكِ! فقالت: سأكُفُّ حتى أرحل.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثنا المدائني عن مَسلَمةَ بن مُحارِب قال:

قالت حُميدة بنت النُّعمان لزوجها رَوح بن زِنباع، وكان أسودَ ضخماً: كيف تَسود وفيك ثلاثُ خصال: أنت من جُذام، وأنت جَبانٌ، وأنت غَيور. فقال: أما جُذام فأنا في أرومتها، وبحسْبِ الرجلِ أن يكون في أَرُومة قومه. وأما الجُبن فإنما لي نفسٌ واحدة، ولو كان لي نفسان جُدتُ بإحداهما. وأما الغَيرة فهو أمر لا أُحِبّ أن أُشارَكَ فيه، وإن المرء لحقيقٌ بالغيرة على المرأة مثلِكِ الحمقاء الوَرهاء لا يأمَنُ أن تأتيَ بولد من غيره فتقذِفه في حِجره. ثم ذكر باقيَ خبرها مثلَ ما تقدّم، وقال فيه: فخلَف بعده عليها الفَيضُ بن محمد عمُّ يوسف بن عمر، فكان يشرب ويلطِمها ويقيء في حِجرها؛ فقالت:

سُمِّيتَ فَيضاً وما شيءٌ تَفيض به ... إلا سُلاحَكَ بين الباب والدار

قال المدائنيّ : وتمثّل فيضٌ يوماً بهذا البيت :

إن كنتِ ساقيةً يوماً على كَرَمٍ صفوَ المُدامةِ فاسقِيها بني قَطَنِ

ثم تحرّك فضرط . فقالت : واسقِ هذه أيضاً بني قَطَن !

وهذا الصوت أعني :

أقوى من آلِ ظُليمةَ الحَزمُ

هو الصوت الذي أشخَص الواثقُ له أبا عثمان المازنيّ بسبب بيت منه اختُلف في إعرابه بحضرته، وهو قوله :

أظُلَيمُ إنّ مُصابَكم رجلًا أهدى السلامَ تحيَّةً ظُلمُ

وقال آخرون : « رجلٌ » . حدثني بذلك عليُّ بن سليمان الأخفش عن أبي العباس محمد بن يزيد عن أبي عثمان، وأخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا القاسم بن إسماعيل وعَونُ بن محمد وعبدُ الواحد بن العبّاس بن عبد الواحد والطيّبُ بن محمد الباهِليّ، يزيد بعضُهم على بعض، قالوا حدثنا أبو عثمان المازنيّ قال :

كان سبب طلب الواثق لي أنّ مُخارِقاً غنى في مجلسه :

أظُلَيمُ إنّ مُصابَكم رجلًا أهدى السلامَ تحيَّةً ظلمُ

فغنّاه مخارق « رجلٌ »، فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون . فسأل الواثقُ عمّن بقي من رؤساء النحويين فذكِرت له، فأمر بحَملي . فلما وصلتُ اليه قال : ممن الرجلُ ؟ قلت : من بني مازِن . قال : أمن مازِن تَميم أم مازِن قَيس أم مازِن رَبيعة أم مازِن اليمن ؟ قلتُ : من مازن ربيعة . فقال لي بَا اسمُك ؟ (يريد ما اسمُك وهي

لغة كثيرة في قومنا) فقلت على القياس : مَكرٌ (أي بكر) . فضحِك فقال : اجلِس واطبَـئنّ (يريد : واطمئنّ) فجلست . فسألني عن البيت . فقلت : « إن مصابكم رجلًا » فقال : أين خبرُ « إن » ؟ قلت : « ظلم » وهو الحـرف الذي في آخر البيت . وقال الأخفش في خبره : وقلتُ له : إن معنى « مصابِكم » إصابتُكم، مثل ما تقول : إنّ قتلكم رجلًا حيًّا كم ظلمٌ . ثم قلت : يا أمـير المؤمنين، إن البيت كله معلّق لا معنى له حتى يتمّ بقوله « ظلم » . ألا ترى أنه لو قال : أُظلَيم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلام تحيةً، لَمَا احتيجَ الى « ظلم » ولا كان له معنًى، إلا أن يجعل التحيةَ بالسلام ظلماً، وذلك محال، ويجب حينئذٍ أن يقول :

أَظُليمُ إن مُصابَكم رجـلٌ أهدى السلامَ تحيَّـةً ظُلما

ولا معنى لذلك، ولا هو، لو كان له وجهٌ، معنى قولِ الشاعر في شعره . فقـال : صدقتَ، ألـك ولدٌ ؟ قلت : بُنيَّةٌ لا غيرُ . قال : فما قالت حين ودَّعتها ؟ قال قلتُ : أنشدتْ شعرَ الأعشى :

تقول ابنتي حين جَدَّ الرَّحيلُ أَرانا سواءً ومَن قـد يَتِمْ
أبانا فـلا رِمتَ من عندِنا فإنَّا بخـيرٍ إذا لم تَرِم
أَرانا إذا أضمرْتـك البلا دُ نُجفى وتُقطَع منَّا الرَّحِم

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قلتُ لها قولَ جرير :

ثِقي بالله ليس له شريـكٌ ومن عندِ الخليفةِ بالنجاحِ

فقال : ثِقْ بالنجاح إن شاء الله تعالى . إنّ هاهنا قوماً يختلفون الى أولادنا فامتحِنهم . فمَن كان منهم عالماً يُنتفَع به ألزمناهم إياه، ومَن كان بغير هـذه الصورة قطعناه عنهم . فأمر فجمعوا إليّ فامتحنتُهم فما وجدت فيهم طائلًا ؛ وحَذِروا ناحيتي، فقلت : لا بأسَ على أحد . فلمَّا رجعتُ اليه قال : كيف رأيتَهم ؟ قلت : يفضُل

بعضهم بعضاً في علوم، ويفضل الباقون في غيرها، وكلٌّ يُحتاج اليه. فقال لي الواثق: إني خاطبتُ منهم واحداً فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثر من تقدَّم منهم بهذه الصفة؛ ولقد أنشدتُ فيهم:

إنّ المعلِّمَ لا يزال مُضعَّفاً ولو ابتنى فوق السماء بناءَ
من علَّم الصبيانَ أضنَوا عقلَه مما يلاقي غُدوةً ومساء

مضى الحديث.

ومنها:

صوت

يومَ تُبدي لنا قُتيلةُ عن جيـــدٍ أَسيلٍ تَزينُه الأطواقُ
وشَتيتٍ كالأقحُوانِ جَلاه الطلُّ فيه عُذوبةٌ واتِّساق

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد. وذكر إسحاق أن لحنه خفيفُ ثقيلٍ من أصواتٍ قليلاتِ الأشباه، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحنه من الثقيل الاول بالبنصر. ولإسحاق لحنٌ من الثقيل ايضاً وهو مما عارَض فيه معبداً فانتصف منه، ومن أوائل أغانيه وصدورها.

اخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق قال ذَكر الحسن بن عُتبة اللّهبيّ المعروف بفَورَكٍ قال:

قال لي الوليد بن يزيد: أريد الحجّ، فما يمنعني منه إلا أن يلقاني أهل المدينة بقُتَيلات معبد وبقَصره ونَخله فأفتضحَ به طرباً. يعني ثلاثةَ أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قُتيلة هذه، ونسبتُها تأتي بعد. ويعني بقصره ونخله لحنَه:

القصرُ فالنخلُ فالحمّاء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق وحدثني عبد الملك بن هِلال : وبلغني أن فِتيةً من قريش دخلوا الى قَينةٍ ومعهم رَوح بن حاتم المُهلَّبيّ، فتماروا فيما يختارونه من الغناء . فقالت لهم : أغنّي لكم صوتاً يُزيل الاختلاف ويُوقِع بينكم الاجتماع، فرَضُوا بها . فغنَّت :

يومَ تُبدِي لنا قُتيلةُ عن جِيـــدٍ أَسيلٍ تَزِينُه الأطواقُ

فرَضُوا به واتَّفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه ، وأقاموا عندهـا أسبوعاً لا يسمعون غيرَه .

نسبة أصوات معبد في قُتَيلة

منها :

أثوى وقَصَّر ليلَـه ليُزَوَّدا فمضى وأُخلِف من قُتَيلة مَوعِدَا
يَجحَدنَ دَيني بالنَّهار وأقتضي دَيني اذا وقَذ[1] النُّعاسُ الرُّقَّدا
وأرى الغوانيَ لا يُواصِلنَ امرأً فقَد الشبابَ وقد يَصِلنَ الأمردا

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ اول بالوسطى .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا أبو شُراعة في مجلس الرّياشيّ قال :

حُدِّثت أنّ رجلًا نظر الى الأعشى يَدُور بـين البيوت ليلًا؛ فقال له : يا أبا بَصير، الى أين في هذا الوقت ؟ فقال :

يجحدن دَيني بالنهار وأقتضي دَيني إذا وقَذ النُّعاسُ الرُّقَّدا

(١) وقذه النعاس : غلبه .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدثني إسحاق الموصليّ قال حدثني أبي قال :

غنَّيتُ بين يَدَي الرشيد وسِتارُته منصوبة :

وأرى الغوانيَ لا يُواصلن أمراً فقَد الشبابَ وقد يَصِلنَ الأمردا

فطرِب واستعاده وأمر لي بمال . فلما أردتُ أن أنصرف قال لي : يا عاضَّ كذا وكذا ! أتغنّي بهذا الصوت وجواريّ من وراء ستارةٍ يسمعنَه ! لولا حُرمتُك لضربت عنقك ! فتركته والله حتى أُنسيته .

ومنها :

صوت

أَلَمَّ خيالٌ من قُتَيلةَ بعد ما وهى حبلُها من حبلنا فتَصرَّماَ
فبِتُّ كأنّي شاربٌ بعد هَجعةٍ سُخاميَّةً حمراءَ تُحسَبُ عَندَ ما

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ اول بالبِنصر عن عمرو . وفيه لابن مُحرِز ثاني ثقيلٍ بالوسطى عنه وعن ابن المكيّ .

فأما السبعة التي جُعلت لابن سُرَيج بازاء سبعة مَعبد فإني قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن، قال حدثني الحسين بن أحمد الأكثميّ عن أبيه قال :

ذكرنا عند إسحاق يوماً أصواتَ معبد السبعةَ فقال : والله ما سبعةُ ابن سُرَيج بدونهنّ . فقلنا له : وأيُّ سبعة ؟ فقال : إن مُغنّي المكّيين لمَّا سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتْهم لذلك غَيرة، فاجتمعوا فاختاروا من غِناء ابن سُرَيج سبعةً فجعلوها

بازاء سبعة معبد، ثم خايروا أهلَ المدينة فانتصفوا منهم . فسألوا إسحاقَ عن السبعة السُّريجيَّة؛ فقال : منها :

تشكَّى الكُمَيتُ الجريَ لما جَهَدتُه

وقد مضت نسبتُه في الثلاثة الأصوات المختارة .

و لقد حَبَّبتْ نُعْمٌ الينا بوجهها
و قَرَّب جِيرانُنـا جِمالَهمُ
و أَرِقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّقُ

— وقد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مُدُن معبد —

و بَينا كذاك إذا عَجاجةُ مَوكِبٍ
و فلم أَرَ كالتَّجمير منظَر ناظرٍ

— وقد مضى في الأرمال المختارة —

و تَضوَّع مِسكاً بطنُ نَعمانَ إذ مشتْ

— وقد ذُكر في المائة مع غيره في شعر النُّمَيريّ —

و إن جاء فلْيَأتِ عـلى بغلةٍ

نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدِّماً

فمنها :

صوت

لقد حَبَّبتْ نُعْمٌ الينا بوجهِها مساكنَ ما بين الوَتائرِ[1] فالنَّقْعِ
ومن أَجلِ ذاتِ الخالِ أَعملتُ ناقتي أُكلِّفها سَيرَ الكَلالِ مع الظَّلْعِ

عروضه من الطويل . والشعر لعمرَ بن أَبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالبنصر . وذاتُ الخالِ التي عَناها ها هنا عمر امرأةٌ من ولد أَبي سُفيان بنِ حَرب ، كان عمر يَكني عنها بذلك .

حدثني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدثني أَبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الزُّبيريّ والمُسَيَّبيّ ومحمد بن سَلَّام والمدائنيّ ، وأَخبرنا به الحَرَميّ بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي ولم يتجاوزه :

أَن عمر بن أَبي ربيعة وابنَ أَبي عَتيق كانا جالسين بفناء الكعبة ، إذ مرّت بهما امرأة من آل أَبي سُفيان ، فدعا عمرُ بكَتِفٍ فكتب اليها وكَنى عن اسمها :

صوت

أَلِمَّا بذاتِ الخالِ فاستطلِعا لنا على العهد باقٍ ودُّها أم تَصَرَّما
وقولا لها إنّ النَّوى أجنبيَّةٌ بنا وبكم قد خِفتُ أَن تَتيمَّما

— غَنَّاه ابن سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أَول بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق — قال فقال له ابن أَبي عَتيق : سبحانَ الله ! ما تريد الى امرأةٍ مُسلمة مُحرمةٍ أَن تكتب اليها مثل هذا ! قال : فكيف بما قد سيَّرتُه في الناس من قولي :

---

(١) الوتيرة : ماء بأسفل مكة لخزاعة . والنقع : موضع قرب مكة .

لقد حَبَّبتْ نُعمٌ الينا بوجهها مساكنَ ما بين الوتائر والنَّقْعِ
ومن أَجل ذات الخال أعملتُ ناقتي أُكَلِّفها سيرَ الكَلالِ مع الظَّلْع
ومن أَجل ذات الخال يوم لقِيتُها بمُنْدَفع الأخباب[1] أخضلني دمعي
ومن أَجل ذات الخال آلَفُ متزلًا أُحِلُّ به لا ذا صديقٍ ولا زَرع
ومن أَجل ذات الخال عُدتُ كأنني مُخامِرُ سُقْمٍ داخلٍ أَو أَخو رَبع
أَلِمَّا بذات الخال إن مُقامَها لدى الباب زاد القلب صَدْعاً على صَدْع
وأُخرى لدى البيت العتيق نظرتُها اليها تمشَّتْ في عظامي وفي سمعي

وقال الحرميّ في خبره: أَمَا ترى ما سار لي من الشعر! ما علم اللهُ أَنّي اطّلعتُ حراماً قطّ! ثم انصرفنا. فلما كان من الغدِ التقينا. فقال عمر: أَشعرت أَنّ ذلك الإنسان قد ردّ الجواب؟ قال: وما كان من ردّه؟ قال: كتب:

صوت

أمسى قَريضُك بالهوى نَمَّاما فارْبَعْ هُديتَ وكن له كَتَّاماَ
واعلم بأن الخال حين وصفتَه قعد العدوُّ به عليك وقاما
لا تحسَبنَّ الكاشحين عَدِمتَهم عما يسوءك غافلين نِياما
لا تمكننَّ من الدَّفينة كاشحاً يتلو بها حفظاً عليك إماما

غنّى فيه سُلَيم خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر عن عمرو. قال: وفيه لفريدة وإبراهيم لحنان. وفي بعض النسخ: لإسحاقَ فيه ثقيل أول غير منسوب. وذكر حَبش أَن خفيف الرَّمَل لفريدة.

أَخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال أَخبرنا أَبو أَيُّوب المدينيّ عن محمد بن سَلَّام، قال وأَخبرني حَمَّاد بن إسحاق عن أَبيه عن محمد بن سَلَّام قال:

---

(١) موضع قرب مكة.

سألتُ عمر بن أَبي خليفة العَبْديّ — وكان عابداً وكان يُعجِبه الغناء — أيُّ القوم كان أَحسنَ غناء ؟ قال : ابن سُريج اذ تَمعْبَد — يريد : اذا غنّى في مذهب مَعبد من الثقيل — قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل صوته :

صوت

لقد حَبَّبتْ نُعمٌ الينا بوجهها مساكنَ ما بين الوَتائر فالنَّقْعِ

وقال حمَّاد بن إسحاق حدثني أَبي قال حدثني أَبو محمد العامريّ قال :

جلس مَعبد والأَبجر وجماعةٌ من المغنّين فتذاكروا ٱبنَ سُريج وما ٱشتهاه الناس من غِنائه ، فقالوا : ما هو إلا من غِناء الزُّفَّافِ والمخنَّثين . فنُمِي الحديث الى ٱبن سُريج فغنّى :

لقد حَبَّبتْ نعمٌ الينا بوجهها

فلمَّا جاء مَعبد وأَصحابه وٱجتمعوا غنَّاهم إيَّاه . فلمَّا سمعوه قاموا هاربين ، وجعل ٱبن سُريج يصفِّق خَلفهم ويقول : الى أين ؟ إنما هو ابن ليلته فكيف لو ٱختمر ! قال فقال معبد : دَعُوه مع طرائقه الأَوَلِ ولا تَهيجوه على طرائقكم ، وإلّا لم يَدَع لكم والله خبزاً تأكلونه .

قال الزُّبير في خبره عن عمه : وعَلِق نُعماً هذه فقال فيها شعراً كثيراً . ونحن نذكر هاهنا ما فيه غِناء من ذلك . فمنه قوله :

صوت

خَطَرتْ لذات الخال ذِكْرى بعد ما سلَكَ المَطِيُّ بنا على الأَنصابِ

أنصابِ عَمرةَ والمَطِيُّ كأنّها قِطَعُ القَطا صدَرتْ عن الأجبابِ
فأنهَلّ دمعي في الرّداء صَبابةً فسترتُه بالبُرْدِ عن أصحابي
فرأى سوابقَ دمعةٍ مسكوبةٍ بَكرٌ فقال بكى أبو الخطّاب

عروضه من الكامل. «بكر» الذي ذكره هاهنا عمر هو ابن أبي عَتيق وهو يسمّيه في شعره ببكر وبعَتيق، وإياه يَعني بقوله:

لا تَلُمني عَتيقُ حَسبي الذي بي إنّ بي يا عَتيقُ ما قد كفاني

الغناء في «خطرت لذات الخال» للغريض، ولحنه ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه ثقيلًا أولَ بالبنصر لأبي سَعيد مولى فائد.

وأخبرني الحَرَميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثني عمي:

أن عمر بن أبي ربيعة وافقها وهي تستلم الركنَ، فقرُب منها. فلما رأته تأخّرتْ وبعثتْ اليه جاريتَها. فقالت له: تقول لك ابنةُ عمك: إن هذا مَقامٌ لا بدَّ منه كما ترى، وأنا أعلم أنك ستقول في موقفنا هذا فلا تقولنَّ هُجراً. فأرسَل اليها: لستُ أقول إلّا خيراً. ثم تعرّض لها وهي ترمي الجِمار، فأعرضتْ عنه واستترتْ؛ فقال:

صوت

دِينَ هذا القلبُ من نُعمِ بسَقامٍ ليس كالسُّقْمِ
إن نُعماً أقصدتْ رجلًا آمناً بالخَيفِ إذ تَرمي
اسمعي منّا تَحاوُرَنا واحكُمي رُضِيتُ بالحكم

بشَتيتٍ[1] نبتُه رَتِـلٍ طيّبِ الأنياب والطَّعمِ
يأتِكم منـه بحجَّته فـله العُتْبى ولا أَحمي

عَروضُه من المديد . الغِناء لإسحاقَ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمالك ثقيلٌ أوّل من أصوات قليلاتِ الأشباه عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر عن حَبش . وفيه لابن مِسجَح ثقيلٌ أول بالوسطى عن حبش ايضاً . وذكر الهشاميُّ أنّ هذا الصوت مما يُشَكّ فيه أنه لمعبد او غيره .

قال : وقال فيها أيضاً :

صوت

أَبِيني اليومَ أيْ نُعمُ أوَصْلٌ منكِ أم صُرْمُ
فإن يك صُرْمُ عاتبـةٍ فقـد نَغنَى وهو سَلْم
تَلومكَ في الهوى نُعمُ وليس لهـا به عِلم
صحيـحٌ لو رأى نُعماً لخالط جسمَـه سُقْم

عروضه من الهزَج . غنّاه مالك ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمتيَّمٌ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن إسحاق ، وذكر أنّ فيه أيضاً صنعةً لابن سُرَيج .

ومما يُغنّى فيه مما قاله فيها — وهو من قصيدة طويلة — :

صوت

فقلتُ لجنَّادٍ خُذِ السَّيفَ واشتمِلْ عليه بحزمٍ وانظُر الشمس تَغرُبِ

---

(١) الشتيت : المتفرق . والرتل : بياض الاسنان وحسن تناسقها .

وأسرج لنا الدَّهماءَ واعجَلْ بِمِمْطَري ولا تُعلِمَنْ خَلقاً من الناس مذهبي

عروضه من الطويل . غناه زُرزور غلامُ المارقيّ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرني الحرميُّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمي قال :

قيل لعمر بن أبي ربيعة : ما أَحبُّ شيء أصبتَه اليك ؟ قال : بينا أنا في منزلي ذاتَ ليلة إذ طرَقني رسول مُصعَب بن الزبير بكتابه يقول : إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ مما يُشبِهك ، وقد بعثتُ بها اليك وبدنانيرَ ومسك وطِيب وبغلة . قال : فاذا بثياب من وَشْيِ وخَزّ العراق لم أرَ مثلَها قطّ وأربعمائة دينار ومسكٍ وطِيبٍ كثير وبغلة . فلما أصبحتُ لبِست بعضَ تلك الثياب وتطيَّبت وأحرزت الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لا همَّ لي قد أحرزتُ نفقةَ سنتي ؛ فما أفدتُ فائدة كانت أحبَّ إليَّ منها . وقلت في ذلك :

أَلا أرسلتْ نُعمٌ الينا أنِ ائْتِنا فأحبِبْ بها من مُرسِلٍ مُتغَضِّبِ
فأرسلتُ أن لا أستطيعُ فأرسلتْ تؤكِّد أَيمان الحبيب المؤنِّب
فقلت لجنَّادٍ خُذِ السيفَ واشتمِل عليه بحزمٍ وانظُرِ الشمسَ تَغرُب
وأسرج ليَ الدَّهماء واعجَل بمِمْطَري ولا تُعلِمَنْ خَلقاً من الناس مذهبي
وموعدُك البَطحاء أو بَطنُ يأجِجٍ[1] أو الشِّعبُ بالمَروخ من بطن مُغرِب
فلما التقينا سَلَّمتْ وتبسَّمتْ وقالت مقالَ المُعرِض المُتجَنِّب
أمِنْ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنَميمةٍ مشى بيننا صدَّقتَه لم تُكذِّب
قطعتَ وصالَ الحبلِ منّا ومن يُطِع بذي ودِّه قولَ المحرِّش يُعتِب
فبات وِسادي ثِنْيَ كفٍّ مُخضَّبٍ مُعاوِدَ عَذْبٍ لم يُكدَّرْ بمشرَب
اذا مِلتُ مالتْ كالكَثيب رخيمةٌ مُنعَّمةٌ حُسّانةُ المُتجَلبَب

(١) يأجج : مكان قرب مكة .

أخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال :

بلغ عمرَ بن أبي ربيعة أنّ نُعماً اغتسلتْ في غَدير ؛ فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضَب .

قال الزبير قال عمي : وقال فيها أيضاً :

صوت

طال ليلي وعادني اليومَ سُقْمُ وأصابت مقاتلَ القلب نُعمُ
وأصابتْ مَقاتلي بسهامٍ نافذاتٍ وما تَبَيَّن كلْم
حُرَّةُ الوجه والشمائلِ والجو هر تكليمُها لمن نال غُنْم
هكذا وَصفُ ما بدا لِيَ منها ليس لي بالذي تغيَّب عِلْم
غيرَ أني أرى الثيابَ مِلاءً في يَفاعٍ يَزين ذلك جسم
وحديثٍ بمثله تَنزِل العُصْـــمُ رَخيمٍ يشوب ذلك حِلْم

عروضه من الخفيف . غنّى ابن سُرَيج في الأربعة الأبيات لحناً ذكره إسحاق وأبو أيّوب المَديني في جامع غنائه ولم يجنِّسه ، وذكر حبش أنه خفيفُ رملٍ بالبنصر .

أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحِمّار قال حدثني عمرو بن بانة قال :

كنتُ حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عند إبراهيمَ بنِ المهديّ . فتفاوضنا حديثَ المغنّين ، حتى انتهَوْا الى ان حَكى إسحاقُ قولَ عمر بن أبي خليفة : « اذا تَعبَد ابن سُرَيج كان أحسن الناس غِناء » . فقال إبراهيم لإسحاق : حاشاك يا أبا محمد أن تقول هذا ! فقد رفع الله عِلمك وقَدْرَ ابن سُرَيج عن

مثل هذا القول ، وأغنى ابنَ سُرَيج بنفسه عن أن يقال له تَعبَد ؛ وما كان مَعبد يضع نفسَه هذا الموضعَ ؛ وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول : أصبحتُ اليومَ سُرَيجيًّا . وما قد أنصف أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ معبداً في هذا القول ؛ لأن مَعبداً وإن كان يعظِّم ابنَ سُرَيج ويوفّيه حقَّه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده . وقد مضى في صدر الكتاب خبرُ ابن سُرَيج لمَّا قَدِم المدينةَ مع الغريض ليستمنحا أهلَها ، فسمعاه وهو يصيد الطير يغنّي لحنه :

القَصْرُ فالنخل فالحمّاء بينهما

فرجع ابن سريج وردَّ الغريضَ وقال : لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلامٍ فيهم يصيد الطير ، فكيف بمن داخل الجَوْنة ! .

وأظرفُ من ذلك من أخباره وأدلُّ على تعظيم ابن سُرَيج معبداً ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثني عليّ بن سليمان النَّوْفلي ، قال حدثني أبي قال :

التقى ابن سُرَيج ومعبد ليلةً بعد افتراق طويل وبُعدِ عهد ؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد افتراقهما ؛ فتغنّى هذا وتغنّى هذا ؛ ثم تغنّى ابنُ سُرَيج لحنه في :

أنا الهالكُ المسلوبُ مهجةَ نفسه إذا جاوزَتْ مَرًّا وعُسفانَ[1] عيرُها

فغنّاه مُرسَلًا لا صَيحة فيه . فقال له معبد : أفلا حسَّنتَه بصيحة ! قال : فأين أضعها ؟ قال : في :

(١) يريد مر الظهران وهو موضع على مرحلة من مكة .

غدتْ سافراً والشمسُ قد ذَرَّ قَرْنُها

قال : فصِحْ أنت فيه حتى أسمعَ منك . قال : فصاح فيه معبدٌ الصَّيْحة التي يُغَنّي بها فيه اليوم . فاستعاده ابن سُريج حتى أخذه فغنّى صوته كما رسمه معبدٌ فحسن به جدًّا . وفي هذا دليل يَبِين فيه التحاملُ على معبد في الحكاية .

صوت

غَدَتْ سافِراً والشمسُ قد ذَرَّ قَرْنُها ... فأغشى شُعاعَ الشمس منها سفورُها
وقد علمتْ شمسُ النهار بأنّها ... إذا ما بدتْ يوماً سيذهب نورُها
أنا الهالك المسلوبُ مهجةَ نفسه ... إذا جاوزتْ مَرًّا وعُسفانَ عيرُها
أهاجتك سلمى إذ أَجدّ بُكورُها ... وهَجَّر يوماً للرَّواح بعيرُها

الشعر يقال : إنه لطَريف العنبريّ . والغناء لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى في مجراها عن ابن المَكيّ ، وذكر عمرو أنه لسياط . ولإبراهيمَ في الثالث والأوّل والرابع خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو . وفيه لبَسباسةَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن حَبش . وفيه لابن جامع لحنٌ عن حَبش من رواية أبي أيُّوبَ المَدينيّ .

ومن سبعة ابن سريج

صوت

قَرَّب جيرانُنا جِمالَهمُ ... ليلًا فأَضحوْا معاً قد ارتفعوا
ما كنت أدري بوَشكِ بينهمُ ... حتى رأيتُ الحُداة قد طلَعوا
على مِصَكَّيْنِ من جِمالهمُ ... وعَنتَرِيسَين فيهما شَجَعُ
يا نفسُ صبراً فإنّه سَفَهٌ ... بالحُرِّ أن يستفزَّه الجَزَعُ

الشعر لعمر بن أبي رَبيعة . والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ اول بالوسطى عن عمرو .

وذكر حَبَش أن فيه للغريض ثقيلًا اول بالبِنصر . وذكر ابن أبي حسَّان أن هِبةَ الله بن إبراهيم بن المهديّ حدثه عن أبيه عن ابن جامع قال : عِيبَ على ابن سُرَيج خِفَّة غِنائه، فأخذ أبياتَ عمر بن أبي ربيعة :

قَرَّب جيرانُنا جِمالَهمُ

فغنى فيها في كل إيقاع لحناً . فجميع ما فيها من الألحان له .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال حدثني منصور بن أبي مُزاحِم قال حدثني رِزام أبو قيس مولى خالد بن عبد الله قال :

قال لي إسمعيل بن عبد الله : يا أبا قَيس، أيّ رجل أنت لولا أنك تحب السَّماع ! قلت : أصلحك الله ! أمَا والله لو سمعتَ فلانةَ تُغنّيك :

قَرَّب جيرانُنا جِمالَهمُ ليلًا فأضحَوْا معاً قد ارتفعوا

لَعذَرْتَني . فقال : يا أبا قيس، لا عاتبتُك بعد هذا أبداً .

ومنها :

صوت

بَينا كذلك إذ عَجاجةُ مَوكِبٍ رَفعوا ذَميلَ العِيسِ في الصحراءِ
قالت أبو الخطَّاب أعرِف زِيَّه ولباسَه لا شكَّ غيرَ خَفاء

الشعر لابن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ اول بالبنصر، وذكر الهِشاميّ وأبو العُبَيس أنه لمعبد؛ وليس الأمر كما ذكرا .

ومنها :

صوت

وهو الذي اوّله :

إن جاء فَليأْتِ على بغلةٍ

سَلمى عِديهِ سَرحَتَيْ مالكٍ أَو الرُّبا دونَهما مَنزِلا
إن جاء فليأْتِ على بغلةٍ إِني أخاف المُهرَ أن يَصهِلا

الشعر لعمر بن أَبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج من رواية يحيى بن المكيّ والهِشاميّ ثقيلٌ اول بالبنصر، وذكر يونس أنه للغريض، وذكره إسحاق في أغاني الغريض ولم يجنّسه .

اغاني الخلفاء واولادهم واولاد اولادهم

قال مؤلف هذا الكتاب : المنسوبُ الى الخلفاء من الأغاني والمُلصَقُ بهم منها لا أصلَ لجُلِّه ولا حقيقةَ لأكثره، لاسيما ما حكاه ابن خُرداذَبَة فإنه بدأ بعُمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنى في هذا البيت :

كأنّ راكبها غصنٌ بمَروَحةٍ

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدّ منه ولا مَعدِل عنه ، يخبِط خَبْطَ العَشواء ويجمع جمع حاطب الليل . فأمّا عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يُروى عن كل أحد لبعُد عنه؛ وإنما رُوِي أنه تمثّل بهذا البيت وقد ركب ناقةً فاستوطأها، لا أنه غنى به، ولا كان الغناء العربيُّ ايضاً عُرف في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النَّصب[1] والحُداء، وذلك جارٍ مَجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت . والذي صَحّ من ذلك عن رُواة هذا الشأن فأنا ذاكرٌ منه ما كان متقَن الصَّنعة لا حقاً بجيّد الغناء قريباً من صنعة الأوائل وسالكاً مذاهبهم لا ما كان ضعيفاً سخيفاً، وجامعٌ منه ما اتصل به خبرٌ له يُستحسَن ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمّنه .

فأوّل من دُوّنتْ له صنعةٌ منهم عمر بن عبد العزيز؛ فإنه ذُكر عنه أنه صنع في ايام إمارته على الحجاز سبعةَ ألحان يذكر سُعاد فيها كلِّها؛ فبعضُها عرفتُ الشاعر القائلَ له فذكرتُ خبره، وبعضها لم أعرف قائله فأتيتُ به كما وقع إليّ .

---

(١) النصب : غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق .

فإن مرّ بي بعد وقتي هذا أثبتُّه في موضعه وشرحتُ من أخباره ما اتصل بي، وإن لم يقع لي ووقع الى بعض من كتب هذا الكتاب فمن أقلّ الحقوق عليه أن يتكلّف إثباته ولا يستثقل تجشُّم هذا القليل فقد وصل الى فوائد جمّة تجشّمناها له ولنظرائه في هذا الكتاب، فحظِي بها من غير نَصَبٍ ولا كَدْح؛ فإن جمالَ ذلك موفَّر عليه اذا نُسب اليه، وعيبَه عنّا ساقطٌ مع اعتذارنا عنه إن شاء الله .

ومن الناس من يُنكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصَّنعة ويقول : إنها أصواتٌ مُحكَمة العمل لا يقدِر على مثلها الّا مَن طالت دُربته بالصَّنعة وحذِق الغناء ومهَر فيه وتمكَّن منه . ولم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الاوقات ولا حال من الحالات اشتهر بالغناء ولا عُرف به ولا بمعاشرة أهله، ولا جالس من يُنقل ذلك عنه ويؤدّيه؛ وإنما هو شيء يحسّن المغنُّون نسبته اليه . ورُوي من غير وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعته إيّاها، وهو أصح القولين ؛ لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجّة أكثر من هذا الظن والدعوى، ومخالفوهم قد أيّدتهم أخبارٌ رُويت .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال حدثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل بن جامع عن سِياط عن يونس الكاتب عن شُهدة أمّ عاتكة بنت شُهدة عن كَردَم بن معبد عن أبيه :

أنّ عمر بن عبد العزيز طارحه لحنَه في :

أَلِمَّا صاحِبَيّ نَزُرْ سُعادَا

ونسختُ هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدّثني أبو يَعلى زُرقانُ غلامُ أبي الهُذَيل وصاحبُ أحمد بن أبي داود قال حدثني محمد بن يونس قال حدثني هاتفٌ أراه قال أمّ ولد المعتصم قالت حدثتني عُلَيَّة بنت المهديّ قالت حدثتني عاتكة بنت شُهدة عن أمِّها شهدة عن كَردَم قال :

طرح عليّ عمر بن عبد العزيز لحنه :

عَلِقَ القلبُ سُعادا عادتِ القلبَ فعادا
كلَّما عُوتبَ فيها أو نُهِي عنها تمادى
وهو مشغوف بسُعدى قد عصى فيها وزادا

قال كَردَم : وكان عمر أحسنَ خَلقِ الله صوتاً، وكان حسنَ القراءةِ للقرآن .

ونسختُ من كتاب ابن الكَرَنبيّ بخطّه حدثني أحمد بن الفَتح الحجّاجيّ في مجلس حمّاد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال :

رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم وعليه عِمامةٌ ورأيت الشَّجَّةَ في وجهه تدلّ على أنها ضربةُ حافرٍ، فسمعته يقول : قال عمر بن الخطاب : لا تُعلِّموا نساءَكم الخُلعَ[1] . قال حدثني محمد بن الحسين : فأقبلتُ عليه في نومي فقلت له : يا أمير المؤمنين، صوتٌ يزعمُ الناسُ أنك صنعتَه في شعر جرير :

أَلِمَّا صاحبيّ نَزُرْ سُعادا لوَشْكِ فِراقها وذَرا البِعادا
لعمرُك إنّ نفعَ سُعاد عنّي لمصروفٌ ونفعي عن سعادا
الى الفاروقِ ينتسبُ ابنُ ليلى ومروان الذي رفع العِمادا

فتبسَّم عمر ولم يردّ عليّ شيئاً .

نسبة هذين الصوتين

صوت

أَلِمَّا صاحبيّ نَزُرْ سُعادا لوَشْكِ فِراقها وذَرا البِعادا

(١) الخلع : تطليق المرأة ببذل منها للزوج .

لعمرُك إنّ نفـعَ سعاد عنّي لمصروفٌ ونفعي عن سعادا
الى الفاروقِ يَنتسبُ ٱبنُ ليلى ومروان الذي رفع العِمادا

الشعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان . والغناء لعمر بن عبـد العزيز ثقيلٌ اول مطلَق في مجرى البِنصر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب الى معبد .

صوت

عَلِق القلبُ سُعـادا عادتِ القلبَ فعادا
كُلَّما عُوتِب فيهـا أَو نُهِي عنها تَمادى
وهو مشغوفٌ بسُعدى قد عصى فيهـا وزادا

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيفُ ثقيلٍ . وفيه ثاني ثقيلٍ يُنسب الى الهُذَليّ .

ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره

هو أشج بني مروان :

عمرُ بن عبد العزيز بن مَروان بن الحكَم بن أَبي العاصي بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مَناف . ويُكنى أَبا حَفص . وأُمّه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان يقال له أَشجُّ قريشٍ؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافرٍ . فذكر يحيى بن سعيد الأمويّ عن أَبيه أَن عبد الملك بن مروان كان يُؤثِر عمر بن عبد العزيز ويَرِقُّ عليه ويُدنِيه، وإذا دخل عليه رفَعه فوق ولده جميعاً إلا الوليد . فعاتبه بعض بنيه على ذلك، فقال له : أَوَ ما تعلم لِمَ فعلتُ ذلك ؟ قال لا . قال : إن هذا سيَلي الخلافةَ يوماً وهو أَشجُّ بني مَروان الذي يملأُ الأرض عدلًا بعد أَن تُملأُ جَوْراً، فما لي لا أحبُّه وأدنيه !

أَخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا الرِّياشيّ قال حدثنا سالم بن عَجلان قال :

خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرَحته بغلة على جبينه . فبلغ الخبرُ أُمَّه أمَّ عاصم، فخرجتْ في خَدَمِها، وأقبل عبد العزيز بن مروان اليها فقالت : أمّا الكبير فيُخدَم، وأمّا الصغير فيُكرَم، وأما الوسط فيَضيع ! لِمَ لا تتخذ لأَبني حاضِناً حتى أصابه ما ترى ! فجعل عبدُ العزيز يمسح الدَّمَ عن وجهه، ثم نظر اليها وقال لها : ويحكِ ؟ إن كان أَشجَّ بني مَروان، أو أشجَّ بني أُميَّة، إنه لسعيد !

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن أَحمد المُقدَّميّ قال حدثنا عُبيد الله ابن سعد الزُّهريّ قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضَمرة قال سمعت ثَروانَ مولى عمر بنِ عبد العزيز قال :

دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبلَ أبيه، فضربه فرس على وجهه، فأُتِيَ به أبوه يُحمَل. فجعل أبوه يمسح الدمَ عن وجهه ويقول: لئن كنتَ أَشجَّ بني أمية إنك لسعيد.

حدثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا سليمان بن أَبي شيخ قال حدثنا مُصعَب الزبيريّ قال:

كانت بنتٌ لعُبيد الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نُعيم النحّام فماتت، فأخذ عاصمُ بن عمر بيده فأدخله منزلَه، وأخرج اليه ابنتيه حَفصةَ وأُمَّ عاصم، فقال له: اختَرْ، فاختار حفصة فزوّجها إياه. فقيل له: تركتَ أُمَّ عاصم وهي أجملُهما! فقال: رأيت جاريةً رائعة، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت: علّهم أن يُصيبوا من دنياهم. فتزوّجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له أَبا بكر وعمر وكانت عنده. وقُتل إبراهيم بن نُعَيم يوم الحَرّة. وماتت أمُّ عاصم عند عبد العزيز بن مروان؛ فتزوّج أختها حَفصةَ بعدها، فحُملت اليه بمصر؛ فمرّت بأيلة[1] وبها مخنَّث او معتوه وقد كان أهدى لأُمِّ عاصم حين مرّت به فأثابتْه. فلمّا مرّت به حفصةُ أَهدى لها فلم تُثِبه. فقال: «ليست حَفصةُ من رجال أُمّ عاصم» فذهبتْ مثلًا.

أخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدثنا أَبو بكر الرَّماديّ وسليمان بن أَبي شيخ قالا حدثنا أَبو صالح كاتبُ الليث قال حدثني الليث قال:

لمّا وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز، بدأ بلُحمته[2] وأهلِ بيته، فأخذ ما كان في أيديهم

---

(١) أيلة: هي المعروفة الآن باسم «العقبة» وهي التي تقع على نهاية الساحل الشرقي لخليج العقبة.

(٢) لحمته: قرابته.

وسمّى أعمالهم المظالم . ففزِعتْ بنو أُميَّـة الى فاطمة بنت مَروان عمّته . فأرسلت اليه : إنه قد عناني أمرٌ لا بدّ من لقائك فيه . فأتته ليلًا فأنزلها عن دابّتها . فلمّا أخذت مجلسها قال : يا عمّةِ ، أنتِ أولى بالكلام لأنّ الحاجة لـكِ فتكلّمي . قالت : تكلّم يا أمير المؤمنين . فقال : إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمةً ، لم يبعثه عذاباً ، الى الناس كافّة ، ثم اختار له ما عنده فقبَضه اليه ، وترك لهم نهراً شِرْبُهم فيه سواء . ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله . ثم وَلِيَ عمرُ فعمِل على عمل صاحبه . فلمّا وليَ عثمانُ اشتقّ من ذلك النهر نهراً . ثم وليَ معاويةُ فشقّ منه الأنهار . ثم لم يزل ذلك النهر يَشُقُّ منه يزيدُ ومروانُ وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمرُ إليّ ، وقد يبِس النهر الأعظم ولن يَروى أصحابُ النهر حتى يعود اليهم النهرُ الأعظم الى ما كان عليه . فقالت له : قد أردتُ كلامَك ومُذاكرَتك . فأما إذ كانت هذه مقالتَك فلستُ بذاكرةٍ لك شيئاً أبداً . ورجعت اليهم فأبلغتْهم كلامَه .

وقال سليمان بن أبي شيخ في خبره : فلمّا رجعتْ الى بني أُمية قالت لهم : ذوقوا مغبّة أمرِكم في تزويجكم آلَ عمر بنِ الخطاب .

أخبرني محمد بن خلَف وكيع قال أخبرني عبد الله بن دِينار مولى بني نصر بن مُعاوية قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيميّ قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سُهيل عن حمّاد الراوية ، وأخبرني محمد بن حسين الكِندي خطيبُ القادسيَّة قال حدثنا الرّياشيّ قال حدثنا شيبان بن مالك قال حدثنا عبد الله بن إسماعيل الجحدريّ عن حمّاد الراوية ، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرّياشي ، قال :

دخلتُ المدينةَ ألتمس العلم ، فكان اول مَن لقيتُ كثيِّر عَزَّة . فقلت : يا أبا صَخر ، ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الأحوص ونُصَيب . قلت : وما هو ؟ قال : هما أحقّ بإخبارك . فقلت له : إنّا لم نَحُثّ المَطيّ نحوكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ ، وقلّ مَن يفعل ذلك ، فأخبِرني عما سألتُك

ليكون ما تُخبرني به حديثاً آخُذه عنك . فقال : إنه لمَّا كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان، قَدِمتُ أنا ونُصَيب والأحوصُ وكلُّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان اولُ من لقِينا مَسلمةَ بن عبد الملك وهو يومئذٍ فتى العرب، وكلُّ واحدٍ منَّا ينظر في عِطفَيه لا يشكّ أنه شريك الخليفة في الخلافة، فأحسنَ ضيافتَنا وأكرم مَثوانا، ثم قال : أمَا علمتم أن إمامكم لا يُعطي الشعراءَ شيئاً ؟ قلنا : قد جئنا الآن، فوجِّه لنا في هذا الأمر وَجهاً . فقال : إن كان ذو دِينٍ من آل مروان قد وليَ الخلافة فقد بقِي من ذوي دنياهم من يقضي حوائجَكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل . فأقمنا على بابه أربعةَ أشهرٍ لا نصلُ اليه، وجعل مَسلمةُ يستأذن لنا فلا يُؤذَن . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظتُ من كلام عمرَ شيئاً ! فأتيت المسجد فأنا اول مَن حفظ كلامه، سمعته يقول في خطبة له : لكل سَفَرٍ زادٌ لا محالة، فتزوّدوا من الدنيا الى الآخرة التَّقوى، وكونوا كمن عاين ما أعدَّ الله له من ثوابه وعقابه، فعمِل طلباً لهذا وخوفاً من هذا . ولا يَطولَنّ عليكم الأمَدُ فتَقسُوَ قلوبكم، وتنقادوا لعدوّكم . واعلموا أنه إنما يطمئنّ بالدنيا من وَثِقَ بالنَّجاة من عذاب الله في الآخرة . فأما مَن لا يُداوي جُرحاً إلا أصابه جُرحٌ من ناحيةٍ أخرى، فكيف يطمئنّ بالدنيا ! أعوذ بالله أن آمُرَكم بما أنهى نفسي عنه فتَخسَرَ صَفقتي، وتبدو عَيلتي، وتظهر مَسكَنتي يومَ لا يَنفع فيه إلا الحقُّ والصدق . فارتَجَّ المسجدُ بالبكاء، وبكى عمر حتى بُلَّ ثوبُه، حتى ظننَّا أنه قاضٍ نَحبَه . فبلغتُ الى صاحبيَّ فقلت : جَدِدا لعمر من الشعر غير ما أعددناه، فليس الرجلُ بدُنيويّ . ثم إن مَسلمة استأذن لنا يومَ جُمعة بعد ما أُذِن للعامّة . فدخلنا فسلّمنا عليه بالخلافة فردَّ علينا . فقلت له : يا أمير المؤمنين، طال الثَّواء وقَلَّت الفائدة وتحدّثت بجفائك إيَّانا وفودُ العرب . فقال : يا كثيِّر، أمَا سمعتَ الى قول الله عزّ وجلّ في كتابه (إنما الصدَقاتُ للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمُؤلَّفةِ قُلوبُهم وفي الرِّقابِ والغارِمين وفي سبيلِ اللهِ وابنِ السبيلِ فريضةً من اللهِ واللهُ عليمٌ حكيم) أفمِن هؤلاء أنت ؟ فقلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيلٍ ومُنقطَعٌ به . قال : أو لستَ ضيفَ أبي سعيد ؟ قلت بلى . قال : ما أحسَبَ مَن كان ضيفَ

أبي سعيد ابنَ سبيلٍ ولا مُنقطَعاً به . ثم استأذنتُه في الإنشاد، فقال : قل ولا تقل إلّا حقّاً؛ فإن الله سائلك . فقلت :

وَلِيتَ فلم تَشتُم علياً ولم تُخِف ... بَرِيّاً ولم تتبَع مقالة مُجرِمِ
وقلتَ فصدّقتَ الذي قلت بالذي ... فعلتَ، فأضحى راضياً كلُّ مسلم
ألَا إنّما يَكفي الفتى بعد زَيغه ... من الأوَدِ الباقي ثِقافُ المُقوِّم
لقد لبِستْ لُبسَ الهلوكِ ثيابَها[1] ... وأبدت لك الدنيا بكفٍّ ومِعصم
وتُومِضُ أحياناً بعينٍ مَريضةٍ ... وتَبسِمُ عن مثل الجُمانِ المنظَّم
فأعرضتَ عنها مشمئزّاً كأنما ... سَقتْك مَدُوفاً[2] من سِمامٍ وعَلقم
وقد كنتَ من أجبالها في مُمنَّعٍ ... ومن بحرها في مُزبِد الموج مُفعَم
وما زلتَ سبّاقاً الى كلّ غايةٍ ... صعِدتَ بها أعلى البناء المقدَّم
فلما أتاك الملك عَفواً ولم يكن ... لطالبِ دنيا بعده من تكلُّم
تركتَ الذي يَفنى وإن كان مُونِقاً ... وآثرتَ ما يبقى برأيٍ مصمِّم
فأضررتَ بالفاني وشمَّرتَ للذي ... أمامَك في يومٍ من الهولِ مُظلم
وما لك إن كنت الخليفة مانعٌ ... سوى الله من مالٍ رغيبٍ ولا دم
سَما لكَ همٌّ في الفؤاد مؤرِّقٌ ... صَعِدتَ به أعلى المعالي بسُلَّم
فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها ... مُنادٍ ينادي من فصيح وأعجم
يقول : أميرَ المؤمنين ظلمتَني ... بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذِ درهم
ولا بسطِ كفٍّ لامرئٍ ظالمٍ له ... ولا السفكِ منه ظالماً مِلءَ محجم
فلو يستطيع المسلمون تقسَّموا ... لك الشطرَ من أعمارهم غيرَ نُدَّم
فعِشتَ به ما حجَّ لله راكبٌ ... مُغِذٌّ مُطِيفٌ بالمقام وزمزم
فأربِحْ بها من صَفقةٍ لُمبايِع ... وأعظِم بها أعظِم بها ثم أعظِم

---

(١) الهلوك من النساء : الفاجرة المتساقطة على الرجال .

(٢) مدوفاً : مخلوطاً .

فقال لي : يا كثيّر، إن الله سائلك عن كل ما قلت . ثم تقدّم اليه الأحوص فاستأذنه فقال : قل ولا تقل إلا حقاً، فإن الله سائلك . فأنشده :

وما الشعرُ إلّا خطبةٌ من مؤلّفٍ ... بمنطقِ حقٍّ أو بمنطقِ باطلِ
فلا تَقبَلَنْ إلّا الذي وافق الرّضا ... ولا تُرجِعَنّا كالنساء الأرامل
رأيناك لم تَعدِل عن الحقّ يَمنةً ... ولا يَسرةً فعلَ الظَّلومِ الُمجادِلِ
ولكن أخذتَ القَصدَ جهدَك كلَّه ... وتَقفُو مثالَ الصالحين الأوائل
فقلنا ولم نكذِبْ بما قد بدا لنا ... ومَن ذا يَرُدُّ الحقَّ من قول عاذل
ومَن ذا يردُّ السَّهمَ بعد مُروقِه ... على فُوقِه إن عارَ[1] من نَزع نابل
ولولا الذي قد عوَّدْتنا خلائفٌ ... غَطاريفُ كانت كالليوث البواسل
لَمَا وَخَدَتْ شهراً برَحلي جَسرةٌ ... تَفُلُّ مُتونَ البِيدِ بين الرَّواحل
ولكن رجَونا منك مثلَ الذي به ... صُرِفنا قديماً من ذويكَ الأفاضل
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ ... وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائل
وكان مُصيباً صادقاً لا يَعيبه ... سوى أنه يُبنى بناء المنازل
فإنّ لنا قُربى ومَحضَ مَودَّةٍ ... وميراثَ آباءٍ مَشَوْا بالمناصل
فذادُوا عدوَّ السِّلم عن عُقر دارهم ... وأرسَوْا عَمُودَ الدِّين بعد تَمايل
فقبلَك ما أعطى الُهنيدة جِلّةً ... على الشعر كَعباً من سَديسٍ وبازل
رسولُ الإله المصطفى بنُبُوَّةٍ ... عليه سلامٌ بالضُّحى والأصائل
فكلّ الذي عدَّدتُ يَكفِيكَ بعضُه ... ونَيلُك خيرٌ من بحور السوائل

فقال له عمر : يا أحوصُ، إنّ الله سائلُك عن كلّ ما قلت . ثم تقدّم اليه نُصَيب فاستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذَن له وغضِب غضباً شديداً، وأمره باللحاق بدابِق[2]. وأمر لي وللأحوص لكلّ واحد بمائة وخمسين درهماً .

---

(١) السهم العائر : الذي لا يدرى من أين أتى .

(٢) دابق : قرية قرب حلب .

وقال الرّياشيّ في خبره : فقال لنا : ما عندي ما أُعطيكم، فانتظروا حتى يَخرُجَ عطائي فأُواسيَكم منه . فانتظرناه حتى خرج، فأمر لي وللأحوص بثلثمائة درهم، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً . فما رأيت أعظمَ بركةً من الثلاثِ المائةِ التي أعطاني، إبتعتُ بها وَصيفةً فعلّمتُها الغناء فبعتُها بألفِ دينار .

أخبرني عمي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال :

قال دُكَينٌ الراجز : امتدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة ، فأمر لي بخمسَ عشرةَ ناقةً كوائمَ ، فكرهتُ أن أرميَ بهنّ الفجاج ، ولم تَطِبْ نفسي ببيعهنّ . فقدِمتْ علينا رُفقةٌ من مصر ، فسألتُهم الصُّحبةَ ، فقالوا : ذاك اليك ، ونحن نخرج الليلةَ . فأتيتُه فودّعتُه وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لي : يا دُكَينُ ، إن لي نفساً تَوّاقة ، فإن صِرْتُ الى أكثر مما أنا فيه فأتِني ولك الإحسان . قلت : أشهِد لي بذلك . قال : أُشهِدُ اللهَ به . قلت : ومِن خَلقِه ؟ قال : هذين الشيخين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : من أنت أعرفك ؟ قال : سالم بن عبد الله ابن عمر . فقلت له : لقد استسمنت الشاهد . وقلت للآخر : من أنت ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير . فخرجتُ إلى بلدي بهنّ ، فرمى الله في أذنابهنّ بالبركةِ حتى اعتقدتُ[1] منهن الإبلَ والعبيد . فإني لبصحراء فَلْجٍ[2] إذا ناعٍ ينعى سليمان . قلت : فمن القائمُ بعده ؟ قال : عمرُ بن عبد العزيز . فتوجّهتُ نحوَه ، فلقيني جريرٌ منصرفاً من عنده . فقلت : يا أبا حَزْرة ، من أين ؟ فقال : من عند من يُعطي الفقراء ، ويمنع الشعراء . فانطلقتُ فإذا هو في عَرصة دار وقد أحاط الناسُ به ، فلم أخلُص اليه فناديتُ :

---

(١) اعتقد الشيء : اشتراه أو اقتناه .

(٢) فلج : وادٍ بين البصرة وحمى ضرية .

يا عُمَرَ الخيراتِ والمكارمِ وعُمَرَ الدَّسائعِ[1] العظائمِ
إني امرؤٌ من قَطَنِ بن دارِم طلبتُ دَيني من أخي مَكارِم
إذ تَنتَحي والليلُ غيرُ نائم عند أبي يحيى وعند سالم

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، لهذا البدويّ عندي شهادة عليك . فقال : أعرفها ؛ ادنُ يا دكين ، أنا كما ذكرتُ لك ، إن نفسي لم تنل شيئاً قطُّ إلا تاقت لما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسي تَتوق الى الآخرة ، والله ما رَزَأتُ من أموال الناس شيئاً ، ولا عندي إلا ألف درهم ، فخذ نصفَها . قال : فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظمَ بركةً منه . قال : ودكين الذي يقول :

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤم عِرضُه فكلُّ رِداءٍ يَرتديه جميلُ
وإن هو لم يرفَع عن اللؤم نفسَه فليس الى حُسنِ الثَّناء سبيل

أخبرني الحرمي عن الزبير عن هارون بن صالح عن أبيه قال :

كنَّا نعطي الغسَّال الدراهمَ الكثيرةَ حتى يَغسِلَ ثيابَنا في أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطِّيب فيها يعني المِسكَ . قال : ثم رأيت ثيابَه بعد ذلك وقد وَلِيَ الخلافةَ فرأيتُ غيرَ ما كنتُ أعرف .

أخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدثنا الرّياشيّ قال حدثنا الأصمعيّ عن نافع بن أبي نُعَيم قال :

قدِم عبد الله بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال : إنك لا تُغنم أهلَك شيئاً خيراً من نفسك فارجِع ، وأتبعه حوائجه .

---

(١) الدسائع : الشمائل او العطايا .

قال الرّياشي وحدثنا نصر بن عليّ قال حدثنا أبو أحمد محمد بن الزُّبير الأسديّ عن سعيد بن أبان قال :

رأيت عمر بن عبد العزيز آخذاً بسُرَّة عبد الله بن حسن وقال : أذكُرها عندك تَشفَع لي يومَ القيامة .

حدّثني أبو عُبَيد الصَّيرَفيّ قال حدّثنا الفضل بن الحسن المصريّ قال حدثنا عبد الله بن عمر القَواريريّ قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبان القُرَشيّ قال :

دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السِّنّ وله وَفرة[1] ، فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ، ثم أخذ عُكنةً من عُكَنِه فغمزها حتى أَوْجعه وقال له : أذكُرها عندك للشَّفاعة . فلمَّا خرج لامَه أهله وقالوا : فعلتَ هذا بغلام حديث السنّ ! فقال : إن الثِّقةَ حدثني حتى كأنّي أسمعه مِنْ في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما فاطمةُ بَضعةٌ منّي يسرُّني ما يسرُّها » وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيَّة لسرَّها ما فعلتُ بابنها . قالوا : فما معنى غَمزك بطنَه وقولك ما قلتَ ؟ قال : إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلّا وله شفاعة ، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مُورِق قال :

كنت بالشام زمنَ وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز ، وكان يُجناصِرَة[2] وكان يعطي

---

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

(٢) خناصرة : بليدة من أعمال حلب .

الغرباءَ مائتيْ درهم . قال : فجئتُه فأَجدُه متَّكئاً على إزار وكِساء من صوف . فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الحجاز . قال : من أيّهم ؟ قلت : من أهل المدينة . قال : من أيِّهم ؟ قلت : من قريش . قال : من أيّ قريش ؟ قلت : من بني هاشم . قال : من أيّ بني هاشم ؟ قلت : مولى عليّ . قال : مَنْ عليٌّ ؟ فسكتُّ . قال : مَن؟ فقلت : ابنُ أَبي طالب . فجلس وطرَح الكِساء ثم وضع يده على صدره وقال : وأنا والله مَولى عليّ ، ثم قال : أَشهد على عددٍ ممن أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه » . أين مُزاحم[1] ؟ كم تُعطي مثلَه ؟ قال : مائتي درهم . قال : أعطِه خمسين ديناراً لولائه من عليّ . ثم قال : أفي فَرضٍ أنت ؟ قلت لا . قال : وأفرِضْ له ، ثم قال : ألحقْ بلادَك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرَك .

قال أَبو زيد فحدثني عيسى بن عبد الله قال حدثني أَبي عن أَبيه قال قال أَبي :

وُلِد لي غلامٌ يومَ قام عمر بن عبد العزيز ، فغدوتُ عليه فقلت له : وُلِد لي في هذه الليلة غلام . فقال لي : ممن ؟ قلت : من التَّغلبيَّة . قال : فهَبْ لي اسمه . قلت نعم . قال : قد سمَّيتُه اسمي ونحلتُه غُلامي مُورِقاً ، وكان نوبيًّا فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك ؛ فولدُه اليومَ مَوالينا .

أَخبرني محمد بن العبَّاس قال حدثنا عمر قال حدثنا عيسى بن عبد الله قال أَخبرني موسى بن عبد الله بن حسن عن أَبيه قال :

كان عمر بن عبد العزيز يراني إذا كانت لي حاجةٌ أتردَّد إلى بابه . فقال لي :

---

(١) هو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز .

ألم أقلْ لك : إذا كانت لك حاجةٌ فارفع بها إليّ ! فوالله إني لأستحيي من الله أن يراك على بابي .

أخبرني عمي قال حدثني الكُرانيّ قال حدثني العُمَريّ عن العُتبيّ عن أبيه قال :

لمَّا حضرتْ عمرَ بن عبد العزيز الوفاةُ جمع ولدَه حوله ، فلما رآهم استعبر ثم قال : بأبي وأمّي من خلّفتُهم بعدي فقراء ! فقال له مَسلمة بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، فتَعَقَّبْ فعلك وأغنِهم ، فما يمنعك أحدٌ في حياتك ولا يرتجعُه الوالي بعدك . فنظر اليه نظرَ مُغضَب متعجِّب فقال : يا مَسلمة ، منعتُهم إياه في حياتي وأشتي به بعد وفاتي ! إن ولدي بين رجلين : إمَّا مطيعٍ لله فاللهُ مصلحٌ له شأنه ورازقُه ما يَكفيه ، أو عاصٍ له فما كنتُ لأعِينَه على معصيته . يا مَسلمة ، إني حضرتُ أباك لمَّا دُفن فحملتْني عيني عند قبره فرأيته قد أفضى الى أمرٍ من أمر الله راعَني وهالني ، فعاهدتُ الله ألّا أعملَ بمثل عمله إن وَليتُ ؛ وقد اجتهدتُ في ذلك طولَ حياتي ، وأرجو أن أُفضيَ إلى عفوٍ من الله وغُفران . قال مَسلمة : فلمَّا دُفِن حضرتُ دفنه ، فما فُرغ من شأنه حتى حملتْني عيني ، فرأيته فيما يرى النائم وهو في رَوضةٍ خَضراءَ نَضِرة فَيحاء وأنهارٍ مُطَّردَةٍ وعليه ثيابٌ بيضٌ ؛ فأقبل عليّ فقال : يا مَسلمة ، لمثل هذا فليعمَلِ العاملون . هذا أو نحوَه ، فإن الحكاية تزيد او تنقص .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا سليمان بن أبي شَيخ عن يحيى بن سعيد الأمَوي قال :

لمَّا مات عمر بن عبد العزيز وقف مَسلمة عليه بعد أن أدرِج في كفنه فقال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ! فقد أورثتَ صالحينا بك اقتداءً وهُدًى ، وملأتَ

قلوبنا بمواعظك وذكرك خَشيةً وتُقًى ، وأَثَلْتَ لنا بفضلك شرفاً وفخراً ، وأبقيتَ لنا في الصالحين بعدَك ذِكراً .

أَخبرني الحسن قال أَخبرنا الغَلابيُّ عن ابن عائشة عن أَبيه :

أنّ عمر بن عبد العزيز كتب الى الأسارَى بقُسطنطينية : أَمّا بعدُ ، فإنكم تَعُدُّون أَنفسكم أسارَى ولستم أسارَى . معاذَ الله ! أنتم الحُبَساء في سبيل الله . واعلموا أَني لستُ أَقسِم شيئاً بين رعيَّتي إلّا خصَصْتُ أَهلَكم بأوفر ذلك وأَطيبِه . وقد بعثتُ اليكم خمسةَ دنانير ، خمسةَ دنانير . ولولا أَنّي خَشيتُ إن زدتُكم أَن يَحبسه عنكم طاغيةُ الرُّوم لزِدتُكم . وقد بعثتُ اليكم فلانَ بن فلان يُفادي صغيرَكم وكبيرَكم ، ذكرَكم وأُنثاكم ، حُرَّكم ومملوكَكم بما يسأل ، فأَبشِروا ثم أَبشروا .

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عمّار وأَحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثنا عبد الله بن مُسلم قال زعم لنا سليمانُ بن أَرقَم قال :

كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز ، وكان يكاتبه ، فلما أستُخلِف كتب اليه : « من الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز » . فقيل له : ان الرجل قد وَلِيَ وتغيّر . فقال : لو علمتُ أن غير ذلك أحبُّ اليه لاَتّبعتُ محبَّته . ثم كتب : « من الحسن بن أبي الحسن الى عمر بن عبد العزيز . أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تَزل » . قال : فمضيتُ اليه بالكتاب فقدِمت عليه به . فإني عنده أتوقّع الجواب إذ خرج يوماً غير يوم جُمعة حتى صَعِد المنبر واجتمع الناس . فلما كثروا قام فحمِد الله وأَثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم في أَسلاب الماضين ، وسيَرِثُكم الباقون حتى تصيروا الى خير الوارثين . كلَّ يومٍ تجهّزون غادياً الى الله ورائحاً ، وقد حضر أجله ، وطُوي عمله ، وعاين الحساب ، وخلع الأسلاب ، وسكن التراب ، ثم تَدعونه غيرَ مُوَسّد ولا مُمَهَّد .

ثم وضع يديه على وجهه فبكى مَلِيًّا ثم رفعهما فقال : يأيّها الناس ، مَن وصل الينا منكم بحاجته لم نَأْله خيراً ، ومَن عجز فوالله لَوَدِدتُ أنه وآلَ عمر في العجز سواء . قال : ثم نزل . فأرسل إليّ فدخلتُ اليه ؛ فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعدُ ، فإنك لستَ بأوّل مَن كُتِب عليه الموت ، وقد مات . والسلام » .

أخبرني ابن عَمّار قال حدثني سليمان بن أبي شَيخ قال حدثنا أبو مُطَرّف المُغيرة بن مُطَرّف عن شُعَيب بن صَفوان عن أبيه :

أنّ عمر بن عبد العزيز خطب بخناصِرَةَ خطبةً لم يخطُب بعدها ، حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم لم تُخلَقوا عبثاً ولم تُتركوا سُدًى ؛ وإن لكم مَعاداً يتولّى الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسِر من خرج من رحمة الله التي وَسِعت كلّ شيء ، وحُرِم الجنّةَ التي عَرْضها السماوات والأرضُ . وأعلموا أن الأمان غداً لمن حَذِر اللهَ وخافه ، وباع قليلًا بكثير ، ونافداً بباقٍ ، وخوفاً بأمان . ألا تَرَونَ أنكم في أسلاب الهالكين وسيَخلُفها من بعدكم الباقون ، وكذلك حتى تُرَدُّوا الى خير الوارثين . ثم إنكم في كلّ يوم وليلة تشيّعون غادياً الى الله ورائحاً ، قد قضى نَحبَه ، وانقضى أجلُه ، ثم تضعونه في صَدْعٍ من الأرض في بطن لَحْد ، ثم تَدَعونه غير موسّدٍ ولا ممهَّد ، قد خلَع الأسلاب ، وفارق الأحباب ، ووجّه للحساب ، غنيًّا عما ترك ، فقيراً الى ما قدّم . وأيمُ اللهِ إني لأقول لكم هذه المقالةَ ولا أعلم عند أحدٍ منكم أكثر مما عندي ، وأستغفر الله لي ولكم . وما يُبلغنا أحدٌ منكم حاجته يسعها ما عندنا إلا سَدَدنا من حاجته ما قَدَرنا عليه ، ولا أحدٌ يتّسع له ما عندنا إلا وَدِدتُ أنه بُدِئ بي وبلُحمَتي الذين يَلونني حتى يستويَ عيشُنا وعيشُكم . وأيمُ الله لو أردتُ غيرَ هذا من عيش أو غضارة لكان اللسانُ به منّي ناطقاً ذلولًا عالماً بأسبابه ، ولكنه من الله عزّ وجلّ كتابٌ ناطق ، وسُنّةٌ عادلة ، دَلّ فيهما على طاعته

ونهى فيهما عن معصيته . ثم بكى فتلقّى دموعَه بطرَف ردائه ؛ ثم نزل فلم يُرَ على تلك الأعواد بعدُ حتى قبَضه الله اليه . رحمة الله عليه .

اشترى موضع قبره :

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثني أبو سَلمة المَديني عن إبراهيم بن مَيسَرة : أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير .

أخبرني اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثني أبو سَلمة المَديني قال أخبرني ابن مَسلمةَ بنِ عبد الملك قال حدثني أبي مَسلَمة قال :

كنّا عند عمر في اليوم الذي تُوُفّي فيه أنا وفاطمةُ بنت عبد الملك ؛ فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، إنّا نرى أنّا قد منعناك النومَ ، فلو تأخّرنا عنك شيئاً عسى أن تنام ! قال : ما أُبالي لو فعلتما . قال : فتنحّيتُ أنا وهي وبيننا وبينه سِتر . قال : فما نَشِبنا أن سمعناه يقول : حَيِّ الوجوهَ حَيِّ الوجوهَ . فابتدرناه أنا وهي فغمّناه وقد أغمِض ميّتاً ، فاذا هاتفٌ يهتف في البيت لا نراه : (تِلك الدّارُ الآخِرةُ نَجعَلُها للّذين لا يُريدونَ عُلوّاً في الأرضِ ولا فَساداً والعاقبةُ للمتّقين) .

ومن أصوات عمر في سعاد

صوت

أَلا يا دِينَ قلبُـك من سُلَيمى ... كما قد دِينَ قلبُـك من سُعادَا
هما سَبَتَا الفؤادَ وأصبتـاه ... ولم يُدرِك بذلك مـا أرادا
قِفـا نَعرِفْ منازلَ من سُليمى ... دَوارِسَ بين حَومَلَ او عُرادا [1]

(١) عراد : جبل .

ذكرتُ بها الشَّبابَ وآلَ ليلى فلم يَرُدِ الشبابُ بها مَرادا
فإن تَشِبِ الذُّؤابةُ أُمَّ زيدٍ فقد لاقيتُ اياماً شِدادا

عروضه من الوافر . الشعر لأشهبَ بن رُمَيلة فيما ذكر ابن الأعرابي وابو عمرو الشَّيباني . وحكى ابن الأعرابيّ انه سمع بعض بني ضَبَّة يذكر انها لابن ابي رُمَيلة الضَّبّيّ . والغناء لعمر بن عبد العزيز رَمَل بالوسطى عن الهشامي وحبش وغيرِهما . وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية : لخزرَجٍ رَملٌ بالبنصر .

نسب الاشهب بن رميلة واخباره

رُمَيلة أُمُّه، وهي أَمَةٌ لخالد بن مالك بن رِبعيّ بن سلمى بن جَندَل بن نَهشل ابن دارِم بن عمرو بن تَميم. وهو الأشهب بن ثَور بن أَبي حارثة بن عبد الدار ابن جَندل بن نَهشَل بن دارِم في النسَب. قال أَبو عمرو: وولدُها يزعمون أنها كانت سبيَّةً من سَبايا العرب، فولدتْ لثور بن أَبي حارِثة أربعةَ نفر، وهم رَباب، وحَجناء، والأشهَب، وسُوَيد. فكانوا من أشدِّ إخوةٍ في العرب لساناً ويداً، وأمنعِهم جانباً. وكثُرت أموالهم في الإسلام. وكان أبوهم ثَورٌ ابتاع رُمَيلةَ في الجاهلية، وولدتْهم في الجاهلية، فعزُّوا عِزًّا عظيماً، حتى كانوا إذا ورَدوا ماءً من مياه الصَّمّان[1] حظَروا على الناس ما يريدون منه. وكانت لرُمَيلة قَطِيفةٌ حمراء، فكانوا يأخذون الهُدْبَ من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء، أَي قد سبقنا الى هذا، فلا يَرِدُه أحدٌ لعزّهم، فيأخذون من الماء ما يحتاجون اليه ويدَعون ما يستغنُون عنه. فورَدوا في بعض السنين ماءً من مياه الصَّمّان وورد معهم ناسٌ من بني قطَن ابن نَهشل. وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مَناف بن دارم حُلفاءَ. وكانت الأعجازُ حُلفاءَ عليهم، وهم جَندَل وجَروَل وصَخر بنو نهشل. فأورد بعضُهم بعيرَه فأشرعه حوضاً قد حظَروا عليه. وبلَغهم ذلك فغضِبوا منه واجتمعوا وأحلافُهم، واجتمعت الأحلافُ عليهم، فاقتتلوا قتالًا شديداً، فضرب رَبابُ بن رُميلة رأسَ نُسَير بن صُبَيح المعروف بأبي بَدّال، وأُمُّه بنتُ أَبي الحُمام ابن مُراد بن مَخزوم. وقال رباب في ذلك:

---

(١) الصمان: جبل في أرض تميم.

ضربتُه عَشِيَّةَ الهلالِ أوَّلَ يومٍ عُدَّ من شوّالِ
ضرباً على رأس أبي بَدّال ثُمَّتَ ما أُبتُ ولا أُبالي
ألّا يؤوبَ آخرَ اللّيالي

فجمع كلُّ واحد منهما لصاحبه . فقالت بنو قَطَن : يا بني جَرْوَل ويا بني صَخر ويا بني مَناف ، ضرب صاحبكم صاحبنا ضربةً لا ندري أيموتُ منها أم يعيش ، فأَنصِفونا ؛ فأبى القومُ أن يفعلوا ؛ فأقتتلوا يومَهم ذلك الى الليل . وكان أُبَيّ ابن أَشْيَمَ أخو بني جَرْوَل وهو سيِّدهم خرج في حاجة له ، فلقِيه بعض بني قَطَن فأَسره وأتى به أصحابَه . فقال نَهشَل بن حَرّيّ : يا بني قَطَن ، أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً . قالوا : نعم ، فقلْ . فقال : إن هذا لم يشهد شرَّكم ولا حربكم ، ولا يَحِلُّ لكم دمُه ، وإن قومه أحرُّ مَن يقاتلكم وشَوْكتُهم ؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخَلّوا سبيله . قالوا : افعَلْ ما رأيتَ . فأتاه نَهشَل بن حَرّيّ فقال له : يا أبا أَسماء ، إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقِّنا وقاتلوا دونه ، وقد أمكننا اللهُ منك ، وأنت والله أَوفى دماً عندنا من بني رُمَيلة ، فوالله لأقتلنَّكَ أو تُعطيَني ما أسألك . قال : سَلْ . قال : تجعل أَن تصرفَ بني جَرول جميعاً ، فإن لم يطيعوك انصرفتَ ببني أَشيَم ، فإن لم يطيعوك أتيتنا . قال نعم . فخُلِّي سبيله تحت الليل . فأتاهم وهم بحيث يرى بعضهم بعضاً فقال : يا بني جَرول أنصرفوا ؛ أتعترضون على قوم يريدون حقَّهم ! ألا تتَّقون الله ! والله لقد أَسرني القوم ولو أرادوا قتلي لكان فيه وَفاءٌ بحقِّهم ، ولكنَّهم يكرهون حربكم فلا تَبغوا عليهم . فأنصرف منهم أكثرُ من سبعين رجلًا . فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جَرول قالوا : والله إنا لنظلم قومنا إن قاتلناهم ؛ وأنصرفوا ، وتخاذل القومُ . فلما رأى ذلك الأشهبُ بن رُمَيلة قال : وَيلكم ! أفي ضربةٍ من عَصاً لم تصنع شيئاً تسفِكون دماءكم ! والله ما به من بأس ، فأَعطوا قومكم حقَّهم . فقال حَجناء ورَباب : والله لَنَنصرفنَّ فلنلحَقَنَّ بغيركم ولا نُعطي ما بأيدينا . فجعل الأشهبُ ابن رُميلة يقول : وَيلكم ! أتُخرّبون دار قومكم في ضربة عصاً لم تبلُغ شيئاً ! فلم يزل بهم حتى جاءوا برَبابٍ فدفعوه الى بني قَطَن ، وأخذوا منهم أبا بَدّال وهو

المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم ؛ فكتموه ، وأرسلوا الى عَبّاد بن مسعود ، ومالك بن ربعيّ ، ومالك بن عَوف ، والقَعقاع بن مَعبد ، فعرَضوا عليهم الدّية . فقالوا : وما الدّية وصاحبُنا حيّ ! قالوا : فإن صاحبكم ليس بحيّ . فأمسكوا وقالوا : ننظر . ثم جاءوا الى رَباب فقالوا : أَوصِنا بما بدا لك . قال دعوني أُصَلّي . قالوا : صَلِّ . فصلّى ركعتين ثم قال : أَمَا والله إنّي الى ربّي لذو حاجة ، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلا أن تَرَوا أن ذلك فَرَقٌ من الموت ، فليضربني منكم رجلٌ شديد الساعد حديدُ السيف . فدفعوه الى أَبي خُزَيمة بن نُسَير المَكنيّ بأبي بَدّال فضرب عنقه ، فدفنوه ؛ وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عَفّان . فقال الأشهب يرثي أَخاه ويلوم نفسَه في دفعه اليهم لتسكُن الحرب :

أَعينيَّ قَلّتْ عَبرةٌ من أخيكما ... بأن تسهرا ليلَ التِمام وتَجزَعا
وباكيةٍ تَبكي الرَّبابَ وقائلٍ ... جزَى اللهُ خيراً ما أعفَّ وأمنعا
وأَضرَبَ في الهيجا إذا حَمِس الوَغى ... وأَطعَمَ إذ أَمسى المَراضيعُ جُوَّعا
إذا ما اعترضنا من أَخينا أخاهمُ ... رَوينا ولم نَشفِ الغَليلَ فيَنْقَعا
قَرَونا دماً والضَّيفُ منتظرُ القِرى ... ودعوةِ داعٍ قد دعانا فأسمعا
مَرَدنا وكانت هفوةً من حُلومنا ... بثَدْيٍ إلى أولاد ضَمرةَ أَقطعا
وقد لامني قومي ونفسي تَلومُني ... بما قال رأيي في رباب وضَيَّعا
فلو كان قلبي من حديدٍ أذابَه ... ولو كان من صُمِّ الصَّفا لتصدَّعا

مضى الحديث .

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المَكيّ عن أَبيه قال :

لِعمرَ بنِ عبد العزيز في سُعادَ سبعةُ ألحان .

منها :

يا سُعادُ التي سَبَتني فؤادي ورُقادي هَبي لعيني رُقادي

ولحنُه رَمَلٌ مطلَق .

ومنها :

حظُّ عيني من سُعاد أبداً طولُ السُّهاد

ولحنه رَمَلٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر .

ومنها :

سبحان ربّي بَرَا سُعادَا لا تعرف الوصلَ والودادَا

ولحنُه خفيفُ رَمَلٍ .

ومنها :

لعَمري لئن كانت سعادُ هي المُنى وجنَّةَ خُلد لا يُمَلُّ خلودُها

ولحنُه ثقيلٌ أوّل .

ومنها :

أسُعادُ جُودي لا شَقِيتِ سُعادَا وأجزي مُحِبَّكِ رأفةً ووِدادَا

ولحنُه خفيفُ رَمَلٍ .

ومنها :

ألِمَّا صاحبيَّ نَزرْ سُعادَا

ومنها :

أَلا يا دِينَ قلبُكَ من سُلَيمى

وقد ذكرتُ طريقتهما .

وقد رُوي عن عمر بن عبد العزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ ، وحمل عنه أهلُ العلم .

أَخبرنا محمد بن جرير الطَّبَريّ قال حدثنا عِمران بن بَكَّار الكَلاعيّ قال حدثنا خالد بن علي قال حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مبشِّر بن إسماعيل عن بشر ابن عمر بن عبد العزيز عن أَبيه عمر عن جدّه عبد العزيز عن معاوية بن أَبي سُفيان قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَن أحبَّ أن تَمثُل له الرجالُ قِياماً فليتبوَّأْ مقعدَه من النار » .

أَخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ وعمّي قالا حدثنا العنزيُّ قال حدثني وَزير بن محمد أَبو هاشم الغسَّاني قال حدثني محمد بن أيوب بن سعيد السُّكَّري عن عمر بن عبد العزيز عن أُمّه عن أَبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعمَ الإِدامُ الخَلُّ » .

وممن حُكي عنه أنه صنع في شعره غناء يزيد بن عبد الملك : ولم يأت ذلك بروايةٍ عمَّن يحصَّل قوله كما حُكي عمر بن عبد العزيز ، وإنما وُجد في الكتب أنه صنع لحناً في شعره ، وذكره من لا يُوثق به ، ولم نَرْوِه عن أَحد فلم نأت بأخباره هاهنا مشروحةً ، وأتيت بها في أَخباره مع حَبابة بحيث يصلُح . وأما اللحن الذي ذُكر أنه صنعه فهو :

صوت

أبلِغْ حَبابةَ أَسقى رَبعَها المطرُ ما للفؤاد سوى ذِكراكمُ وَطَرُ

إن سار صَحبيَ لم أَملِلْ بذكركم أو عرَّسوا فهمومُ النفسِ والفِكَرُ

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّل يقال إنه ليزيد بن عبد الملك. وذكر ابن المكيّ أنه لحبابة.

وحُكي عن الهيثم بن عَديّ أن يزيد بن عبد الملك لمَّا رأى حَبابة تعلّقها ولم يقدِر على ابتياعها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز، وغنَّاه فيهما مَعبد، فوصله بعد ذلك بما كان يُغنيه، وأخذته حَبابةُ وغيرُها عنه. وذكر الهِشاميّ أنه مما لا يُشَكّ فيه من غناء معبد. وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحَبابةَ في صدر هذا الكتاب فاستُغنيَ عن إعادتها هنا.

وممن غنَّى منهم الوليد بن يزيد

وله أصوات صنَعها مشهورةٌ، وكان يَضرب بالعود ويوقِع بالطبل ويمشي بالدُّفّ على مذهب أهل الحجاز.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن القَطِراني عن محمد بن جَبر قال حدثني مَن سمع خالد صامةَ يقول:

كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنّيه:

أَراني الله يا سلمى حياتي

وهو يشرب حتى سَكِر. ثم قال لي: هات العود، فدفعتُه اليه، فغنَّاه أحسن غناء؛ فنفِستُ عليه إحسانَه، ودعوت بطبل فجعلت أُوقِع عليه وهو يَضرِب حتى دفع العودَ وأخذ الطَّبل فجعل يُوقِع به أحسنَ إيقاع، ثم دعا بدُفٍّ فأخذه ومشى به

وجعل يغني أهزاج طُوَيس حتى قلت قد عاش، ثم جلس وقد أنبهر. فقلت: يا سيّدي، كنت أرى أنك تأخذ عنّا ونحن الآن نحتاج الى الأخذ عنك! فقال: أسكت وَيلك! فوالله لئن سمع هذا منك أحدٌ ما دمتُ حيًّا لأقتلنّك. فوالله ما حكيته عنه حتى قُتل.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرنا أبو أيوب المَدِينيّ قال ذكر أبو الحسن المَدائني أن يحيى مولى العَبَلات المعروف بفيل وهو الذي غنى:

أَزرى بنا أننا شالتْ نَعامتُنا

كان مقيماً بمكة. فلما قدِمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غِناءً وحكايةً لابن سُرَيج؛ فقيل له: فيل. فدعاه وقال له: امشِ لي بالدُّفّ، ففعل. ثم قال له الوليد: هاته حتى أمشيَ به، فإن أخطأتُ فقوّمني. فمشى به أحسن من مِشية فيل. فقال له يحيى: جُعلت فداءك! إيذَن لي حتى أختلف اليك لأتعلّم منك.

فمن مشهور صنعته في شعره:

وَصفراءَ في الكأس كالزعفرانْ سباها التُّجيبيُّ من عَسقَلانْ
تُريكَ القَذاةَ وعَرضُ الإناء سِترٌ لها دون لَمْسِ البَنانْ

لحنه فيه خفيفُ رَمَلٍ. وفيه لأبي كامل ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. ولعمرَ الواديّ فيه ثقيلٌ اول بالوسطى عن يونس والهشاميّ. وقد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة.

غناء الواثق:

وممن دُوِّنت صنعتُه من خلفاء بني العبّاس الواثق بالله

ولم نعلمه حُكي ذلك عن أحد منهم قبله إلّا ما قدّمنا سوء العهدة فيه عن

ابن خُرداذْبة؛ فإنه حكى أن للسفّاح والمنصور وسائرهم غِناء وأتى فيها بأشياء غَثّةٍ لا يحسُن لمحصِّلٍ ذكرها .

وأخبرني يحيى بن محمد الصوليّ قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلتُ يوماً دارَ الواثق بغير إذن الى موضع أمرَ أن أدخله اذا كان جالساً . فسمعت صوت عود من بيت وترنُّماً لم أسمع أحسنَ منه قطّ ، فأطلعَ خادمٌ رأسه ثم ردَّه وصاح بي فدخلت فإذا الواثق . فقال : أيَّ شيء سمعت ؟ فقلت : الطَّلاقُ لازمٌ لي وكلُّ مملوك لي حرٌّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثلَه قطّ حُسْناً ! فضحِك فقال: وما هو ! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورَحِمَهم والتابعون بعدهم وكثُر في حَرَم اللهِ ومُهاجَر رسولِ الله . أتحبّ أن تسمعه منّي ؟ قلت : إي والذي شرَّفني بخطابك وجميل رأيك . فقال : يا غلام، هاتِ العود وأعطِ إسحاق رِطلًا . فدفع الرِّطلَ إليَّ وضرب وغنى في شعرٍ لأبي العتاهية بلحنٍ صنعه فيه :

أضحتْ قبورهمُ من بعد عِزّهمُ تَسفي عليها الصَّبا والحرَجفُ الشَّمَلُ
لا يدفَعون هَواماً عن وجوههم كأنهمْ خَشَبٌ بالقاع مُنجَدِلُ

فشربتُ الرِّطلَ ثم قمتُ فدعوتُ له؛ فأجلَسني وقال : أتشتهي أن تسمعه ثانيةً ؟ فقلت : إي والله، فغنّانيه ودعا لي برِطل، ففعلت كما فعلت ثانيةً ثم ثالثةً . وصاح ببعض خَدَمه وقال له : إحمل الى اسحاق ثلثمائة ألف درهم . ثم قال : يا اسحاق، قد سمعتَ ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذتَ ثلثمائة ألف درهم، فانصرِف الى أهلك ليُسَرُّوا بسرورك؛ فانصرفت بالدراهم .

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفُرات يقول سمعتُ عَريبَ تقول :

صنع الواثقُ مائةَ صوتٍ ما فيها صوتٌ ساقطٌ . ولقد صنع في هذا الشعر :

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً تُدني اليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني
هذا كتابُ فتًى طالت بَليَّتُه يقول يا مُشتكى بَثّي وأحزاني

لحناً من الرَّمَل تشبَّه فيه بصنعة الأوائل .

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن اسحاق الرَّبَعيّ المخزوميّ . والغنـاء للواثق رَمَلٌ بالوسطى من رواية الهشاميّ .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ والحرميُّ بن أبي العـلاء وعليّ بن سليمان الأخفش قالوا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلَب قال قال الزبير بن بَكّار :

كتب ابن أبي مَسَرَّة المَكّيّ الى أهل المدينة ببيتين وهما :

هذا كتابُ فتًى طالت بَليَّتُه يقول يا مُشتكى بَثّي وأحزاني
هل تعلمـين وراء الحبِّ منزلةً تُدني اليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني

قال الزبير : وكنتُ غائباً، فلما قدِمت قال لي أهـل المدينة ذلك . فقلت لهم : أيكتُب اليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تُجيبونه !

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرَّبَعيُّ المخزوميّ لنفسه :

قال الوُشاةُ لهنـدٍ عن تَصارُمِنا واستُ أَنسى هوى هندٍ وتنسانِي
يعقوبُ ليس بمقبولٍ ولا كَلِفٍ وَيح الوُشاةِ فإنّ الداء ضناني
ما بي سوى الحبّ من هندٍ وإن بَخِلت حُبّي لهندٍ برى جسمي وأبلاني

قد قلتُ حين بدا لي بُخلُ سيِّدتي وقد تتابع بي بَثّي وأَحزاني
هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً تُدني اليكِ فإنّ الحبَّ أقصاني
قالت نعم قلتُ ما ذاكم أسيِّدتي وطاعةُ الحبِّ تَنفي كلَّ عِصيان
قالت فدَعنا بلا صُرمٍ ولا صِلَةٍ ولا صدودٍ ولا في حال هِجران
حتى يَشُكَّ وُشاةٌ قد رَمَوك بنا وأعلنوا بك فينا أيَّ إعلان

ومن غناء الواثق بالله

صوت

غناؤه في شعر لذي الرمة :

خليليَّ عُوجا من صدور الرَّواحِلِ بجَرعاءِ حُزوى وابكيا في المنازلِ
لعلّ انحدارَ الدمع يُعقِب راحةً من الوَجدِ أو يَشفي نَجِيَّ البَلابل

الشعر لذي الرُّمَّة . والغناء للواثق بالله رَمَلٌ مطلَق في مجرى الوسطى عن الهِشاميّ . ولإسحاق فيهما رَمَلٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر . ولحنُ الواثق منهما الذي أوّله البيت الثاني وهو اللحن المحثوث المُسجَح وله رَدَّةٌ في « لعلّ » . ولحنُ إسحاق أوّله البيتُ الاول ثم الثاني وهو أشدُّهما إمساكاً وفيه صِياح .

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ :

أنه دخل على اسحاق بن ابراهيم الطاهريّ وقد كان تكلَّم له في حاجة فقُضِيت . فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِط به أُمنيَّة ولم تَبلُغه رغبة . قال : فاشتهى هذا الكلامَ فاستعاده فأعدتُه . قال : ثم مكثنا ما شاء الله؛

وأرسل الواثق الى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي اليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنى فيه وهو :

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها

فأمر لي بمائة ألف درهم . فأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر على أن يأخذ هذا الصوت منّي . فلما طال مُقامي قلت : يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنّين يقدِر على أن يأخذ هذا الغناء منّي . فقال لي : ولِمَ وَيحك ؟ قلت : لأني لا أصحّحه ولا تسخو نفسي لهم به . فما فعلتَ يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتَها منّي ؟ (يعني شَجا، وهي التي كان أهداها الى الواثق وعَمِل لها المُصنَّفَ الذي في أيدي الناس لإسحاق) . قال : وكيف ؟ فقلت : لأنها تأخذه منّي وأَطِيبُ به لها نَفساً، وهم يأخذونه منها . قال : فأمر بها فأخرِجتْ وأخذْته على المكان . فأمر لي بمائة ألف درهم أُخرى، وأذِن لي في الانصراف . وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً عنده، فقلت له عند وَداعي إياه : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِط به أُمنِيَّة ولم تبلُغه رغبة . فالتفت اليّ اسحاق بن إبراهيم فقال لي : ويحك يا إسحاق ! تعيد الدعاء ! فقلت : إي والله أعيده قاصٌّ أَو مُغنٍّ . فانصرفتُ الى بغداد وأقمتُ، حتى قدِم إسحاقُ فجئته مسلِّماً . فقال : ويلك يا إسحاق ! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا، أيها الأمير . قال : قال لي : ويحك ؟ كنّا أغنى الناسِ عن أن نبعَث إسحاقَ على لحننا فيُفسِدَه علينا . هذه رواية أبي أيّوب .

تقدير إسحاق لغناء الواثق :

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال : لمّا صنعت لحني في :

خليليّ عُوجا من صدور الرواحلِ

غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قسمته، ومكث صوته أيّاماً ثم قال لي : يا إسحاق، قد صنعتُ لحناً في صوتك وفي إيقاعه، وأمر فغُنّيت به؛ فقلت : يا أمير المؤمنين، بَغّضتَ إليّ لحني وسمّجتَه عندي . وقد كنتُ استأذنته مرّاتٍ في الانحدار الى بغداد بعد أن ألقيت اللحنَ الذي كان أمرني بصنعه في :

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتها

فمنعني ودافعني بذلك . فلما صنع لحنه الرّمَلَ في :

خليليّ عُوجا من صدور الرواحلِ

قلت له : يا أمير المؤمنين، قد والله اقتصصتَ وزدت؛ فأذِنَ لي بعد ذلك . قال أبو الحسن عليُّ بن يحيى قلت لإسحاق : فأيُّهما أجود الآن لحنُك فيه أو لحنه ؟ فقال : لحني أجود قسمةً وأكثر عملًا، ولحنه أظرف، لأنه جعل ردّتَه من نفس قسمته، فليس يقدِر على أدائه إلا متمكِّنٌ من نفسه . قال أبو الحسن : فتأمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لي اسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بالغناء .

فأمّا نسبة هذين الصوتين، فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته . والآخر :

صوت

أيا مُنشِرَ الموتى أقِدني من التي بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلّتِ
لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها قَذى العين من ضاحي التراب لضنّتِ

الشعر لأعرابيّ رواه اسحاق عنه ولم يذكر اسمه، والناس يَغلَطون فينسُبونه الى كثيّر ويظنُّونه من قصيدته التي أوّلها :

خليليَّ هذا رَسمُ عَزّةَ فاعقِلا قِلُوصيكما ثم ابكيا حيث حَلَّتِ

وهذا خطأ ممن قال ذلك . والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ بالوسطى . ولإسحاق في البيت الثاني وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيلٌ اولُ بالسبَّابة في مجرى الوسطى . والبيتُ الذي ألحقه اسحاق به من شعره :

فإن بَخِلتْ فالبخلُ منها سَجِيةٌ وإن بَذَلتْ أعطتْ قليلًا وأكدَتِ

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني أبو جعفر بن الدِّهقانة النَّديم قال :

كان الواثق اذا أراد أن يَعرِض صنعتَه على اسحاق نسَبها الى غيره وقال : وقع الينا صوتٌ قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ، ويأمر مَن يغنّيه إياه . وكان إسحاق يأخذ نفسَه في ذلك بقول الحق أشدَّ أخذٍ، فإن كان جيِّداً من صناعته قرَّظه ووصفه واستحسنه، وإن كان مُطَّرَحاً أو فاسداً أو متوسِّطاً ذكر ما فيه . فربّما كان للواثق فيه هَوًى فيسألُه عن تقويمه وإصلاح فَساده، وربما أطّرحه بقول إسحاق فيه؛ الى أن صنع لحناً في قول الشاعر :

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها قَذى العين من ضاحي التراب لضَنَّتِ

فأعجِبَ به واستحسنه، وأمر المغنّين فغنّوا فيه ، وأمر بإشخاص اسحاقَ اليه من بغداد ليسمعه . فكاده مخارق عنده وقال : يا أمير المؤمنين، إن اسحاق شيطانٌ خبيث داهية، وإن قولك له فيما تصنعه : هذا صوت وقع الينا، لا يخفى عليه به أنّ الصوت لك ومن صَنعتك ولا يُوقِعُ في فهمه أنه قديم، فيقولُ لك وبحضرتك ما يُقارب هواك، فاذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدّ ذلك . فأحفظَ الواثقَ قولُه وغاظه، وقال له : أريد على هذا القول منك دليلًا . قال : أنا أقيم عليه الدليل اذا حضر . فلما قُدِم به وجلس في اول مجلس اندفع مُخارِق يغنّي لحنَ الواثق :

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها

فزاد فيه زوائدَ أفسدت قِسمتَه فساداً شديداً وخفيتْ على الواثق لكثرة زوائد مُخارِقٍ في غِنائه . فسأله الواثق عنه؛ فقال : هذا غناء فاسدٌ غيرُ مَرضيّ عندي . فغضِب الواثق وأمر بإسحاق فسُحِب حتى أُخرِجَ من المجلس . فلما كان من الغد قالت فَريدة للواثق : يا أمير المؤمنين، إن اسحاق رجل يأخذ نفسَه بقول الحق في صناعته على كل حالٍ ساءته أو سَرَّته، لا يخاف في ذلك ضرراً ولا يرجو نفعاً؛ وما لك منه عوض . وقد كاده مخارِقٌ عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تَعرِف، وتركه في المصراع الثاني على حاله، ونقَص من البيت الثاني، وقد تبيَّنتُ ذلك . وأنا أعرِضه على اسحاق وأغنّيه إياه على صِحَّته، واسمَع ما يقول . وما زالت تَلطُف للواثق حتى رضِي عنه وأمر بإحضاره . فغنَّته إياه فريدةُ كما صنعه الواثق . فلمَّا سمِعه قال : هذا صوتٌ صحيحُ الصَّنعةِ والقسمةِ والتجزئة، وما هكذا سمعته في المرة الأولى . ثم أخبر الواثق عن مواضع فَساده حينئذٍ، وأبان ذلك له بما فهِمه . وغنَّته فريدة عدَّة أصوات من القديم والحديث كلُّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض . فاستحسن الواثقُ ذلك وأجازه يومئذٍ وَحباه، وجفا مُخارِقاً مدّةً لِما فعله به .

أخبرني حَجظة قال حدثني ابن المكيّ عن أبيه قال :

كان الواثقُ اذا صنع شيئاً من الغناء أخبر اسحاق به وعرَضه عليه حتى يُصلح ما فيه ثم يُظهرَه .

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد المهلَّبيّ بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرتُه هاهنا وفي ألفاظه اختلاف . وقد تقدّم ذكره وابتدأناه في أخبار اسحاق . والأبيات الثانية التي غنى فيها الواثقُ واسحاق أنشدَنيها عليُّ بن سليمان الأخفش وعليّ بن هارون بن عليّ بن يحيى جميعاً عن هارون بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن اسحاق لأعرابيّ، وأنشدَناها محمدُ بن العبَّاس اليزيديّ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعلب لبعض الأعراب :

أَلا قاتل اللهُ الحمامةَ غُدوةً على الغصن ماذا هيَّجتْ حين غنَّتِ
فغنَّت بصوتٍ أعجميٍّ فهيَّجت هَوايَ الذي كانت ضُلوعي أكنَّت
فلو قَطَرتْ عين امرئٍ من صبابةٍ دماً قطَرتْ عيني دماً وألَمَّت
فما سكتتْ حتى أويتُ لصوتها وقلتُ أرى هٰذي الحمامة جُنَّت
ولي زَفَراتٌ لو يدُمنَ قتلنَني بشوقٍ الى نادي التي قد تولَّت
اذا قلتُ هٰذي زفرةُ اليوم قد مضت فمَن لي بأُخرى في غدٍ قد أظلَّت
أيا مُنشِرَ الموتى أعِنّي على التي بها نَهِلَتْ نفسي سَقاماً وعَلَّت
لقد بَخِلَت حتى لوَ انّي سألتُها قَذى العين من سافي التراب لضنَّت
فقلت ارَحلا يا صاحبيَّ فليتني أرى كلَّ نفس أُعطِيتْ ما تمنَّت
حلَفتُ لها بالله ما أمُّ واحدٍ اذا ذكرْته آخرَ الليل أنَّت
وما وَجدُ أعرابيَّةٍ قَذَفتْ بها صُروفُ النوى من حيث لم تَكُ ظنَّت
اذا ذكرتْ ماءَ العِضاهِ وطِيبَه وبطن الحصى من بطن خَبتٍ أرنَّت
بأعظمَ من وجدي بها غيرَ أنني أجَجِمُ أحشائي على ما أجنَّت

أخبرني جَحظةُ وابن أبي الأزهر ويحيى بن عليّ والحسين بن يحيى قالوا جميعاً أخبرنا حمّاد بن اسحاق عن أبيه، وقد جمعتُ رواياتهم في هذا الخبر وزدتُ فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه، قال:

ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق، وما كان أحد منهم يُكرمني إكرامَه. ولقد غنَّيتُه لحني:

لعلَّكَ إن طالت حياتُك أن ترى بِلاداً بها مَبدًى لليلى ومَحضَرُ

فاستعاده منّي ليلةً لا يشرَب على غيره، ثم وصلني بثلثمائة ألف درهم. ولقد قَدِمتُ عليه في بعض قَدَماتي، فقال لي: وَيحك يا اسحاق! أما اشتقتَ اليَّ! فقلتُ: بَلى والله يا سيِّدي! وقلت في ذلك ابياتاً إن أمرتَني أنشدتُها. قال: هاتِ؛ فأنشدتُه:

أشكو الى الله بُعدي عن خليفتهِ وما أقاسيه من هَمٍّ ومن كِبرِ
لا أستطيع رَحيلًا إن هَمَمتُ به يوماً اليه ولا أقوى على السفر
أنوي الرحيلَ اليه ثم يمنعني ما أحدثَ الدهرُ والأيامُ في بصري

ثم أستأذنتُه في إنشاد قصيدةٍ مدحته بها فأذن لي ؛ فأنشدتُه قصيدتي التي أقول فيها :

لمّا أمرتَ بإشخاصي اليك هَوى قلبي حَنيناً الى أهلي وأولادي
ثم أعتزمتُ فلم أحفلْ ببينهُمُ وطابت النفسُ عن فضلٍ وحَمّاد
كم نعمةٍ لأبيك الخيرِ أفردني بها وخَصَّ بأخرى بعد إفرادي
فلو شكرتُ أياديكم وأنعُمَكم لَمَا أحاط بها وصفي وتَعدادي
لأشكرنَّك ما غار النجومُ وما حَدا على الصُّبح في إثر الدُّجى حاد

قال عليّ بن يحيى خاصَّةً في خبره : فقال لي أحمد بن ابراهيم : يا أبا الحسن، أخبِرني لو قال الخليفةُ لإسحاق : أحضِر لي فَضلًا وحمّاداً أليس كان يفتضح اسحاق ! (يعنى من دمامة خِلقتهما وتخلُّفِ شاهدِهما) .

قال اسحاق : ثم انحدرتُ مع الواثق الى النَّجف، فقلت : يا أمير المؤمنين، قد قلتُ في النجف قصيدةً . فقال : هاتِها؛ فأنشدتُه قولي :

يا راكبَ العِيسِ لا تَعجَل بنا وقِفِ نُحيِّ داراً لسُعدى ثم ننصرفِ
لم يَنزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ أصفى هواءً ولا أغذى من النَّجف
حُفَّت ببرٍّ وبحرٍ في جوانبها فالبرُّ في طَرَفٍ والبحرُ في طرَف
ما إن يزال نسيمٌ من يمانيةٍ يأتيك منها بريَّا رَوضةٍ أُنُف

حتى انتهيت الى مديحه فقلت وقد انتهيتُ الى قولي فيه :

لا يَحسبُ الجودَ يُفني مالَه أبداً ولا يرى بَذْلَ ما يحوي من السَّرَفِ

فقال لي : أَحسنتَ يا أَبا محمد ! فكنَّاني، وأمر لي بألف درهم . وأَنحدرنا الى الصالحيَّة التي يقول فيها أَبو نُواس :

فالصالحيَّةُ من أَكناف كَلواذا

وذكرتُ الصبيان وبغداد فقلت :

أتبكي على بغدادَ وهي قريبةٌ فكيف اذا ما أَزددتَ منها غداً بُعدا
لعمرُك ما فارقتُ بغدادَ عن قِلًى لَوَ أَنَّا وجدنا من فِراقٍ لها بُدّا
اذا ذَكرتْ بغدادَ نفسي تقطَّعتْ من الشوقِ أَو كادت تموت بها وجدا
كفى حَزَناً أن رُحتَ لم تستطع لها وَداعاً ولم تُحدِث لساكنها عهدا

فقال لي : يا موصليّ، لقد أَشتقتَ الى بغداد ! فقلت : لا والله يا أَمير المؤمنين، ولكني أَشتقتُ الى الصبيان، وقد حضرني بيتان . فقال هاتِهما . فقلت :

حَننتَ الى الأُصَيبيَّةِ الصِّغارِ وشاقكَ منهمُ قُربُ المَزارِ
وكلُّ مُفارِقٍ يزداد شوقاً اذا دنت الدِّيارُ من الديار

فقال لي : يا اسحاق، سِر الى بغداد فأقم شهراً مع صِبيانك ثم عُد الينا، وقد أمرتُ لك بمائة أَلف درهم .

امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه :

أَخبرني جَحظة عن أَبن حمدون : أَن اسحاق كان يحضُر مجالس الخلفاء اذا جلسوا للشُّرب في جملة المغنّين وعُودُه معه الى ايام الواثق، فإنه كان اذا قَدِم عليه يحضُر مع الجلساء بغير عُود، ويُدنيه الواثق ولا يُغنّي حتى يقول له : غَنِّ، فإذا قال له غنِّ جاءوه بعودٍ فغنى به، واذا فرغ رُفع العود من بين يديه إكراماً من الواثق له .

برّز إسحاق عليه في لحن اشتركا فيه :

أخبرني الحسين بن يحيى عن وَسواسةَ بنِ الموصليّ عن حمّاد بن اسحاق قال :

كتب حمدون بن إسماعيل الى أبي : إن أمير المؤمنين الواثق يأمرك أن تصنع لحناً في هذا الشعر :

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألتُها

وقد كان الواثق غنى فيه غناءً أعجبه؛ فغنى فيه أبي . فلما سمعه الواثق قال : أفسد علينا اسحاق ما كنّا أُعجِبنا به من غنائنا . قال حمّاد : ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناءً حتى مات .

ومن مشهور أغاني الواثق

صوت

سقى العَلَم الفردَ الذي في ظِلاله غزالان مكحولان مؤتلفانِ
أَرَغتُهما خَتلًا فلم أستطعهما ورَمياً ففاتاني وقد رَمَياني

ولحنُه فيه من الثقيل الاول . ولإسحاق فيه رَمَلٌ .

قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي :

أخبرني محمد بن خلَف بن المَرزُبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن عُلَيَّة القُرَشيّ قال أخبرني جعفر بن عُبيد الله بن جعفر الهاشميّ عن اسحاق بن سليمان بن عليّ قال :

لقيتُ أعرابيًّا بالسُّمَيَّة(١) فصيحاً، فاستخففته وتأمّلته فإذا هو مُصفَرٌّ شاحب ناحل الجسم، فاستنشدته فأنشدني الشيء بعد الشيء على استكراهٍ مني له. فقلت له: ما بالُك؟ فوالله إنك لفصيح! فقال: أما ترى الجبلين؟ قلت بلى. قال: في ظلالهما والله ما يمنعني من إنشادك ويَشغَلُني ويُذهلني عن الناس. قلت: وما ذاك؟ قال: بنتُ عمٍّ لي قد تيَّمتْني وذهبت بعقلي، والله إنه لتأتي عليّ ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض، ولا أزال ثابتَ العقل ما لم يُخامِر ذكرُها قلبي، فإذا خامره بَطَلتْ حواسّي وغرَب عنّي لُبّي. قلت: فما يمنعك منها؟ أقلّةُ ما في يدك؟ قال: والله ما يمنعني منها غيرُ ذلك. قلت: وكم مهرُها؟ قال: مائةُ ناقة. قلت: فأنا أدفعها اليك إذاً لتدفعها اليهم. قال: والله لئن فعلتَ ذلك إنك لأعظم الناس عليّ مِنَّةً. فوعدتُه بذلك واستنشدتُه ما قال فيها، فأنشدني أشياء كثيرة منها قوله:

سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله غَزالانِ مكحولان مؤتلفانِ

البيتان. فقلت له: يا أعرابيّ، والله لقد قتلتَني بقولك «ففاتاني وقد قتلاني» وأنا بريءٌ من العبّاس ان لم أَقُمْ بأمرك. ثم دعوت بمركوب فركبته وحملتُ معي الأعرابيَّ، فصِرنا الى أبي الجارية في جماعة من أهلي ومواليّ حتى زوّجتُه إياها وضمِنتُ عنه الصَّداقَ واشتريتُ له مائة ناقة فسُقتُها عنه؛ وأقمتُ عندهم ثلاثاً ونحرتُ لهم ثلاثين جَزُوراً، ووهبت للأعرابيّ عشرةَ آلاف درهم وللجارية مثلَها، وقلت: استعينا بهذا على اتّصالكما وانصرفتُ. فكان الأعرابيّ يطرُقنا في كلّ سنة وامرأته معه فأَهَبُ له وأَصِله وينصرف.

غناؤه في شعر حسان:

ومن أغانيه — أخبرني به ذُكاء وجه الرُّزّة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارِق وأنه أخذه عنه —:

(١) السمية: جبل.

صوت

إنّ التي عاطيتَها فردَدتُها قُتِلتْ قُتِلتَ فهاتِها لم تُقتَلِ
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطِني بزجاجةٍ أرخاهما للمَفصِلِ

يروى : « كلتاهما جَلَبُ العصير » و « حَلَبُ العصير » . ويروى : « للمفصِل » و « للمِفصَل » . والمَفصِل : الواحد من المفاصل، والمِفصَل هو اللسان . ذكر ذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابيّ .

الشعر لحسّان بن ثابت . والغناء للواثق خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر . وفيه لإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ مطلَقٌ في مجرى الوسطى . وهذه الأبيات من قصيدة حسّان المشهورة التي يمدح بها بني جَفنة، واولها :

أسألتَ رسمَ الدار أم لم تسألِ

وهي من فاخر المَديح، منها قوله :

أولادُ جَفنةَ عند قبر أبيهمُ قبرِ ابن ماريَةَ الكريمِ المُفضِلِ
يَسقُون مَن وردَ البريصَ[1] عليهمُ بردى يُصفَّق بالرَّحيق السَّلسل
بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابُهم شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الاول
يُغشَون حتى ما تَهِرُّ كِلابُهم لا يسألون عن السواد المُقبِلِ

نسخت من كتاب الشّاهينيّ : حدثني ابن عُلَيل العَنزيّ قال حدثني أحمد بن عبد الملك بن أبي السمّال السعديّ قال حدثني أبو ظَبيان الجَمّانيّ قال :

---

(١) البريص : اسم غوطة دمشق . وبردى : نهر دمشق .

إجتمعتْ جماعةٌ من الحيّ على شراب لهم، فتغنّى رجل منهم بشعر حسّان :

إنّ التي عاطيتَني فرددتُها قُتِلتْ قُتِلتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطِني بزجاجةٍ أرخاهما للمَفصِل

فقال رجل من القوم : ما معنى قوله « إن التي عاطيتَني » فجعلها واحدة، ثم قال : « كلتاهما حلب العصير » فجعلهما ثنتين ؟ فلم يعلم أحد منّا الجواب . فقال رجل من القوم : امرأته طالقٌ ثلاثاً إن بات او يسألَ القاضيَ عُبيدَ الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر . قال أَبو ظَبيان : فحدثني بعض أصحابنا السعديّين قال : فأتيناه نتخطّى اليه الأحياءَ حتى أتيناه وهو في مسجده يصلّي بين العِشاءين . فلما سمع حِسّنا أوجز في صلاته، ثم أقبل علينا وقال : ما حاجتُكم ؟ فبدأ رجل منّا كان أحسنَنا بَقيّةً فقال : نحن، أعزّ الله القاضيَ، قومٌ نَزَعنا اليك من طَرَف البَصرة في حاجةٍ مهمّة فيها بعضُ الشيء . فإن أذِنتَ لنا قلنا . قال : قولوا . فذكر يمينَ الرجل والشعر . فقال : أمّا قولُه « إن التي ناولتني » هي الخمرة . وقوله : « قُتِلتْ » يعني مُزِجت بالماء . وقوله : « كلتاهما حَلَب العصير » يعني به الخمرَ ومِزاجها، فالخمر عصير العنب، والماء عصير السحاب؛ قال الله عزّ وجلّ : (وأنزلنا مِنَ المُعصِرات ماء ثجّاجاً) إنصرفوا اذا شئتم .

غناؤه لحناً على مثال لحن لمخارق :

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المُهلَّبيّ عن أبيه قال :

غنّى مُخارِقٌ يوماً بحضرة الواثق :

حتى إذا الليلُ خَبا ضوءه وغابتِ الجوزاءُ والمِرزَمُ[1]

(١) الجوزاء : برج في السماء . والمرزمان : نجمان مع الشعريين .

خرجتُ والوطء خَفِيٌّ كما ينسابُ من مَكمَنه الأرقم

فاستملح الواثقُ الشعر واللحن، فصنع في نحوه :

قالت اذا الليلُ دَجا فأْتِنا جئتُها حين دجا الليلُ
خَفِيَّ وطءِ الرِّجلِ من حارسٍ ولو درى حلَّ بيَ الويلُ

ولحنه فيه من الرَّمَل . وصنع فيه الناس ألحاناً بعده : منها لَعَريب خفيفُ رَمَلٍ، ومنها ثقيلٌ اول لا أعلم لمن هو؛ وسمعت ذُكاءً ومحمد بن ابراهيم قُرَيضاً يغنّيانه وذكرا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء، ولا أدري لمن هو .

حدثني محمد بن مَزيَد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمّاد بن اسحاق قال حدثني أبي قال :

سرتُ الى سُرَّ مَن رأى بعد قدومي من الحجّ، فدخلتُ الى الواثق فقال : بأي شيء أطرفتَني من أحاديث الأعراب وأشعارهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين جلس إليَّ فتًى من الأعراب في بعض المنازل، فحادثني فرأيتُ منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظراً وحديثاً وأدباً . فاستنشدته فأنشدني :

سقى العَلَمَ الفَردَ الذي في ظِلاله غزالان مكحولان مؤتلِفانِ
إذا أمِنَا التفَّا بجِيدَيْ تواصُلٍ وطَرفاهما للرَّيب مُسترِقانِ[1]
أرغتُهما خَتلًا فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

ثم تنفَّس تنفُّساً ظننت أنه قد قطع حيازيمَه . فقلت : ما لك بأبي أنت ؟ فقال : إن لي وراء هذين الجبلين شَجَناً، وقد حِيل بيني وبين المرور به ونذَروا دمي،

(١) الاسترَاق : اختلاس النظر والسمع، ومثله التسرق والمسارقة .

وأنا أتمتّع بالنظر الى الجبلين تعلّلًا بهما اذا قدِم الحاجُّ ، ثم يُحال بيني وبين ذلك . فقلت له : زِدني مما قلتَ في ذلك . فأنشدني :

اذا ما وردتَ الماءَ في بعض أَهله حَضورُ فعرِّض بي كأنّك مازحُ
فإن سألتْ عنّي حَضورُ فقُل لها به غُبَّرٌ[1] من دائه وهو صالح

فأمرني الواثق فكتبتُ له الشعرين . فلمّا كان بعدَ أيام دعاني فقال : قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحناً فاسمعه ، فإن ارتضيتَه أظهرناه وإن رأيتَ فيه موضع إصلاح أصلحتَه . فغنّى لنا من وراء الستار ، فكان في نهاية الجودة ، وكذلك كان يفعل اذا صنع شيئاً . فقلت له : أحسن والله صانعُه يا أمير المؤمنين ما شاء ! فقال : بحياتي ؟ فقلت : وحياتِك ، وحلفتُ له بما وثِق به ، وأمر لي برِطلٍ فشربتُه ، ثم أخذ العود فغنّاه ثلاثَ مرات ، وسقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم . فلما كان بعدَ ايام دعاني فقال : قد صُنِع ايضاً عندنا في الشعر الآخر ، وأمر فغنّى به ؛ فكانت حالي فيه مثلَ الحال في الاول . فلما استحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات ، سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين الف درهم . ثم قال لي : هل قضيتُ حقَّ هديّتك ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فاطال الله بقاءك ، وتمّم نعمتك ، ولا أفقدنيها منك وبك . ثم قال : لكنك لم تقضِ حقَّ جليسك الأعرابيّ ولا سألتَني مَعونتَه على أمره ، وقد سبقتُ مسألتَك وكتبت بخبره الى صاحب الحجاز وأمرتُه بإحضاره ، وخُطبت المرأةُ له وحُمِل صداقُها الى قومها عنه من مالي . فقبّلتُ يده وقلت : السَّبْقُ الى المكارم لك ، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس .

نسبة ما في هذه الاخبار من الاغاني

منها الصوتان اللذان في الاخبار المتقدّمة .

---

(١) غبر الشيء : بقيته .

صوت

حتى اذا الليـلُ خبا ضوءه وغابتِ الجوزاء والمِـرزَمُ
أقبلتُ والوطءُ خَفيٌّ كما ينساب من مَكمَنه الأرقمُ

ذكر يحيى المكيّ أنّ اللحن لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر، وذكر الهِشاميّ أنه منحولٌ.

طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه في الفرات :

فأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وإسماعيـل بن يونس وغيرُهما قالوا حدثنا عمر بن شَبّة قال حدثني اسحاق بن ابراهيم عن ابن كُناسة قال :

إصطحب شيخٌ مع شباب في سفينةٍ في الفُرات ومعهم مغنّية. فلمّا صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جاريةٌ لبعضنا وهي مغنّيـة، فأحببنا أن نسمع غناءها فهِبناكَ، فإن أذِنتَ لنا فعلْنا. قال : أنا أصعد الى طلَل السفينة، فاصنعوا أنتم ما شئتم. فصعِد، وأخذت الجاريةُ عودَها فغنّت :

حتى اذا الصبحُ بـدا ضوءه وغابت الجـوزاء والمِرزَمُ
أقبلتُ والـوطءُ خفيٌّ كما ينساب من مَكمَنـه الأرقمُ

فطرِب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفُرات، وجعـل يغوص في الفرات ويطفو ويقول : أنا الأرقمُ ! أنا الأرقمُ ! فألقَـوا أنفسهم خلفَه، فبعد لأيٍ ما استخرجوه، وقالوا له : يا شيخ، ما حملك على ما صنعتَ ؟ فقـال : اليكم عنّي ! فإني والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون. وقال اسماعيل في خبره : فقلت له :

ما أصابك ؟ فقال : دَبّ شيء من قدمي الى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثلُه، فلمّا وردا على قلبي لم أعقِل ما عمِلت .

وأما ما في الخبر من الصَّنعة في : « قالت اذا الليل دجا » فإنّ لحن الواثق هو المشهور، وما وجدتُ في كتب الأغاني غيره، بل سمعت محمد بن ابراهيم المعروف بقُرَيض وذُكاء وجه الرُّزّة يغنّيان فيه لحناً من الثقيل الاول المذموم؛ فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه، وذكرا جميعاً أنهما أخذاه عن أحمد بن أَبي العلاء .

علمه بالغناء وعدد اصواته وذكر المشهور منها :

وأخبرني الصولي عن أَحمد بن محمد بن اسحاق عن حمّاد بن اسحاق قال :

كان الواثق أعلمَ الخلفاء بالغِناء، وبلغتْ صنعتُه مائةَ صوتٍ، وكان أحذقَ مَن غنى بضرب العود . قال : ثم ذكرها فعَدَّ منها :

يفرح الناسُ بالسَّماع وأبكي أَنا حُزناً اذا سمعت السَّماعا
ولها في الفؤاد صَدْعٌ مُقيمٌ مثلُ صَدع الزُّجاج أَعيا الصَّناعا

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء للواثق خفيف ثقيلٍ . وفيه لأبي دُلَفَ خفيفُ رَمَلٍ .

ومنها :

أَلا أَيُّها النفسُ التي كادها الهوى أَفَأنتِ اذا رمتُ السُّلُوَّ غريمي
أَفيقي فقد أفنيتِ صبري أَو اصبِري لِما قد لقيتيه عليَّ ودُومي

الشعر والغناء للواثق خفيفُ رَمَلٍ .

ومنها :

سقى العلَمَ الفردَ الذي في ظلاله غزالانِ مكحولان مؤتلِفانِ
أرغتُهما خَتلًا فلم أستطعْهما ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

الغناء للواثق ثقيلٌ اول . وفيه لإسحاق رَملٌ وهو من غريب صنعته ، يقال إنه صنعه بالرَّقّة .

ومنها :

كلَّ يومٍ قطيعةٌ وعِتابُ ينقضي دهرُنا ونحن غِضابُ
ليت شعري أَنا خُصِصتُ بهذا دون ذا الخلقِ أم كذا الأحباب
فاصبِر النفسَ لا تَكونَنْ جَزوعاً إنما الحبّ حَسرةٌ وعذاب

فيه للواثق رَملٌ ، ولزُرزُور ثقيلٌ اول ، ولعَريبَ هَزَجٌ .

ومنها :

ولم أر ليلى بعد موقف ساعةٍ بخَيفِ مِنًى ترمي جِمارَ المحصَّبِ
ويُبدي الحصى منها اذا قذَفت به من البُرْد أطرافَ البنان المخضَّب
فأصبحتُ من ليلى الغَداةَ كناظرٍ مع الصبح في أعقاب نجم مغرِّب
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ صدًى أينما تذهبْ به الريحُ يَذهب

الصنعة في هذا الشعر ثقيلٌ اول وهو لحن الواثق فيما أرى . ونسبه حبَش ، وهو قليل التحصيل ، الى ابن مُحرِز في موضع ، والى سُلَيم في موضع آخر ، والى معبد في موضع ثالث .

ومنها :

أمست وُشاتُكِ قد دبَّت عقاربُها وقد رَموكِ بعين الغِشّ وٱبتَدروا
تُريكِ أعيُنهم ما في صدورهمُ إنّ الصدور يؤدّي غيبَها النظر

الشعر للمجنون . والغنـاء للواثق ثاني ثقيلٍ . وفيه لمتيَّمَ ثقيلٌ اول . وقد نُسب لحنُ كل واحد منهما الى الآخر .

ومنها :

عجبتُ لسَعي الدهر بيني وبينها فلمَّا ٱنقضى ما بيننا سكَن الدهرُ
فيا هجرَ ليلى قد بلغتَ بيَ المدى وزدتَ على ما لم يكن بلَغ الهجر

الغناء للواثق رَمَلٌ . وفيه لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، ولٱبن سُرَيج ثقيلٌ اول بالبِنصر ، ولغَريبَ ثقيلٌ اولُ آخر .

ومنها :

كأنّ شخصي وشخصه حَكيا نظامَ نِسرينتين في غُصُنِ
فليت ليلي وليلَه أبـداً دامَ ودُمنا بـه فلم نَبِن

الشعر أظنّه لعليّ بن هِشام أو لمُرادَ[1] . ولحن الواثق فيه ثقيلٌ اول . وفيه لغَريبَ ثقيلٌ اولُ آخر . وفيه لأبي عيسى بنِ الرشيد ولمتيَّمَ لحنانِ لم يقع إليّ جنسُهما .

ومنها :

أهابُكِ إجلالًا وما بكِ قدرةٌ عليّ ولكن ملءُ عينٍ حبيبُها
وما فارقتْكِ النفسُ يا ليلُ أنها قَلتْكِ ولكن قَلّ منكِ نصيبُها

(١) مراد : شاعرة علي بن هشام وهي التي رثته لما قتله المأمون .

لحن الواثق فيه ثقيلٌ اول مطلَق في مجرى الوسطى . وفيه لغيره لحن .

ومنها :

في فمي ماءٌ وهل يَنطِق مَن في فيه ماء!
أنا مملوكٌ لملوكٍ عليه الرُّقباء
كنت حُرًّا هاشميًّا فاسترقَّتني الإماء
وسباني مَن له كا ن على الكُره السِّباء
أحمد اللهَ على ما ساقه نَحوي القضاء
ما بعينيَّ دموعٌ أنفد الدمعَ البكاء

الغناء للواثق رَمَلٌ .

ومنها :

أيُّ عونٍ على الهموم ثلاثُ مُترَعاتٌ من بعدهنَّ ثلاثُ
بعدها أربعٌ تتمَّةُ عَشرٍ لا بِطاءٌ لكنهنَّ حِثاث

فيه رَمَلٌ يُنسب الى الواثق والى متيَّم .

ومنها :

أيا عَبرة العينين قد ظَمِئَ الخدُّ فما لكما من أن تُلِمَّا به بُدُّ
ويا مُقلةً قد صار يُبغضها الكرى كأن لم يكن من قبلُ بينهما وُدُّ
لئن كان طولُ العهد أحدث سَلوةً فموعدُ بينِ العينِ والعَبرة الوُجد[1]
وما أنا إلَّا كالذين تُخُرِّموا على أنّ قلبي من قلوبهمُ فَرد

(١) الوجد : اللقاء .

الشعر والغناء للواثق رَمَلٌ . وفيه لأبي حَشيشةَ هَزَجٌ ، ذكر ذلك الهشاميّ الملقَّب بالمِسك ، وأخبرني جَحظة أنه للمسدود . وأخبرني جَحظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الواثق خفيفَ رَمَلٍ وهو :

سألتُه حُوَيجةً فأعرضا وعَلِق القلبُ به ومَرِضا
فاستلَّ مني سيفَ عزمٍ مُنتضى فكان ما كان وكابرْنا القَضا

قال : وفي هذا الشعر ايضاً بعينه للواثق رَمَلٌ ، ولقَلَم الصالحيَّةِ فيه هَزَجٌ . وقد غلِط جَحظةُ في هذا الشعر ، وهو لسعيد بن حُمَيد مشهور ، وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه .

أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جدّه ابن حَمدون عن أبيه حمدون ابن إسماعيل قال :

كان الواثق يحبّ خادماً له كان أهدِيَ اليه من مصر ، فغاضبه يوماً وهجره ، فسمع الخادمَ يحدّث صاحباً له بحديث أغضبه عليه ، الى أن قال له : والله إنه ليَجْهَد منذ أمسِ على أن أصالحه فما أفعل . فقال الواثق في ذلك :

يا ذا الذي بعذابي ظلّ مفتخرَا هل أنت إلّا مليكٌ جار إذ قَدَرَا
لولا الهوى لتجازَينا على قدَرٍ وإن أفِق مرّةً منه فسوف تَرَى

قال : وغنى الواثق وعَلّويه فيه لحنَين ، ذكر الهشامي أن لحن الواثق خفيفُ ثقيلٍ ، وفي أغاني عَلّويه : لحنُه في هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ .

غنى في شعر لعلي بن الجهم :

حدثني الصولي قال حدثني ابن أبي العَيناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سَهل قال :

كنَّا وقوفاً على رأس الواثق في أول مجالسه التي جلسها لمَّا وَلِيَ الخلافةَ ، فقال : مَن يُنشدنا شعراً قصيراً مليحاً ؟ فحرَصتُ على أن أعمل شيئاً فلم يجئني ، فأنشدته لعلي بن الجَهم :

لو تنصَّلتَ الينا لَوَهبنا لكَ ذَنبَكْ
ليتني أملِك قلبي مثلما تملِك قلبَكْ
أيُّها الواثق بالله لقد ناصحتَ ربَّكْ
سيِّدي ما أبغض العيشَ إذا فارقتُ قُربَكْ
أصبحتْ حُجَّتُكَ العُليا وحِزبُ الله حِزبَكْ

فاستحسنها وقال : لمن هذه ؟ فقلت : لعبدك عليِّ بن الجَهم . فقال : خذ ألف دينار لك وله ، وصنع فيها لحناً كنَّا نغنّي به بعد ذلك .

يوم له مع المغنين :

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عبَّاد قال حدثني أبي قال :

لمَّا خرج المعتصم الى عَمُّوريّةَ استخلَف الواثقَ بسُرَّ مَن رأى ، فكانت أموره كلُّها كأمور أبيه . فوجَّه الى الجلَساء والمغنّين أن يُبكِّروا اليه يوماً حُدِّد لهم ، ووجَّه الى اسحاق ، فحضر الجميعُ . فقال لهم الواثق : إني عزمتُ على الصَّبوح ، ولست أجلس على سرير حتى أختلطَ بكم وتكونَ كالشيء الواحد ، فاجلسوا معي حَلْقةً ، وليكن كلُّ جليس الى جانبه مغنٍّ ، فجلسوا كذلك . فقال الواثق : أنا أبدأ ؛ فأخذ عوداً فغنّى وشربوا وغنَّى مَن بعده ، حتى انتُهِيَ الى اسحاق فأُعطِيَ العودَ فلم يأخذه . فقال : دَعُوه . ثم غنَّوْا دَوراً آخر . فلما بلغ الغِناء الى اسحاق لم يُغنِّ ، وفعل هذا ثلاثَ مرّات . فوثب الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأُدخلوا ، فما قال لأحد منهم : اجلِس . ثم قال : عليَّ بإسحاق ! فلما رآه

قال : يا خُوزيُّ يا كلب ! أَتنزَّلُ لك وأُغنّي وترتفع عنّي ! أُترَى لو أني قتلتُك كان المعتصم يُقيدُني بك ! اُبطَحوه ! فبُطِح فضُرب ثلاثين مِقرعةً ضرباً خفيفاً ، وحلَف ألَّا يُغنيَ سائر يومه سواه . فاعتذر وتكلَّمت الجماعة فيه ، فأخذ العودَ وما زال يغنّي حتى انقضى ذلك اليومُ ، وعاد الواثق الى مجلسه .

شعره في خادم يهواه :

وجدتُ في بعض الكتب عن ابن المعتزّ قال : كان الواثق يهوى خادماً له فقال فيه :

سأمنع قلبي من مودَّةِ غادرٍ تعبَّدني خُبثاً بمكرِ مُكاشِرِ
خطبتُ اليه الوصل خطبةَ راغبٍ فلاحَظني زَهواً بطَرْفِ مُهاجِرِ

قال أبو العبّاس عبد الله بن المعتزّ : وللواثق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأول .

ألقى على غلمانه صوتاً فأخذوه عنه :

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال حدثني عبدُ أمّ غلام الواثق قال :

دعا بنا الواثق مع صلاة الغداة وهو يَستاك فقال : خذوا هذا الصوتَ ، ونحن عشرون غلاماً كلُّنا يُغني ويضرِب ، ثم ألقى علينا :

أشكو الى الله ما ألقى من الكَمَدِ حَسبي بربّي فلا أشكو الى أحدِ

فما زال يردّده حتى أخذناه عنه .

نسبة هذا الصوت

أَشكو الى الله ما أَلقى من الكَمَدِ ... حَسبي برَبّي فلا أشكو الى أَحدِ
أَين الزمانُ الذي قد كنت ناعمةً ... مُهلَةً بدُنُوّي منك يا سندي
وأسألُ الله يوماً منكِ يُفرِحُني ... فقد كَحَلت جُفونَ العين بالسَّهَد
شوقاً اليكِ وما تَدرين ما لقيتْ ... نفسي عليكِ وما بالقلب من كَمَد

الغناء للواثق ثقيلٌ أولُ بالبنصر . وفيه لعريبَ أيضاً ثقيلٌ أولُ بالوسطى .

كان إسحاق يصحح له غناءه :

أَخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدثني محمد بن أَحمد المكيّ قال حدثني أَبي قال :

كان الواثق يَعرِض صنعته على اسحاق، فيُصلح الشيءَ بعد الشيء مما يَخفى على الواثق ؛ فإذا صحَّحه أَخرجه الينا وسمعناه .

حدثنا جَحظة قال حدثني حَمّاد بن اسحاق قال حدثني مُخارِق قال :

لمّا صنع الواثق لحنَه في :

حَوراء مَكورَةٌ[1] مُنَعَّمةٌ ... كأنما شَفّ وجهها نُزُفُ

وصنع لحنه في « سأذكر سِراً طال ما كنت فيهمُ » أمرني وعَلّويه وعريب أن نُعارض صنعته فيهما ؛ ففعلنا واجتهدنا ثم غنّيناه . فضحك فقال : أمِنّا معكم

(١) المكورة : المدمجة الخلق من النساء .

أن نجد من يبغِض الينا صنعتنا كما بغَّض اسحاقُ الينـا «أيا مُنشِرَ المَوتى».
قال حمَّاد: هذا آخر لحنٍ صنعه أبي. يعني الذي عارض به لحنَ الواثق في «أيا مُنشِرَ المَوتى».

غنَّاه إسحاق صوتاً فتطير به:

أخبرني حَجظة قال حدثني حمَّاد بن اسحاق عن أبيه قال:

دخلتُ يوماً الى الواثق وهو مُصطبحٌ، فقال لي: غنِّني يا إسحاق بحيـاتي عليك صوتاً غريباً لم أسمعه منك حتى أُسَرَّ به بقيَّة يومي. فكأن الله أنساني الغناء كلَّه إلا هذا الصوت:

يا دارُ إن كان البِلى قد مَحاكْ فإنه يُعجبـني أن أَراكْ
أَبكي الذي قـد كان لي مَألَفاً فيكِ فآتي الدار من أجل ذاكْ

– والغناء في هذا اللحن للأبجر رَملٌ بالوسطى عن ابن المكيّ وهو الصواب، وذكر عمرو بن بانة أنه لسُلَيم – قال فتبيَّنتُ الكراهيَةَ في وجهه وندِمتُ على ما فرط منّي. وتجلَّد فشرِب رِطلًا كان في يده، وعدَلتُ عن الصوت الى غيره. فكان والله ذلك اليومُ آخرَ جلوسي معه.

غناء المنتصر:

وممن حُكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصرُ

فإني ذكرتُ ما رُوي عنه أنه غنَّى فيه على سوء العُهدة في ذلـك وضَعف الصنعة لئلا يَشُذّ عن الكتاب شيءٌ قد رُوي وقد تداوله الناس. فمما ذُكر عنه أنه غنّى فيه:

صوت

سُقِيتُ كأساً كشَفَتْ عن ناظريَّ الخُمُرَا
فنَشَّطَتْني ولقد كنتُ حزيناً خاثِرَا

الشعر للمنتصر، وهو شعرٌ ضعيفٌ ركيك إلا أنه يُغنّي فيه.

وحدثني الصولي عن أحمد بن يزيد المهلّبي عن أبيه قال:

كان طبع المنتصر متخلِّفاً في قول الشعر وكان متقدّماً في كل شيء غيره؛ فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنّين بإظهاره، وكان حسنَ العلم والغناء. فلمّا ولي الخلافةَ قطع ذلك وأمر بستر ما تقدّم منه. من ذلك صَنعتُه في شعره وهو من الثقيل الأول المذموم:

سُقِيتُ كأساً كشَفَتْ عن ناظريَّ الخُمُرَا

قال: ومن شعره الذي غنّى فيه ولحنه ثاني ثقيلٍ:

صوت

متى تَرفَعُ الأيامُ مَن قد وضعْنَه وينقادُ لي دهرٌ عليّ جَموحُ
أُعلِّل نفسي بالرجاء وإنني لأغدو على ما ساءني وأروحُ

قال: وكان أَبي يستجيد هذين البيتين ويستحسنهما. ونذكر هاهنا شيئاً من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أُسوةَ ما فعلنا في نُظَرائه.

أَخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن يحيى بن أَبي عَبّاد قال حدثني أَبي قال:

أَراد المنتصر أن يشرب في الزّقاق، فوافى الناسُ من كل وجه ليَرَوْه ويخدموه؛ فوقف على شاطئ دِجلة وأقبل على الناس فقال :

لَعَمْري لقد أَصحرتْ خيلُنا بأكناف دِجلةَ للمَلْعَبِ

— والشعر « بأكناف دجلة للمُصعَب » ولكنه غيَّره لأنه تطيَّر من ذكر المُصعَب —

فمَن يَكُ منَّا يَبِتْ آمِناً ومَن يَكُ من غيرنا يهرُبِ

قال : فعُلم أنه يريد الخلوةَ بالنُّدَماء والمغنّين ، فانصرفوا ، فلم يبق معه إلا من يَصلُح للأنس والخدمة .

حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلّبي قال : كان أبي أخصَّ الناس بالمنتصر ، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكِّل . فدخل المتوكِّل يوماً على المنتصر على غفلة ، فسمع كلامه فاستحسنه ، فأخذه اليه وجعله في جُلسائه . وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان، فلم يقدِر على ذلك لملازمته أباه ؛ فعتَب عليه لتأخُّره عنه على ثقةٍ بمودّة وأُنسٍ به . فلما أفضتْ اليه الخلافة استأذن عليه ؛ فحجبه وأمر بأن يُعتقل في الدار فحبس أكثرَ يومه . ثم أذِن له فدخل وسلَّم وقبَّل الأرضَ بين يديه ثم قبَّل يده ، فأمره بالجلوس ؛ ثم التفت الى بَنان بن عَمرو وقال له : غنِّ ، وكان العود في يده :

غَدَرتَ ولم أغدِر وخُنتَ ولم أَخُن ورُمتَ بَديلًا بي ولم أَتبدَّلِ

— قال : والشعر للمنتصر — فغنّاه بَنانٌ . وعلم أبي أنه أراده بذلك فقام فقال : والله ما اخترتُ خدمةَ غيرك ولا صرتُ اليها إلا بعد إذنك . فقال : صدقت ؛ إنما قلتُ هذا مازحاً ؛ أُتراني أتجاوز بك حكمَ الله عزَّ وجلّ إذ يقول : (وليس عليكم جُناحٌ فيما أخطأتُم به ولكن ما تعمَّدَتْ قُلوبُكم وكان اللهُ غفوراً رحيماً) . ثم استأذنه في الإنشاد فأذِن له فأنشده :

أَلا يا قَومِ قد بَرِح الخفاءُ وبان الصبرُ منّي والعزاءُ

تَعَجَّبَ صاحبي لضياع مثلي ... وليس لداء محروم دواء
جفاني سيِّدٌ قد كان بَرًّا ... ولم أُذنِبْ فما هذا الجفاء
حَلَلْتُ بداره وعلمتُ أنّي ... بدار لا يَخيبُ بها الرجاء
فلمّا شاب رأسي في ذَراه ... حُجِبتُ بُعقبِ ما بَعُد اللقاء
فإن تَنأى سُتورُ الإذن عنّا ... فما نأتِ المحبَّةُ والثناء
وإن يَكُ كادني ظلماً عَدُوٌّ ... فعند البحث ينكشف الغِطاء
ألم ترَ أن بالآفاق منّا ... جَماجِمَ حَشوُ أقبرها الوفاء
وقد وصف الزمانَ لنا زِيادٌ ... وقال مقالةً فيها شفاء
أَلا يا رُبَّ مغمومٍ سيَحظَى ... بدولتنا ومسرورٍ يُساء
أمنتصِرَ الخلائفِ جُدتَ فينا ... كما جادت على الأرض السماء
وَسِعْتَ الناسَ عدلاً فاستقاموا ... بأحكامٍ عليهنّ الضياء
وليس يفوتنا ما عِشتَ خيرٌ ... كفانا أن يطول لك البقاء

قال: فقال له المنتصر: والله إنك لمن ذوي ثقتي وموضعُ اختياري، ولك عندي الزُّلفى، فطِب نفساً. قال ووصلني بثلاثة آلاف دينار.

شعر الحسين بن الضحاك فيه:

حدثني الصولي قال حدثني عَوْن بن محمد الكِندي قال:

لمّا وَلِيَ المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحّاك فهنّأه بالخلافة وأنشده:

تجدَّدتِ الدنيا بمُلكِ محمدٍ ... فأَهْلًا وسَهلًا بالزمان المجدَّدِ
هي الدولة الغرّاء راحتْ وبكَّرتْ ... مُشَهَّرةً بالرُّشد في كل مَشهَد
لَعَمري لقد شَدَّتْ عُرَى الدّين بَيعةٌ ... أعزَّ بها الرحمنُ كلَّ موحِّد
هَنَتْكَ أميرَ المؤمنين خلافةٌ ... جَمعتَ بها أهواءَ أُمّة أحمد

قال: فأظهر إكرامه والسرورَ به، وقال له: ان في بقائك بهاءً للملك، وقد

ضَعُفْتَ عن الحركة ، فكاتِبني بحاجاتك ولا تحمِل على نفسك بكثرة الحركة . ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضيَ بها ديناً بلغه أنه عليه .

قال : وقال الحسين بن الضحَّاك فيه وقد ركب الظهورَ وراءه الناسُ ، وهو آخر شعر قاله :

أَلا ليتَ شعري أَبدرٌ بَدَا نهاراً أم المِلكُ المنتصرْ
امامٌ تَضَمَّنُ أثوابُه على سَرجه قمراً من بَشَر
حمى اللهُ دولةَ سلطانه بجندِ القضاء وجُند القَدَر
فلا زال ما بَقِيتْ مدّةٌ يروح بها الدهرُ أو يبتكِر

قال : وغنَّى فيه بَنانٌ وعَريبُ .

شعر يزيد المهلبي فيه :

حدثني الصولي قال حدثني أَحمد بن يزيد المهلبي قال : أَول قصيدة أَنشدها أَبي في المنتصر بعد أن وَلِيَ الخلافةَ :

لِيَهْنِكَ مُلكٌ بالسعادة طائرُهْ مَواردُه محمودةٌ ومَصادِرُهْ
فأنت الذي كنَّا نُرَجّي فلم نَخِبْ كما يُرتَجَى من واقع الغيث باكره
بمنتصرٍ بالله تَمَّتْ أمورُنا ومَن ينتصر بالله فاللهُ ناصره

فأمر المنتصرُ عَريبَ أن تغنِّيَ نشيداً في أَول الابيات وتجعل البسيط في البيت الأَخير ؛ فعمِلته وغنَّته به .

حدثني الصولي قال حدثني أَحمد بن يزيد قال : صلَّى المنتصرُ بالناس في الأَضحى سنة سبع وأَربعين ومائتين ؛ فأنشده أَبي لمَّا انصرف :

ما استشرف الناسُ عيداً مثلَ عِيدِهم مع الإمامِ الذي بالله ينتصرُ
غَدَا بجمعٍ كَجُنحِ الليل يقدُمه وجهٌ أغرُّ كما يجلو الدُّجى القمر

يَؤُمُّهم صادعٌ بالحق أَحكَمه حزمٌ وعلمٌ بما يأتي وما يَذَرُ
لو خُيِّر الناسُ فاختاروا لأنفسهم أحظَّ منك لِما نالوه ما قدَروا

قال : فأمر له بألف دينار ، وتقدّم الى ابن المكي أَن يُغنّيَ في الأبيات .

حدثني الصوليّ قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني بَنانُ بن عمرو المغنّي قال : غنّيتُ يوماً بين يدَيِ المنتصر :

هل تَطمِسون من السماء نجومَها بأكُفِّكم أَو تستُرون هِلالها

فقال لي : إيّاكَ وأن تغنّيَ بحضرتي هذا الصوتَ وأشباهَه، فما أُحِبُّ أَن أغنّي إلّا في أَشعار آل أَبي حَفصة خاصّة .

غناء المعتز بالله :

وممن هذه سبيلُه في صنعة الغناء المعتزُّ بالله

فإني لم أَجد له منها شيئاً إلا ما ذكره الصوليّ في أَخباره؛ فأتيت بما حكاه للعلّة التي قدّمتُها من أنّي كرِهتُ أَن يُخِلَّ الكتاب بشيء قد دوّنه الناس وتعارفوه . فممّا ذكر أنه غنى فيه :

صوت

لَعمري لقد أَصحرتْ خيلُنا بأكناف دِجلةَ للمُصعَبِ
فمَن يكُ منّا يبِتْ آمناً ومن يكُ من غيرنا يَهرُبِ

الشعر لعَديّ بن الرِّقاع . والغناء للمعتزّ خفيف رَمَلٍ . وهذه الأبيات من قصيدة لعديٍّ يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مَروان والمُصعَب بن الزبير بطسُوج[1] مَسكِن، فقُتل فيها مصعبٌ بقرية من مَسكِن يقال لها ديرُ الجاثليق، وذكرْته الشعراء في هذه الأبيات :

(١) الطسوج : القرية او الناحية . وطسوج مسكن : بالعراق . ودير الجاثليق يقع من طسوج مسكن غربي دجلة قرب بغداد من آخر السواد واول أرض تكريت .

لعمري لقد أَصحرتْ خيلُنا بأكناف دِجلةَ للمُصعَبِ
يهزُّون كلَّ طويـل القنا ةِ لَدْنٍ ومعتدلِ الثعلب[1]
فِداؤك أُمّي وأبناؤهـا وإن شئتَ زدتُ عليها أَبي
وما قلتُهـا رهبةً إنما يَحُلّ العقابُ على المُذنِب
اذا شئتُ نازلتُ مُستقتِلًا أُزاحِمُ كالجمل الأجرب
فمن يـكُ منَّا يَبِتْ آمِناً ومن يكُ من غيرنا يهرُب

(١) الثعلب هنا : رأس الرمح .

أخبار عدي بن الرقاع ونسبه

نسبه :

هو عديّ بن زيد بن مالك بن عديّ بن الرّقاع بن عَصر بن عَكّ بن عَشعل ابن معاوية بن الحارث وهو عامِلةُ بن عديّ بن الحارث بن مُرَّةَ بنِ أُدَد . وأُمُّ معاويةَ بن الحارث عاملةُ بنت وديعة من قُضاعة، وبها سُمُّوا عاملة . ونسبه الناسُ الى الرّقاع، وهو جدُّ جدِّه، لشهرته؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سَلّام .

وكان شاعراً مقدَّماً عند بني أُميَّة مَدَّاحاً لهم خاصًّا بالوليد بن عبد الملك . وله بنت شاعرة يقال لها سلمى، ذكر ذلك ابن النطّاح . وجعله محمد بن سلّام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق . وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرَّض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتمّ بينهما مُهاجاةٌ، إلّا أنّ جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته :

حيِّ الهِدَملةَ[1] من ذات المَواعِيسِ

ولم يصرّح لأن الوليد حلَف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره، فلم يصرّح بهجائه .

أخبرني أبو خليفة إجازةً قال حدثنا محمد بن سلّام قال أخبرني أبو الغرّاف قال :

---

(١) الهدملة والمواعيس : موضعان .

دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عديّ بن الرّقاع العامِليّ . فقال الوليد لجرير : أتعرف هذا ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين . فقال الوليد: هذا عديّ بن الرّقاع . فقال جرير : فشرُّ الثيابِ الرّقاعُ ، قال : ممن هو ؟ قال : العامليّ . فقال جرير : هي التي يقول فيها الله عزّ وجلّ (عامِلَةٌ ناصبةٌ تَصلى ناراً حاميةً) . ثم قال :

يُقصِّر باعُ العامليِّ عن النَّدى ولكنَّ أَيرَ العامليِّ طويلُ

فقال له عديّ بن الرّقاع :

أأُمُّكَ كانت أخبرتْك بطُوله أمَ انت امرؤٌ لم تَدرِ كيف تقولُ

فقال لا ! بل أدري كيف أقول . فوثَب العامليّ الى رِجل الوليد فقبَّلها وقال : أجِرني منه . فقال الوليد لجرير : لئن شتمتَه لأُسرِجنَّك ولأُلجمنَّك حتى يركبك فيعيّرَكَ الشعراء بذلك . فكنى جريرٌ عن اسمه فقال :

إني اذا الشاعر المغرورُ حرَّبني جارٌ لقبرٍ على مَرَّانَ[1] مَرموسِ
قد كان أشوسَ آباءٍ فورَّثنا شَغباً على الناس في أبنائه الشُّوس[2]
أقصِر فإنّ نِزاراً لن يفاضلها فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس
وابن اللَّبون اذا ما لُزَّ في قَرَنٍ لم يستطِع صَولةَ البُزْلِ القناعيس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال قال أبو عُبيدة :

---

(١) اراد قبر تميم بن مر بمرّان على اربع مراحل من مكة الى البصرة . وحربني : أغضبني .

(٢) الشوس : التكبر والنظر بمؤخر العين .

دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك وعنده عديُّ بن الرّقاع العامليّ . فقال له الوليد : أتعرف هذا ؟ قال : لا، فمن هو ؟ قال : هذا ابن الرّقاع . قال : فشرُّ الثياب الرّقاع، فممن هو ؟ قال : من عاملة . قال : أمن التي قال الله تعالى فيها : (عامِلةٌ ناصبةٌ تَصلى ناراً حاميةً) ! فقال الوليد : والله ليركبنَّك ! لشاعرنا ومادِحنا والراثي لأمواتنا تقول هذه المقالة ! يا غلام عليّ بإكافٍ[1] ولجام . فقام اليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيَه فأعفاه . فقال : والله لئن هجوتَه لأفعلنّ ولأفعلنّ . فلم يصرّح بهجائه وعرَّض، فقال قصيدته التي أوّلها :

حيِّ الهِدَملةَ من ذاتِ المواعيسِ

وقال فيها يعرّض به :

قد جرَّبتْ عَركتي في كل مُعترَكٍ غُلبُ الأُسودِ فما بالُ الضغابيسِ[2]

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكّار قال حدثني سليمان ابن عيّاش السعديّ قال :

ذُكِر كثيّر وعديّ بن الرّقاع العامليّ في مجلس بعض خُلفاء بني أُميّة، فامترَوْا فيهما أيُّهما أشعر وفي المجلس جرير . فقال جرير : لقد قال كثيّر بيتاً هو أشهر وأعرَف في الناس من عديّ بن الرّقاع نفسِه؛ ثم أنشد قولَ كثيّر :

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

قال : فحلف الخليفة لئن كان عديُّ بن الرّقاع أعرَفَ في الناس من بيت كثيّر

---

(١) الإكاف : برذعة الحمار .

(٢) الغلب : جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة . والضغابيس : جمع ضغبوس وهو الضعيف .

ليُسرِجنَّ جريراً وليُلجمنَّه وليُركِبنَّ عديَّ بن الرّقاع على ظهره . فكتب الى واليه بالمدينة : اذا فرغتَ من خطبتك فسَلِ الناسَ من الذي يقول :

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غرابُ البين أنت حزين

وعن نسب ابن الرّقاع . فلمّا فرغ الوالي من خطبته قال : إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أسألكم من الذي يقول :

أأن زُمّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ

قال : فابتَدروا من كل وجه يقولون : كثيِّر كثيِّر . ثم قال : وأمرني أن أسأل عن نسب ابن الرّقاع؛ فقالوا : لا ندري؛ حتى قام أعرابيٌّ من مؤخّر المسجد فقال: هو من عاملة .

نقد محمد بن المنجم بيتا من شعره :

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجّم : ما أحدٌ ذُكِر لي فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصَفعه إلا عديَّ بن الرّقاع . قلت : ولِم ذلك ؟ قال : لقوله :

وعلمتُ حتى ما أُسائل عالماً عن علم واحدةٍ لكي أزدادَها

فكنت أعرِض عليه أصنافَ العلوم، فكلما مرَّ به شيء لا يُحسنه أمرتُ بصفعه .

حدثني ابراهيم بن محمد بن أيّوبَ قال حدثنا عبد الله بن مُسلِم قال :

كان عديّ بن الرّقاع ينزل بالشام، وكانت له بنت تقول الشعر . فأتاه ناس

من الشعراء ليُباتِنوه[1] وكان غائباً؛ فسمعت بنتُه وهي صغيرة لم تبلُغ دَوْر وَعيدِهم، فخرجتْ اليهم وأنشأتْ تقول :

تجمَّعتمُ من كل أَوبٍ وبَلدةٍ على واحدٍ لا زلتُمُ قِرْن واحدِ

فأخمتْهم :

كان من أوصف الشعراء للمطية :

وقال عبد الله بن مُسلِم :

ومما ينفرد به ويقدَّم فيه وصفُ المطيَّة؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها .

حدثني أَحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدثنا محمد بن عبَّاد بن موسى قال : كنت عند أَبي عمرو أَعرِض أَو يَعرِض عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عديّ بن الرّقاع، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات :

لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ قد عسا[2] فيه المَشيبُ لزُرتُ أمَّ القاسمِ
وكأنها وَسطَ النساء أعارَها عينيه أَحورُ من جآذرِ جاسِم
وَسْنانُ أَقصدَه النُّعاسُ فرَنَّقتْ في عينه سِنَةٌ وليس بنائم

فقال أَبو عمرو : أحسنَ والله ! فقال رجل كان يحضُر مجلسه أعرابيٌّ كأنه مدنيّ : أَمَا والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعةٍ وقُضبانُ الدِّفلى[3] تأخذه لكنتَ أشدَّ له استحساناً . يعني اذا كان يُغنَّى به على العود .

---

(١) ماتنه في الشعر : عارضه .

(٢) عسا : اشتد .

(٣) الدفلى : نبت مرّ زهره كالورد الاحمر وحمله كالخروب .

استحسن ابو عبيدة بيتاً له :

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أَبي سعد عن عليّ بن المغيرة قال :

كان أَبو عُبيدة يستحسن بيت عديّ بن الرّقاع :

وَسْنانُ أَقصدَه النُّعاس فرَنَّقتْ في عينه سِنةٌ وليس بنائمِ

جداً ويقول : ما قال أَحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر . وفي هذا الشعر غناءٌ نسبتُه :

صوت

لولا الحياءُ وأن رأسيَ قد عسا فيه المَشيبُ لزُرتُ أُمَّ القاسمِ
وكأَنّها وَسطَ النساء أعارَها عينيه أَحورُ من جآذِرِ جاسِم
وَسْنانُ أَقصدَه النُّعاسُ فرَنَّقتْ في عينه سِنةٌ وليس بنائم
أَلِمْ على طَلَلٍ عَفا مُتقادِمٍ بين الذُّؤيبِ[1] وبين غَيب النَّاعم

عروضه من الكامل . الجآذِر : جمع جُؤذُر وهي أَولاد البقر الوحشيَّة . وجاسِمٌ : موضع . ويُروى في هذا الشعر « عاسِم » مكان « جاسِم » . والوَسنانُ : النائم ، والوَسَنُ النوم ، الواحدة منه سِنَة . والترنيق : الدُّنوُّ من الشيء يريد أَن يفعله ، يقال : رَنّقتِ العُقابُ لصيدها اذا دنتْ منه ، وترنيقُها أَيضاً أَن تُقصِّر عن الخَفَقان بجناحيها . ويقال : طيرٌ مرنّقة اذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوعَ ومدّت أجنحتها

(١) الذؤيب : ماء بنجد لبني دهمان بن نصر بن معاوية

فلم تَخفِقْ وترجَّحتْ . ويقال للقوم اذا قصَّروا في سيرهم، وللسابح اذا قصَّر في الخفق بيديه ورجليه : قد رنَّقوا ترنيقاً . الشعر لعديّ بن الرّقاع . والغناء لابن مِسجَح خفيفُ ثقيلٍ اول بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن اسحاق، وفيه ثقيلٌ اول بالبِنصر يُنسب اليه ايضاً، وذكر الهِشاميّ أنه من منحول يحيى بن المكيّ اليه .

استحسن ابو عمرو شعره :

أَخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثني محمد بن عبد الله المعروف بالحَزَنبل عن عمرو بن أَبي عمرو قال :

كنت عند أَبي ورجلٌ يقرأ عليه شعر عديّ بن الرّقاع . فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها :

لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ قد عسا فيه المشيبُ لزرتُ أمَّ القاسمِ

قال أَبي : أحسن والله عديٌّ بن الرّقاع ! قال : وعنده شيخ مدنيّ جالس، فقال الشيخ : والله لئن كان عديٌّ أحسن لَما أساء أَبو عبَّاد . قال أَبي : ومن هو أَبو عبَّاد؟ قال : مَعبد . والله لو سمعتَ لحنه في هذا الشعر لكان طربُك أشدَّ واستحسانُك له أَكثر . فجعل أَبي يضحك .

أَخبرني محمد بن خلَف بن المَرزُبان قال حدثنا أَحمد بن جَرير عن محمد بن سلَّام قال :

عزل الوليدُ بن عبد الملك عُبيدة بن عبد الرحمن عن الاردن وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به : من أَتاه متوّجعاً وأَثنى عليه فأَتوني به . فأتى عَديُّ بن الرّقاع، وكان عُبيدة اليه محسناً، فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عزلوك مسبوقاً ولكن إلى الخيرات سبّاقاً جوادا
وكنتَ أخي وما ولدتْك أمّي وَصولاً باذلاً لي مستزادا
وقد هِيضت لِنَكْبتك القُدامى كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثب المتوكّلون به اليه ، فأدخلوه الى الوليد وأخبروه بما جرى . فتغيّظ عليه الوليد وقال له : أتمدح رجلًا قد فعلتُ به ما فعلت ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كان إليّ مُحسِناً ، ولي مُؤثِراً ، وبي بَرًّا ؛ ففي أي وقت كنت أُكافئه بعد هذا اليوم ! فقال : صدقتَ وكَرُمت ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك ! فخذْه وانصرف . فانصرَف به الى منزله .

عدّه جرير أنسب الشعراء لشعر له :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال :

قال نوح بن جَرير لأبيه : يا أبتِ ، مَن أنسبُ الشعراء ، قال له : أتعني ما قلتُ ؟ قال : إني لست أُريد من شعرك إنما أُريد من شعر غيرك . قال : ابنُ الرّقاع في قوله :

لولا الحياء وأنّ رأسيَ قد عَسَا فيه المَشيب لزُرتُ أُمَّ القاسمِ

الثلاثة الأبيات . ثم قال لي : ما كان يُبالي أن لم يقل بعدها شيئاً .

أخبرني الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائني قال :

قال جَرير : سمعت عَديَّ بن الرّقاع يُنشد :

تُرجي أَغنَّ كأنّ إبرةَ رَوْقِه[1]

فرَحِمتُه من هذا التشبيه فقلت : بأيِّ شيء يُشَبِّهه تُرى ! فلما قال :

قلمٌ أصاب من الدَّواةِ مِدادَها

رحِمتُ نفسي منه .

أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن أبي عُبيدة قال :

مال رَوْح بن زِنباع الجُذامي الى يزيد بن معاوية لمَّا فصَل بين الخطبتين فقال : يا أمير المؤمنين ، أَلحِقْنا بإخوتنا من مَعَدٍّ فإنا مَعَدِّيُون ، والله ما نحن من قصب الشأم ولا من زعاف ميمن . فقال يزيد : إن أجمع قومُك على ذلك جعلناك حيث شئتَ . فبلغ ذلك عَدِيَّ بن الرّقاع فقال :

إنّا رَضينا وإن غابت جماعتُنا ما قال سيِّدُنا رَوح بن زِنباعِ
يرعَى ثمانين ألفاً كان مثلُهمُ مِمَّا يُخالف أحياناً على الرّاعي

قال : فبلغ ذلك ناثِلَ بن قَيس الجُذامي ، فجاء يركض فرسه حتى دخل المقصورة في الجمعة الثانية . فلمَّا قام يزيد على المنبر ، وثب فقال : أين الغادر الكاذب رَوح ابن زِنباع ؟! فأشاروا الى مجلسه . فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال : يا أمير المؤمنين، قد بلغني ما قال لك هذا ، وما نعرف شيئاً منه ولا نُقِرُّ به ، ولكنَّا قوم من قَحطان يَسَعُنا ما يسعهم ويَعجِز عنَّا ما يعجز عنهم . فأمسك رَوح ورجع عن رأيه . فقال عديُّ بن الرقاع في ذلك :

أضلالُ ليلٍ ساقطٍ أكنافُه في الناس أَعذَرُ أم ضلالُ نهارِ

(١) الروق : القرن .

قَحطانُ والدُنا الذي نُدعى له وأبو خُزَيمةَ خِندِفُ بن نِزارِ
أنبيع والدَنا الذي نُدعى له بأبي مَعاشِرَ غائب مُتواري
تلك التجارةُ لا زَكاءَ لمثلها ذهبٌ يباع بآنُكٍ[1] وإبار

فقال له يزيد: غَيّرت يابن الرقاع. قال: إن ناثِلًا والله عليّ أعزُّهما سُخطاً، وأنصحُهما لي ولعشيرتي. قال أبو عُبيدة: الإبار: جمع إبرة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم:

أن الأحوص وابن سُرَيج قَدِما المدينةَ، فنزلا في بعض الخانات ليُصلِحا من شأنهما، وقد قدِم عديُّ بن الرّقاع وكانت هذه حاله، فنزل عليهما. فلما كان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث؛ فقال عديُّ بن الرقاع لابن سريج: والله لخروجنا كان الى أمير المؤمنين أجدَى علينا من المُقام معك يا مولى بني نَوفل. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك تُوشِك أن تُلهِيَنا فتشغلنا عمّا قصدنا له. فقال له ابن سُرَيج: أوَ قِلّةَ شكرٍ أيضاً! فغضب عديٌّ وقال: إنك لتَمُنُّ علينا أن نزلنا عليك؛ وإني أُعاهد اللهَ ألّا يُظِلّني وإياك سقفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين. وخرج من عندهما. وقدم الوليد من باديته فأذِن لهما فدخلا. وبلغه خبر ابن الرّقاع وما جرى بينه وبين ابن سُرَيج؛ فأمر بابن سُرَيج فأُخفِيَ في بيت ودعا بعديٍّ فأدخله؛ فأنشده قصيدةً امتدحه بها. فلما فرَغ، أومأ الى بعض الخدَم فأمر ابنَ سُرَيج فغنّى في شعر عديّ بن الرّقاع يمدح الوليد:

عرفَ الديارَ تَوَهُّماً فاعتادها من بعدِ ما شمِل البِلى أبلادَها[2]

---

(١) الآنك: الرصاص.

(٢) اعتادها: اعاد النظر اليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها. وشمل: عم. والأبلاد: الآثار.

فطرب عديٌّ وقال : لا والله ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هذا قطُّ ولا ظننت أن يكون مثلُه طِيباً وحُسناً . ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائفٌ من الجنّ . أيأذَن لي أمير المؤمنين أن أقول ؟ قال : قل . قال : مثلُ هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث الى ابن سريج يتخطّى به قبائل العرب فيقال : ابنُ سريج المغنّي مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين اليه ! فضحك ثم قال للخادم : أخرِجه فخرج . فلما رآه عديٌّ أطرَق خجلًا ثم قال : المعذرةَ الى الله واليك يا أخي ، فما ظننتُ أنك بهذه المنزلة ، وإنك لحقيقٌ أن تُحتَمَل على كل هفوة وخطيئة . فأمر لهم الوليد بمال سَوّى بينهم فيه ، ونادمهم يومئذٍ الى الليل .

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائرِ ما مضى في أخبار عديٍّ قبله من الأشعار التي فيها غناء :

صوت

عرَف الدّيارَ تَوَهُّماً فاعتادها من بعد ما شمِل البِلى أبلادَها
إلّا رَواكِدَ كلُّهن قد اصطلى حمراءَ أشعل أهلُها إيقادَها

عروضه من الكامل . الشعر لعديّ بن الرقاع . والغناء لابن مُحرز خفيفُ ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدثني العُمَري عن الهيثم بن عديٍّ قال :

أنشد عديُّ بنِ الرّقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أوّلُها :

عرَف الدّيارَ تَوَهُّماً فاعتادها

وعنده كثيِّر وقد كان يَبلغه عن عديٍّ أنه يطعن على شعره ويقول : هذا شعر حجازيٌّ مَقرورٌ إذا أصابه قُرُّ الشأم جمَد وهلك . فأنشده إيّاها حتى أتى على قوله :

وقصيدةٍ قد بِتُّ أَجمع بينها حتى أقوّمَ مَيلَها وسِنادَها

فقال له كثيّر : لو كنتَ مطبوعاً أَو فصيحاً أَو عالماً لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سِناد فتحتاج الى أَن تقوّمها . ثم أَنشد :

نَظَرَ المثقِّف في كُعوب قَناته حتى يُقيمَ ثِقافُه مُنآدَها

فقال له كثيّر : لا جَرَم أَن الأيام اذا تطاولتْ عليها عادت عوجاء ، ولأن تكون مستقيمةً لا تحتاج الى ثِقافٍ أجودُ لها . ثم أَنشد :

وعلمتُ حتى ما أُسائل واحداً عن علم واحدةٍ لكي أزدادَها

فقال كثيّر : كذَبتَ وربِّ البيت الحرامِ ! فليمتحنك أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صِغار الأمور دون كبارها حتى يتبيَّنَ جهلك . وما كنتَ قطُّ أحمقَ منك الآنَ حيث تظنّ هذا بنفسك . فضحك الوليد ومَن حضر ، وقُطِع بعديِّ ابن الرّقاع حتى ما نطَق .

أخبار المعتز في الاغاني ومع المغنين

وما جرى هذا المجرى

شعره في جارية يهواها :

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني جدّي حَمدون بن إسماعيل قال :

اصطبح المعتزُّ في يوم ثُلاثاء ونحن بين يديه ثم وَثب فدخل، واعترضته جارية كان يحبها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبَّلها وخرج ؛ فحدثني بما كان وأنشدني لنفسه في ذلك :

صوت

إني قَمَرْتُكَ يا سؤلي ويا أَمَلي ... أمراً مُطاعاً بلا مَطلٍ ولا عِلَلِ
حتى متى يا حبيبَ النفس تَمطُلني ... وقد قمرتك مَرّاتٍ فلم تَفِ لي
يومُ الثلاثاء يومٌ سوف أشكره ... إذ زارني فيه مَن أهوى على عَجَلِ
فلم أَنَلْ منه شيئاً غيرَ قُبلته ... وكان ذلك عندي أعظمَ النَّفَل

قال : وعُمِل فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائرَ يومنا . الغناء في هذه الأبيات لعريب رملٌ عن الهشامي . ولأبي العُبَيس في الثالث والرابع هَزَجٌ .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلَّبي قال حدثني أبي قال :

كان المعتزُّ يشرب على بستان مملوء من النَّمَّام[1] وبين النَّمَّام شقائق النعمان ، فدخل اليه يونس بن بُغا وعليه قَباءٌ أخضر ؛ فقال المعتزّ :

صوت

شبّهتُ حُمرةَ خدّه في ثوبه بشقائق النُّعمان في النَّمَّامِ

ثم قال : أَجيزوا . فابتدَر بَنانٌ المُغنّي ، وكان ربَّما عيِث بالبيت بعد البيت ، فقال :

والقَدُّ منه إذا بدا في قَرطَقٍ[2] كالغصن في لينٍ وحسن قَوامِ

فقال له المعتزّ : فغنِّ فيه الآن ، فعمِل فيه لحناً . لحنُ بَنانٍ في هذين البيتين من خفيف الثقيل الثاني وهو الماخوري .

أَخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى بن أَبي عَبّاد قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال :

شرب المعتزّ ويونس بن بُغا بين يديه يَسقيه والجلساء والمغنُّون بين يديه وقد أَعدَّ الخِلَعَ والجوائز ؛ اذ دخل بُغا فقال : يا أَمير المؤمنين ، والدة عبدك يونسَ في الموت وهي تُحِبّ أَن تراه ؛ فأذِن له فخرج . وفَتَر المعتزُّ ونَعَس بعده ، وقام الجلساء وتفرّق المغنُّون ، الى أَن صُلّيت المغرب ، وعاد المعتزّ الى مجلسه ، ودخل يونس وبين يديه الشموع . فلما رآه المعتزّ دعا برِطلٍ فشربه وسقى يونسَ رِطلًا وغنّاه المغنُّون ، وعاد المجلس أَحسنَ ما كان ؛ فقال المعتزّ :

---

(١) النام : نبت ورقه كالسذاب عطريّ قويّ الرائحة . سمي بذلك لسطوع رائحته .

(٢) القرطق : قباء ذو طاق واحد .

صوت

تغيبُ فلا أَفرَحُ فليتَك ما تَبرَحُ
وإن جئتَ عذَّبتَني بأنك لا تَسمح
فأصبحتُ ما بين ذَين لي كبدٌ تُجرح
على ذاك يا سيِّدي دُنوُّك لي أصلح

ثم قال: غنُّوا فيه، فجعلوا يفكِّرون. فقال المعتزُّ لسليمان بن القَصَّار الطُّنبوري: وَيلك! ألحانُ الطُّنبور أملَحُ وأخفُّ فغنِّ فيه أنت؛ فغنّى فيه لحناً؛ فدفع اليه دنانيرَ الخريطة وهي مائة دينار مكيَّة ومائتان مكتوبٌ على كل دينار منها «ضُرب هذا الدينار بالجَوسَق بخريطة أمير المؤمنين المعتزِّ بالله» ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس.

لحنُ سليمانَ بن القَصَّار في هذه الأبيات رَملٌ مطلَق.

حدثني الصولي قال حدثني محمد بن عبد السميع الهاشمي قال حدثني أبي قال:

لمَّا قُتل بُغا دخلنا فهنَّأنا المعتزّ بالظَّفَر، فاصطبح ومعه يونس بن بُغا، وما رأينا قطُّ وجهين اجتمعا أحسنَ من وجهيهما. فما مضت ثلاثُ ساعات حتى سكِر، ثم خرج علينا المعتزّ فقال:

ما إن تَرى مَنظراً إن شئتَه حسناً إلَّا صَريعاً يُهادَى بين سُكْرَين
سُكْرِ الشراب وسكْرٍ من هَوَى رَشَأٍ تخاله والذي يَهواه غُصنَين

ثم أمر فتغنَّى فيه بعضُ المغنِّين.

حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخراساني قال حدثني الفضل بن العباس بن المأمون قال :

كنت مع المعتز في الصيد، فانقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بُغا معه، ونحن بقرب قنطرة وَصيف، وكان هناك دير فيه دَيراني يعرفني وأعرفه، نظيف ظريف مليح الأدب واللفظ. فشكا المعتز العطش. فقلت : يا أمير المؤمنين، في هذا الدير دَيراني أعرفه خفيف الروح لا يخلو من ماء بارد، أفترى أن نميل اليه؟ قال نعم. فجئناه فأخرج لنا ماء بارداً، وسألني عن المعتز ويونس فقلت : فَتَيانِ من أبناء الجند؛ فقال : بل مُفلِتانِ من حُورِ الجنَّة. فقلت له : هذا ليس في دِينك. فقال : هو الآن في ديني. فضحك المعتز. فقال لي الدَّيراني : أتأكلون شيئاً ؟ قلت نعم. فأخرج شطيراتٍ وخبزاً وإداماً نظيفاً، فأكلنا أطيبَ أكل، وجاءنا بأطراف أُشنانٍ. فاستظرفه المعتز وقال لي : قل له فيما بينك وبينه : مَن تحبّ أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له، فقال : «كلاهما وتمراً». فضحك المعتز حتى مال على حائط الدَّير. فقلت للدَّيراني : لا بدّ من أن تختار. فقال : الاختيار والله في هذا دَمار، وما خلق الله عقلاً يميّز بين هذين. ولحقهما الموكب، فارتاع الدَّيراني. فقال له المعتز : بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه، فإني لِمَن ثَمَّ مولًى ولِمَن هاهنا صديق. فزَحنا ساعةً؛ ثم أمر له بخمسمائة الف درهم. فقال : والله ما أقبلها إلا على شرط. قال : وما هو ؟ قال : يجيب أمير المؤمنين دَعوتي مع من أراد. قال : ذلك لك. فاتّعدنا ليوم جئناه فيه، فلم يُبقِ غايةً، وأقام للموكب كلِّه ما احتاج اليه، وجاءنا بأولاد النصارى يخدُموننا. ووصله المعتز يومئذٍ صِلةً سنيَّةً؛ ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده.

حدثني الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال :

بُويع للمعتز بالخلافة وله سبعَ عشرةَ سنةً كاملة وأشهرٌ. فلما انقضت البَيعة قال :

توّحدني الرحمنُ بالعِزّ والعُلا فأصبحت فوق العالمين أميرَا

هكذا ذكر الصوليّ في قافية الشعر . ووجدته في أغاني بَنانٍ مرفوعَ القافية، وله فيه صنعة . ولعلّ المعتزّ قال البيت، فأضاف بَنانٌ اليه آخر وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتزّ فقال :

صوت

توّحدكَ الرحمنُ بالعز والعُلا فأنت على كل الأنامِ أميرُ
تُقاتِلُ عنك الترك والخزرُ كلُّها كأنّهمُ أُسدٌ لهنّ زئير

الغناء لبَنانٍ (لَحنانِ) خفيفُ ثقيلٍ وخفيفُ رملٍ . ومما قاله المعتزّ وغنى فيه قوله — ذكر الصوليّ أن عبد الله بن المعتزّ أنشده إياه لأبيه — :

صوت

أَلا حيِّ الحبيبَ فَدَتــه نفسي بكأسٍ من مُدامــةِ خانِقينا [1]
فإني قد بَقيتُ مــع الليالي أُقاسي الهمَّ في يــده سِنينا

الغناء فيه لعَريبَ خفيفُ رمَلٍ، ولبَنانٍ هَزَج .

وممن ذُكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمِد

غناء المعتمد :

قال محمد بن يحيى الصوليّ ذكر عبد الله بن المعــتزّ عن القاسم بن زُرزُور أن المعتمِد أَلقى عليه لحناً صنعه في هذا الشعر وهو :

---

(١) خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد .

ليس الشفيعُ الذي يأتيكَ مُؤتزِراً مثلَ الشفيع الذي يأتيكَ عُريانا

الشعر للفرزدق . والغناء للمعتمِد ، ولحنُه فيه خفيفُ ثقيلٍ . هذه حكاية الصوليّ . وفي غناء عَريب : لها في هذا البيت خفيفُ ثقيلٍ . ولا أَعلم لِمن هو منهما على صحة ، إلا أنّ المشهور في ايدي الناس أنه لعَريب . ولم أسمع للمعتمِد غناءً إلا من هذه الجهة التي ذكرتُها .

ذكر اخبار الفرزدق

في هذا الشعر خاصة دون غيره

لان اخباره كثيرة جدّاً، فكرهت ان اثبتها هاهنا في غناء مشكوك فيه، فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة، واخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه

نسبه :

الفرزدق لقبٌ غلب عليه . واسمه هَمّام بن غالب بن صَعصعة بن ناجِيةَ بن عِقال بن محمد بن سُفيان بن مُجاشِع بن دارم بن مالك بن حَنظلة بن مالك بن زيد من مَناةَ بن تَميم .

هو وجرير والاخطل أشعر طبقات الاسلاميين :

وهو وجرير والأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميين والمقدَّمُ في الطبقة الأولى منهم . وأخباره تُذكر مفردةً في موضع آخر يتّسع لها، ونذكر هاهنا خبره في هذا المعنى . فأخبرني خبره في ذلك جماعة . فمن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبّة، وأخبرني به أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلّام، وأخبرني به محمد بن العباس اليزيديّ عن السكّريّ عن محمد بن حبيب عن أبي عُبيدة وابن الأعرابيّ، قال عمر بن شَبّة خاصّة في خبره حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبي :

أنّ عبد الله بن الزبير تزوّج تُماضِرَ بنت منظور بن زَبّان، وأمُّها مُليكة بنت خارجة بن سنان بن ابي حارثة، فخاصم الفرزدق امرأته النَّوارَ الى ابن الزبير.

هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السببَ في الخصومة، وذكرها عمر بن شبَّة ولم يَروِها عن أحد، وذكرها ابن حبيب عن أصحابه، وذكرها أبو غسَّان دَماذٌ عن أبي عُبيدة : أن رجلًا من بني أُميَّة خطب النَّوارَ بنت أَعيَنَ المُجاشعيَّة، فرضيَته وجعلتْ أمرَها الى الفرزدق . فقال لها : أشهِدي لي بذلك على نفسك شهوداً ففعلتْ، واجتمع الناس لذلك . فتكلَّم الفرزدق ثم قال : اشهَدوا أنّي قد تزوّجتها وأصدقتها كذا وكذا، فأنا ابن عمها وأحقُّ بها . فبلغ ذلك النَّوارَ فأبتــه واستترتْ من الفرزدق وجزِعتْ ولجأتْ الى بني قيس بن عاصم المِنقريّ . فقال فيها :

بني عاصمٍ لا تُلجِؤوها فإنكم ... مَلاجئُ للسّوءات دُسمُ العمائمِ[1]
بني عاصمٍ لو كان حيًّا أبوكمُ ... لَلامَ بَنيه اليومَ قيسُ بن عاصم

فقالوا : والله لئن زدتَ على هذين البيتين لنقتلنَّك غِيلةً . فنافرتْه الى عبد الله بن الزبير وأرادت الخروج اليه؛ فتحامى الناسُ كِراءها . ثم إن رجلًا من بني عديٍّ يقال له زُهير بن ثَعلبة وقوماً يُعرَفون ببني أُمِّ النُّسير أَكرَوها؛ فقال الفرزدق :

ولولا أن تقول بنو عــديٍّ ... أليستْ أُمَّ حَنظَلةَ النَّــوارُ
أتتكم يا بني مِلكانَ عني ... قوافٍ لا تُقسِّمها التِّجــارُ

يعني بالنَّوار هاهنا بنت جُلِّ بن عديّ بن عبد مَناة وهي أُمُّ حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة وهي إحدى جَدَّاته . وقال فيها ايضاً :

سرى بالنَّــوار عَوهجِيٌّ[2] يسوقه ... عُبيدٌ قصيرُ الشِّبرِ[3] نائي الأقاربِ

---

(١) دسمت عمائمهم، اي وسخت وقذرت .

(٢) عوهجي : طويل العنق .

(٣) قصير الشبر : متقارب الخطو . ونائي الاقارب : غريب بعيد عن اهله .

تؤمُّ بلادَ الأمن دائبةَ السُّرى ... الى خير والٍ من لُؤيِّ بن غالبِ
فدونكَ عِرسي تبتغي نَقضَ عُقدتي ... وإبطالَ حقّي باليمين الكواذب

وقال أيضاً :

ولولا أنّ أمّي من عديٍّ ... وإني كارهٌ سُخطَ الرّباب
إذاً لأتي الدواهي من قريبٍ ... جزاءً غيرَ مُنصرفِ العِقاب
وصُلتُ على بني مِلكان منّي ... بجيش غير مُنتظَر الإياب

وقال لزهير ايضاً :

لبئس العِبءُ يحمله زُهيرٌ ... على أعجاز صِرمتهٰا نَوارُ
لقد أهدت وليدُتنا اليكم ... عوائرَ لا تقسّمها التِّجار

وقال لبني أمّ النُّسَير :

لعمري لقد أردى النَّوارَ وساقها ... الى الغَور أحلامٌ خِفافٌ عقولُها
أطاعت بني أُمِّ النُّسَير فأصبحتْ ... على قَتَبٍ يعلو الفَلاة دليلُها
وقد سَخِطتْ منّي النَّوارُ الذي ارتضى ... به قبلها الأزواجُ خاب رَحيلُها
وإن امرأً أمسى تحبَّبَ زوجتي ... كماشٍ الى أُسْدِ الشرى يَستبيلها
ومن دونِ أبوالِ الأسود بَسالةٌ ... وبَسطةُ أيدٍ يمنع الضَّيمَ طُولُها
وإنّ أمير المؤمنين لعالمٌ ... بتأويل ما أوصى العبادَ رسولها
فدونكها يابن الزبير فإنها ... مولّعةٌ يُوهي الحجارةَ قِيلُها

فلما قدِمتْ مكّةَ نزلت على بنت منظور بن زَبّان، واستَشفعتْ بها الى زوجها

---

(١) الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .

(٢) عوائر : سوائر . يريد قصائده .

عبدِ الله . وانضمّ الفرزدق الى حمزة بن عبد الله بن الزبير، وأمّه بنت منظورِ هذه، ومدحه فقال :

أصبحتُ قد نزلتْ بحمزةَ حاجتي إنّ المنوّه باسمه الموثوقُ

الأبياتَ . وقال فيه ايضاً :

يا حمزَ هل لك في ذي حاجة غرضتْ[1] أنضاؤه بمكانٍ غيرِ ممطورِ
فأنت أحرَى قريشٍ أن تكون لها وأنت بين أبي بكر ومنظور
بين الحواريّ والصِّدّيقِ في شُعَبٍ نَبَتْنَ في طيّب الإسلامِ والخير

هذه الأبيات كلُّها من رواية أبي زيد خاصّةً . قالوا جميعاً : وقال في النَّوار :

هلُمّي لابن عمّك لا تكوني كمختارٍ على الفرسِ الحمارا

وقال فيها أيضاً :

تُخاصِمُني النَّوارُ وغاب فيها كرأس الضَّبِّ يلتمس الجرادا

قال أبو زيد في خبره خاصّة : فجعل أمرُ الفرزدق يضعُف وأمرُ النَّوار يَقوَى . وقال الفرزدق :

أمّا بَنُوه فلم تُقبَلْ شفاعتهم وشُفِّعت بنتُ منظورِ بن زبّانا

صوت

ليس الشَّفيعُ الذي يأتيكَ مُؤتزِراً مثلَ الشفيع الذي يأتيك عُريانا

(١) غرض بالمكان : مل وضجر . والأنضاء : جمع نضو وهو المهزول من الإبل .

— غنّت في هذا البيت عَريبُ خفيفَ ثقيلٍ أول بالبنصر — فبلغ ابنَ الزُّبير هذا فدَعا النَّوار فقال: إن شئتِ فَرّقت بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبداً، وإن شئتِ سيَّرتُه الى بلاد العدوّ. فقالت: ما أُريد واحدةً منهما. قال: فإنه ابنُ عمك وهو فيكِ راغب، أفأُزوّجه إيّاكِ؟ قالت نعم. فزوّجه إيّاها. فكان الفرزدق يقول: خرجنا متباغضَين ورجعنا متحابَّين.

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال قال عثمان بن سليمان:

شَهِدتُ الفرزدق يوم نازَع النَّوارَ فتوجّه القضاء عليه، فأشفق من ذلك وتعرّض لابن الزُّبير بكلام أغضبه، وكان ابن الزُّبير حديداً. فقال له ابن الزبير: أيا ألأمَ الناس! وهل أنت وقومُك إلّا جاليةُ العرب! وأمر به فأُقيم. وأقبل علينا فقال: إن بني تَميم كانوا وَثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه؛ وأجمعت العربُ عليها لما انتهكت ما لم يَنتهِكْه أحد قطُّ فأجلَتْها من أرض تِهامة. فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال: هِيهِ! أيعيّرنا ابنُ الزُّبير جَلاءنا عن البيت! اسمعْ! ثم قال:

فإن تَغضَبْ قريشٌ ثم تغضبْ ... فإن الأرض ترعاها تميمُ
همُ عَدَدُ النجوم وكلُّ حيٍّ ... سواهم لا تُعَدُّ لهم نجوم
فلولا بنتُ مُرٍّ من نِزارٍ ... لَمَا صحَّ المَنابتُ والأديم
بها كثُر العديدُ وطاب منكم ... وغيرَكمُ أحَذُّ[1] الرّيشِ هِيم
فهلّا عن تذلُّل مَن عَزَزتُم ... بخولَتِه وعَزَّ به الحميم
أعبدَ الله مهلًا عن أَذاتي ... فإني لا الضعيف ولا السَّؤوم
ولكني صَفاةٌ لم تُؤَبَّس[2] ... تَزِلُّ الطيرُ عنها والغُصُوم

(١) أحذ الريش: قصيره. والهيم: العطاش.

(٢) تؤبس: تكسر.

أنا ٱبن العاقرِ الخُورِ[1] الصَّفايا بصَوْءَرَ[2] حيث فُتِّحت العُكومُ[3]

وذكر الزبير بن بَكار عن عمه أن عبد الله بن الزبير لمَّا حكم على الفرزدق قال: إنما حكمتَ عليَّ بهذا لأفارقها فتثبَ عليها؛ وأمر به فأُقيم، وقال له ما قال في بني تميم. قال: ثم خرج عبد الله بن الزبير الى المسجد فرأى الفرزدق في بعض طرق مكة وقد بلغتْه أبياته التي قالها، فقبض ٱبن الزبير على عنقه فكاد يَدُقُّها. ثم قال:

لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ولو رضيتْ رَمْحَ ٱستِهِ[4] لٱستقرّتِ

قال الزبير: وهذا الشعر لجعفر بن الزبير.

أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا ٱبن سَلَّام قال أخبرنا إبراهيم بن حَبيب الشَّهيد قال:

قال ابن الزبير للفرزدق: ما حاجتُك بها وقد كرِهتْك! كُنْ لها أكره وخلِّ سبيلها. فخرج وهو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا ليثِبَ عليها. فبلغ ذلك ٱبنَ الزبير فخرج وقد ٱستهلَّ هلال ذي الحجَّة ولبس ثياب الإحرام يريد البيتَ الحرام، فألفى الفرزدق بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه وقال:

لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ولو رضيتْ رَمْحَ ٱستِهِ لٱستقرَّتِ

---

(١) الخور: جمع خوّارة، وهي الغزيرة اللبن من النوق والشاء، الجول: الجماعة من الابل.

(٢) صوءر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام.

(٣) العكوم: جمع عكم، وهو العدل.

(٤) رمح الاست: الكناية فيه واضحة.

قال الزبير : وهذا البيت لجعفر بن الزبير .

هجاه جعفر بن الزبير فنفاه أخوه عن ذلك :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال :

لمّا قال الفرزدق في ابن الزُّبير :

أمّا بنوه فلم تُقبَل شفاعتُهم وشُفِّعتْ بنتُ منظورِ بن زَبّانا

قال جعفر بن الزبير :

ألا تِلكُمُ عِرسُ الفرزدقِ جامحاً ولو رضيتْ رمحَ استه لاستقرَّت

فقال عبد الله بن الزبير : أتُجزِرُنا كلباً من كلاب بني تميم ! لئن عُدتَ لم أُكلِّمْك أبداً .

قال : وتُماضِرُ التي عناها الفرزدقُ أمُّ خُبَيب وثابتٍ ابنَيْ عبد الله بن الزبير ، وماتت عند عبد الله ، فتزوّج أختها أمَّ هاشم فولدتْ له هاشماً وحمزة وعبّاداً .

قال : وفي أمّ هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزبير ويشكو طولَ مُقامِه :

تروّحتِ الرُّكبانُ يا أمَّ هاشم وهُنّ مُناخاتٌ لهنّ حَنِينُ
وخُيِّسْنَ[1] حتى ليس فيهنّ نافِقٌ لبَيْعٍ ولا مركوبُهن سَمِينُ

(١) خيسن : لم يسرّحن .

قال : وهذا يدلّ على أَن النَّوار كانت استعانت بأُمّ هاشم لا بُتَاضِرَ .

فلما أَذِنتِ النَّوارُ لعبد الله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرةِ آلاف درهم . فسأل : هل بمكة أَحد يُعينه ؟ فَدُلَّ على سَلْم بن زِياد ، وكان ابنُ الزبير حَبسه ، فقال فيه :

دَعي مُغلِقِ الأبوابِ دون فَعالهم ... ومُرّي تَمَشَّى بي — هُيِلْتِ — الى سَلْمِ
إلى من يَرى المعروفَ سَهلًا سبيلُه ... ويفعل أفعال الكرام التي تَنمي

ثم دخل على سَلمٍ فأَنشده . فقال له : هي لك ومثلها نفقتُك ، ثم أَمر له بعشرين أَلفاً فقبَضها . فقالت له زوجته أمّ عثمان بنتُ عبدِ الله بن عثمانَ بنِ أَبي العاصي الثَّقَفيَّة : أُتعطي عشرين ألفاً وأَنت محبوس ! فقال :

أَلا بَكرت عِرسي تَلوم سَفاهةً ... على ما مضى منّي وتأمر بالبخلِ
فقلت لها والجودُ منّي سجيّةٌ ... وهل يمنع المعروفَ سُؤّاله مثلي
ذَريني فإني غير تارِكٍ شيمتي ... ولا مُقصِرٍ عن السَّماحةِ والبَذْل
ولا طاردٍ ضَيفي إذا جاء طارقاً ... فقد طرَق الأضيافُ شَيخيَ من قبلي
أأبخَل ! إنّ البخل ليس بمُخلِدٍ ... ولا الجود يُدنيني الى الموت والقتل
أَبيع بني حَربٍ بآل خُوَيلِدٍ[1] ... وما ذاك عند الله في البيع بالعدل
وأشري[2] ابنَ مروان الخليفةَ طائعاً ... بنَجل بني العَوّام ! قُبّح من نَجل
فإن تُظهِروا لي البخلَ آلَ خُوَيلدٍ ... فما دَلُّكم دَلّي ولا شَكلُكم شكلي
وإن تَقهَروني حيث غابت عشيرتي ... فمن عَجَبِ الأيام أَن تَقهَروا مثلي

(١) خويلد : هو الجد الثاني لابن الزبير .

(٢) أشري : أبيع .

قال دَماذ في خبره : ثم اصطلحا ورضيتْ به، وساق اليها مهرَها ودخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عَديلان في مَحمِل. فكانت لا تزال تُشارُّه وتخالفه، لأنها كانت صالحةً حسنة الدّين وكانت تكره كثيراً من أمره. فتزوّج عليها حَذراء بنت زِيق بن بِسطام بن مسعود بن قَيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرّة بن ذُهل بن شَيبان، فتزوّجها على مائة من الإبل. فقالت له النَّوار : وَيلكَ! تزوّجتَ أعرابيّةً دقيقة الساقين بوّالة على عَقبَيها على مائة بعير! فقال الفرزدق يفضّلها عليها يُعيّرها أنها كانت تربّيها أَمَةٌ :

جَاريةٌ بين السَّليلِ عُروقُها ... وبين أَبي الصَّهباء[1] من آل خالدِ
أحقُّ بإغلاء المُهور من التي ... رَبَت وهي تَنزُو في حُجور الولائد

ومدحها أيضاً فقال :

عَقيلةٌ من بني شَيبان ترفعها ... دَعائمٌ للعُلَا من آل هَمّام
من آل مُرّةَ بين المُستضاء بهم ... من رهطِ صِيدٍ مَصاليتٍ وحُكّام
بين الأحاوِص[2] من كَلبٍ مُرَكّبُها ... وبين قيس بن مسعودٍ وبِسطامِ

وقال أيضاً يمدحها ويعرّض بالنَّوار :

لعَمري لأعرابيّةٌ في مِظَلّة[3] ... تَظَلُّ بأعلى بيتها الرّيحُ تَخفُقُ
كأُمِّ غَزالٍ أو كَدُرّةَ غائصٍ ... إذا ما أَتتْ مثل الغمامة تُشرِق
أَحبُّ الينا من ضِناكٍ[4] ضِفَنّة ... إذا وُضعت عنها المراوحُ تَعرَق

---

(١) أبو الصهباء : بسطام بن قيس . والسليل : هو السليل بن قيس أخو بسطام .
(٢) الأحاوص : عوف وعمرو وشريح وربيعة ، أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب .
(٣) المظلة : الخباء الكبير .
(٤) الضناك : الضخمة من النساء . والضفنة : الحمقاء مع عظم خلق .

فقال بعض باهلة يجيبه :

أعوذ بالله من غُولٍ مُغَوِّلةٍ كأنَّ حافرَها في الحدِّ ظُنبُوبُ
تَستَرْوِحُ الشاة من ميلٍ إذا ذُبحتْ حُبُّ اللِّحامِ كما يَستَرْوِحُ الذِّيبُ

وأغضب الفرزدقُ النَّوارَ بمدحه إياها ، فقالت : والله لأخزينَّكَ يا فاسق ! وبعثتْ الى جرير فجاءها ؛ فقالت : ألا ترى ما قال لي الفاسق ! وشكتْ اليه . فقال :

فلا أنا مُعطي الحُكم عن شِفِّ[1] مَنصِبٍ ولا عن بنات الحَنظَلِيِّين راغبُ
وهنَّ كماء المُزْن يُشفى به الصَّدى وكانت مِلاحاً غيرَهُنَّ المشارب
لقد كنتَ أهلاً أن تَسوق دِياتِكم الى آل زِيق أن يَعيبَك عائب
وما عدَلتْ ذاتُ الصَّليب[2] ظعينةً عُتَيبةُ والرِّدفانِ منها وحاجب
ألا رُبَّما لم نُعطِ زِيقاً بحكمه وأدَّى الينا الحُكمَ والغُلُّ[3] لازِب
حَوَينا أبا زِيقٍ وزِيقاً وعمَّه وجَدَّةُ زِيقٍ قد حوتها المَقانِب[4]

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها :

ألستَ إذ القَعساءُ[5] أنسَلَ ظهرها الى آل بِسطام بن قيس بخاطبِ
فنَلْ مثلَها من مثلهم ثم لُمهمُ بملكك من مالٍ مُراحٍ وعازِبِ
فلو كنتَ من أكفاء حَدراءَ لم تَلُمْ على دارِميّ بين لَيلى وغالب
وإني لأخشى إن خطبتَ اليهمُ عليك التي لاقى يَسارُ الكواعب

---

(١) الشف : النقصان .

(٢) ذات الصليب : يريد بها حدراء ، وذلك أن أجدادها كانوا نصارى . وظعينة : امرأة . والأصل في الظعينة المرأة تكون على البعير .

(٣) لازب : لازم .

(٤) المقانب : جمع مقنب ، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .

(٥) القعساء من النساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن .

— يَسارٌ عبداً لبني غُدانةَ ، فأراد مولاته على نفسها ، فنهته مرةً بعد مرة ، ألحَّ فوعدته ، فجاء فقالت له : إني أريد أن أبخِّرك فإن رائحتك متغيّرة ؛ فوضعت تحته مِجمرةً وقد أعدَّت له حديدةً حادةً ، فأدخلت يدها فقبضت على ذكره وهو يرى أن ذلك لشيء ، فقطعته بالمُوسى ؛ فقال : « صبراً على مجامر الكرام » فذهبت مثلًا — عاد الشعر :

ولو قَبِلوا منّي عَطيَّةَ سُقتُه ... الى آلِ زِيقٍ من وَصيفٍ مُقاربِ [1]
هُمُ زوَّجوا قبلي ضِراراً وأنكحوا ... لَقِيطاً وهم أكفاؤنا في المَناسب
ولو تُنكِحُ الشمسُ النجومَ بناتِها ... إذاً لنكحناهنّ قبل الكواكب

وقال جَرير :

يا زِيقُ أنكحتَ قَيناً بأستِه حَمَمٌ ... يا زيقُ وَيحكَ مَن أنكحتَ يا زيقُ
غاب المثنّى فلم يَشهَد نَجيَّكما ... والحَوْفَزانُ ولم يشهَدك مفروق
أين الأُلى أنزلوا النعمانَ مُقتَسَراً ... أم أين أبناء شَيبانَ الغَرانيق
يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها ... لا الصِّهرُ راضٍ ولا ابن القَين معشوق

وقال الفرزدق لجرير في هذا :

إن كان أنفُك قد أعيـاكَ مَحمَلُه ... فاركبْ أتانَك ثم اخطُب الى زِيقِ

قال : ولامه الحَجّاج وقال : أتزوّجتَ ابنةَ نَصراني على مائة ناقة ؟! قال : وما هي جود الأمير ! قال : فاشترى الإبلَ وساقها . فلما كان في بعض الطريق ومعه أَوفى بن خِنزير أحد بني التَّيم بن شَيبان بن ثعلبة دليله رأى كبشاً مذبوحاً ، فقال : يا أوفى ، هلكتْ واللهِ حَدراء ! قال : ما لك بذلك من علم ! فلمّا بلغ قال

(١) عطية : هو أبو جرير . والمقارب : اللون ، وقيل : هو الوسط بين الجيد والرديء .

له بعض قومها : هذا البيت فأنزل ، وأمّا حَدواء فهلكت . وقد عرفنا الذي يُصيبكم في دينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا . فقال : لا والله لا أرزأُ منه قِطميراً ، وهذه صَدقتُها[1] فاقبِضوها . فقال : يا بني دارِم ! والله ما صاهرنا أكرمَ منكم . قال : وفي هذه القصة يقول الفرزدق :

عجبتُ لحادِينا المقحِّمِ سيره ... بنا مُوجفاتٍ من كَلال وظُلَّعا
ليُدْنِيَنا ممن الينا لقاؤه ... حبيبٌ ومن دارٍ أَرَدنا لتجمعا
ولو يعلم الغَيبَ الذي مِن أمامِنا ... لكرَّ بنا حادي المطيِّ فأَسرعا
يقولون زُرْ حَدراءَ والتُّربُ دونَها ... وكيف بشيءٍ وصلُه قد تقطَّعا
وما مات عند ابنِ المَراغة مثلُها ... ولا تبعثُه ظاعناً حيث ودّعا
يقول ابنُ خِنزيرٍ بكيتَ ولم تكن ... على امرأةٍ عينَا أخيك لتدْمَعا
وأهونُ رُزْءٍ لامرئٍ غيرِ جازعٍ ... رَزِيّةُ مُرتَجِّ الرَّوادفِ أفرعا

وقال ابن سلّام فيما أخبرنا أبو خَليفةَ عنه قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغَرّاف قالا :

تزوّج الفرزدق حَدراء بنت زِيق بن بِسطام بن قَيس بن مسعود بن قيس ابن خالد بن ذي الجَدَّين وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرّة بن ذُهل بن شَيبان على حكم أبيها ، فاحتَكم مائةً من الإبل . فدخل على الحجّاج فعذَله فقال : أتزوّجتَها على حكمها وحكم أبيها مائةِ بعير وهي نصرانية وجئتنا متعرّضاً أن نسوقَها عنك ! اخرُجْ ما لك عندنا شيء ! فقال عَنبسة بن سَعيد بن العاصي وأراد نفعه : أيها الأمير ، إنها من حواشي إبل الصدقة ؛ فأَمَر له بها . فوثب عليه جَرير فقال :

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيبان في حَسَبٍ ... يا زيقُ وَيحَك مَن أنكحتَ يا زيقُ

---

(١) الصدقة : المهر .

أنكحتَ ويحك قيناً بأستِه حَمَمٌ يا زيقُ ويحك هل بارتْ بك السُّوق

ثم ذكر باقيَ القصيدة بمثل رواية دَماذ.

قال ابن سَلَّام: وأراد الفرزدقُ أن تُحمَل؛ فاعتلُّوا عليه وقالوا: ماتت، كراهةَ أن يَهتِك جريرٌ أعراضهم. فقال جرير:

وأقسِم ما ماتتْ ولكنه ألْتوى بجدراءَ قومٌ لم يَروك لها أهلا
رأوا أن صِهرَ القَين عارٌ عليهم وأن لِبسطامٍ على غالب فضلا
إذا هي حلَّت مُسحُلانَ[1] وحاربت بشَيبان لاقى القومُ من دونها شُغلا

وجدراء هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره. ومن ذلك قوله:

صوت

عرَفتَ بأعشاشٍ[2] وما كِدتَ تعرِفُ وأنكرتَ من جدراءَ ما كنتَ تعرفُ
ولَجَّ بك الهِجرانُ حتى كأنّما ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تألَفُ

عروضه من الطويل. عرَفتَ عن الشيء انصرفت عنه، عرَف يَعرِفُ عُرُوفاً. الشعر للفرزدق. والغناء لسَلْسَل، ثاني ثقيلٍ بالوسطى. وفيه لحنٌ للغريض من الثقيل الأول بالبنصر من رواية حبش.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبَّاس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السُّكَّري قال حدثنا محمد بن حَبيبَ وأبو غسَّان دَماذٌ عن أبي عُبيدةَ قال قال اليربوعي:

---

(١) مسحلان: موضع في بلاد بني يربوع.

(٢) أعشاش: موضع في بلاد بني تميم لبني يربوع بن حنظلة.

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقّاص الزُّهري : قدِم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أبانِ بن عثمان . قال : فإني والفرزدقَ وكثيّراً لجلوسٌ في المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلامٌ شختٌ[1] آدَمُ في ثوبين ممصّرين (اي مصبوغين بصُفرة غير شديدة) ثم قصد نحونا حتى جاء الينا فلم يسلِّم ، فقال : أيُّكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له الفرزدق : ومَن أنت لا أمَّ لك ؟ ! قال : رجل من بني الأنصار ثم من بني النَّجّار ثم أنا ابن أبي بكر ابن حَزْم . بلغني أنك تزعمُ أنك أشعر العرب وتزعُمُ مُضَرُ ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حسّان شعراً فأردتُ أن أعرِضه عليك وأؤجّلك سنةً ؛ فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنتَ كذّاب مُنتَحل . ثم أنشده قول حسّان :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعْنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرنَ من نَجدةٍ دَماَ
مَتَى ما تَزُرنا من مَعَدٍّ عِصابةٌ وغسّانَ نَمنَع حَوضَنا أن يُهَدَّما

— قيل إن قوله : « وغسان » هاهنا قسمٌ أقسم به ، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع مَعَدّ —

أبى فعلُنا المعروفَ أن نَنطِق الخَنا وقائلُنا بالعُرف إلّا تَكلُّما
ولَدْنا بني العَنْقاء وابْنَيْ مُحَرِّقٍ فأكرِم بنا خالًا وأكرِم بنا ابنَما

فأنشده القصيدة الى آخرها وقال له : إني قد أجّلتُك فيها حولًا ، ثم انصرف . وانصرف الفرزدقُ مُغضَباً يسحَب رداءه ما يَدري أيَّ طريقٍ يسلكُ ، حتى خرج من المسجد . قال : فأقبل كثيِّر عليَّ فقال : قاتل الله الأنصاريَّ ! ما أفصحَ لهجته ، وأوضح حُجَّتَه ، وأجوَد شعرَه ! قال : فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاريّ بقيّةَ يومنا . حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلي الى مجلسي الذي

(١) الشخت : الدقيق الضامر أصلًا لا هزالا .

كنت فيه بالأمس ؛ وأتاني كثيِّر فجلس معي . فإنَّا لنتذاكر الفرزدقَ ونقول : ليت شعري ما فعل ، إذ طلع علينا في حُلَّةِ أفواف[1] يَمانيةٍ مُوَشّاةٍ ، له غَديرتان ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصاريّ ؟ قال : فثِلنا منه وشتمناه . فقال : قاتله الله ! ما رُميتُ بمثله ولا سمعت بمثل شعره ! فارقتُكما فأتيتُ منزلي فاقبلتُ أَصعِّد وأُصوِّب في كل فنٍّ من الشعر ، فلكأني مُفحَمٌ أو لم أقل قطُّ شعراً حتى نادى المنادي بالفجر ، فرَحلتُ ناقتي ثم أخذت بزِمامها فقدتُها حتى أتيتُ ذِباباً[2] ، ثم ناديتُ بأعلى صوتي : أخاكم أبا لُبنى — وقال سَعدان : أبا ليلى ! — فجاش صدري كما يجيش المِرجل ، ثم عَقلتُ ناقتي وتوسّدتُ ذراعها ؛ فما قمتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عَشرَ بيتاً . فبينا هو يُنشدنا ، إذ طلع علينا الأنصاريّ حتى انتهى الينا فسلَّم ثم قال : أَما إني لم آتِك لأُعجِلَك عن الأجل الذي وقَّتُّه لك ، ولكنّي أحببت ألّا أراك إلا سألتُك عما صنعتَ . فقال : اجلس ، ثم أنشده :

عرَفتَ بأَعشاشٍ وما كِدتَ تَعرِفُ

فلمَّا فرغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصاريُّ كئيباً . فلما توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم في مَشيخة من الأنصار ، فسلَّموا علينا وقالوا : يا أبا فِراس ، قد عرفتَ حالنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيَّته بنا . وقد بلغنا أن سفيهاً من سُفهائنا تعرَّض لك ، فنسألك بالله لَمَّا حفِظت فينا وصيَّةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ووهبتنا له ولم تفضحَنا . قال إبراهيم ابن محمد : فأقبلتُ أكلِّمه أنا وكثيِّر ؛ فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي . قال : وقد كان جَرير قال :

ألا أيُّها القلبُ الطَّروبُ المُكلَّفُ أفِقْ رُبَّما يَنأى هواكَ ويُسعِفُ

(١) الأفواف : جمع فوف وهو القطن .

(٢) ذباب : جبل بالمدينة .

ظَلِلتَ وقد خبّرتَ أن لستَ جازعاً لِرَبْع بسُلمانَينِ[1] عينُك تَذرفُ

فجعل الفرزدقُ هذه القصيدة نَقِيضة لها .

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

منها :

صوت

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمعنَ بالضُّحى وأسيافنا يَقطُرنَ من نَجدةٍ دَما
ولَدْنا بني العَنْقاءِ وابَيْ محرِّقٍ فأكرِم بنا خالًا وأكرِم بنا ابنَما

عروضه من الطويل . الشعر لحسَّان بن ثابت . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو بن بانة .

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سَعد الكُراني عن أبي عبد الرحمن الثَّقَفي ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبَّة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب الصائغ عن ابن قُتيبة :

أن نابغة بني ذُبيان كان تُضرَب له قُبَّة من أَدَم بسوقِ عُكاظَ يجتمع اليه فيها الشعراء؛ فدخل اليه حسَّان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعرَه وأنشدته الخنساء قولها :

قذًى بعينِك أم بالعين عُوَّارُ

حتى انتهت الى قولها :

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به كأنــه عَلَمٌ في رأسه نارُ

(١) سلمانان : اسم موضع .

وإنّ صخراً لمولانا وسيّدُنا وإن صخراً اذا نَشتُو لَنحّار

فقال : لولا أن أبا بَصيرٍ أنشدني قبلكِ لقلت : إنكِ أشعر النـاس ! أنت والله أشعر من كل ذات مَثانة[1] . قالت : والله ومن كلّ ذي خُصيتين . فقال حسّان : أَنا والله أشعر منكَ ومنها . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجفَناتُ الغُرّ يَلمَعنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرنَ من نَجدةٍ دَما
ولَدنا بني العَنقاء وابنَيْ محـرّقٍ فأكرِمْ بنا خالًا وأكرمْ بنا ابنَما

فقال : إنك لشاعر لولا أنك قلّلتَ عدد جِفانك وفخَرتَ بمن وَلدتَ ولم تَفخَر بمن ولَدك . وفي رواية أخرى : فقال له : إنك قلت « الجفَنات » فقلّلت العدد ولو قلت « الجفان » لكان أكثر . وقلت « يلمعن في الضُّحى » ولو قلت « يَبرُقنَ بالدُّجى » لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طُروقاً . وقلت « يَقطُرنَ من نجدة دما » فدلّلتَ على قلة القَتل ولو قلت « يَجرينَ » لكان أكثر لانصبابِ الـدمّ . وفخرْتَ بمن وَلدتَ ولم تفخَر بمن ولدَك . فقام حسّان منكسِراً منقطعاً .

مما يغنّى فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قولُه :

صوت

ترى الناسَ ما سِرنا يَسيرُون خلفَنا وإن نحن أَومَأنا الى الناس وَقّفوا

فيه رَمَلٌ بالوسطى، يقال : إنه لابن سُريج، وذكر الهشاميّ أنه من منحولِ يحيى المكيّ .

---

(١) المثانة : المراد بها هنا موضع الولد من الأنثى .

انتحل بيتاً لجميل :

أخبرنا الحرميّ بن أَبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني أَبو مَسلَمةَ موهوب بن رشيد الكِلابيّ قال :

وقف الفرزدق على جميلٍ والناس مجتمعون عليه وهو يُنشِد :

ترى الناسَ ما سِرنا يسيرُون خَلفنا وإن نحن أَومَأنا الى الناس وقّفوا

فأَشرع اليه رأَسه من وراء الناس وقال : أَنا أحقُّ بهذا البيت منك . قال : أَنشُدك الله يا أَبا فِراس ! فمضى الفرزدقُ وانتحله .

أَخبرني الحرميّ بن أَبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني أَبي عن جَدّي :

أنّ الفرزدق لقي كثيِّراً فقال له : ما أشعرك يا كثيِّر في قولك :

أُريد لأنسى ذكرَها فكأنّما تَمَثَّلُ لي ليلى بكلّ سبيل

فعرَّض له بسرقته إياه من جميل :

أريد لأنسى ذكرها فكأنّما تمثَّلُ لي ليلى على كلّ مَرقَبِ

فقال له كثيِّر : أَنت يا فرزدق أشعر مني في قولك :

ترى الناس ما سِرنا يسيرون خَلفنا وإن نحن أَومأنا الى الناس وَقَّفوا

— قال : وهذا البيت لجميل سرَقه الفرزدق — فقال الفرزدق لكثيِّر : هل كانت أُمُّك تَردُ البصرة ؟ قال : لا ! ولكن أَبي كان نزيلًا لأُمِّك .

أَخبرني الحرميّ قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز ابن عِمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طَلحةَ بن عبد الله بن عَوف

قال : لقي الفرزدق كثيّراً بقارعة البَلاط وأنا وهو نمشي ؛ فقال له الفرزدق : يا أبا صخر ! أنت أنسبُ العربِ حيث تقول :

أريد لأنسى ذكرَها فكأنما تمثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ

قال : وأنت يا أبا فِراس أفخر العرب حيث تقول :

ترى الناس ما سِرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وَقّفوا

— قال عبد العزيز : وهذان البيتان جميعاً لجميل ، سرق أحدَهما الفرزدق ، وسرق الآخر كثيّر — فقال له الفرزدق : يا أبا صخر ، هل كانت أمّك ترِدُ البصرة ؟ قال: لا ! ولكن أبي كان كثيراً يرِدُها . قال طَلحة : فوالذي نفسي بيده لقد تعجَّبتُ من كثيّر وجوابه ، وما رأيت أحداً قطُّ أحمقَ منه ؛ لقد دخلتُ عليه يوماً في نَفَر من قريش ، وكنّا كثيراً نَهزأ به ، وكان يتشيَّع تشيُّعاً قبيحاً ، فقلنا له : كيف تجدك يا أبا صخر ؟ فقال : بخير . هل سمعتم النـاس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم ! يتحدثون أنك الدجّال . قـال : والله إن قلتَ ذلك إني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام !

ولجرير قصيدة يناقض بها هذه القصيدة في أولها غناء نسبته :

أَلا أيُّها القلب الطَّروب المكلَّفُ أفِق رُبَّما يَنأى هواك ويُسعِفُ
ظَلِلتَ وقد خبّرتَ أنْ لستَ جازعاً لرَبعٍ بسُلمانَينِ عينُك تَذرِفُ

الشعر لجرير ؛ والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفيّ ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة . وقال حبَش : فيه ثقيل اول بالوسطى . وليس ذلك بصحيح .

رجع الحديث الى سياقة حديث الفرزدق والنَّوار

قال دماذ : وتزوّج الفرزدق على النَّوار امرأةً من اليرابيع ، وهم بطن من النَّمِر بن

قاسط حُلَفاء لبني الحارث بن عُباد القَيني، وقد انتسبوا فيهم . فقالت له النَّوار : وما عسى أن تكون القَينيَّة ؟! فقال :

أرتك نجومَ الليلِ والشمسُ حيَّةٌ ... زِحامُ بناتِ الحارث بن عُبادِ
نساءٌ أبوهنّ الأغرُّ ولم تكن ... من الحتّ[1] في أجبالها وهَداد[2]
ولم يكن الجوفُ[3] الغموضُ محلَّها ... ولا في الهِجارّيين رَهطِ زياد
أبوها الذي أدنى النَّعامةَ بعدما ... أبت وائلٌ في الحرب غيرَ تَماد

– يعني بأبيها الذي أدنى النعامة الحارثَ بن عُباد، وأراد قوله :

قرِّبا مَربطَ النَّعامةِ مني –

عدلتُ بها مَيلَ النَّوار فأصبحتْ ... مُقاربةً لي بعد طول بِعادِ
وليست وإن أنبأتُ أنّي أحبُّها ... الى دارِميَّات النِّجار جياد

وقال أبو عُبيدة حدثني أعيَنُ بن لَبطَة قال : تزوّج الفرزدق، مُضارَّةً للنَّوار، امرأةً يقال لها رُهيمة بنت غُنيم بن دِرهم من اليرابيع، قوم من النَّمِر بن قاسط في بني الحارث بن عُباد . وأمّها الحَميضة من بني الحارث . فنافرته الحميضة فاستَعدتْ عليه. فأنكرها الفرزدق وقال : أنا منها بريء؛ وطلّق ابنتها وقال :

إنّ الحميضة كانت لي ولابنتِها ... مثلَ الهراسةِ[4] بين النَّعل والقدَمِ
اذا أتت أهلَها مني مُطلَّقةً ... فلن أَرُدَّ عليها زَفرةَ النَّدم

(١) الحت : قبيلة من كندة .

(٢) هداد : حي من اليمن .

(٣) الجوف : المطمئن من الأرض .

(٤) الهراسة : وهو شوك كأنه حسك .

مضى الحديث . ولم أجد لأحدٍ من الخلفاء الذين ذكرتُهم والذين لم أذكرهم، بعد الواثق، صَنعةً يُعتدُّ بها إلا المعتضدَ، فإنه صنع صنعةً متقنة عجيبة، أَبرَّت على صنعة سائر الخلفاء سوى الواثق، وفضَل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه. وإنما ذكرتُ صنعة مَن بينهما، لأنها قد رُويت، فأمَّا حقيقة الغناء الجيِّد فليس بينهما مثلُهما. وذكر عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعةَ المعتضِد فقرّظها، وقال: لم أجد لحناً قديماً قد جمع من النغم ما جمعه لحن ابن مُحرز في شعر مسافر ابن أبي عمرو وهو .

يا مَن لِقَلْبٍ مُقصِرٍ ترك المُنى لفواتها

فإنه جمع من النغم العشر ثمانياً، ولحن ابن مُحرز أيضاً في شعر كثيِّر :

توهَّمتُ بالخَيف رسماً مُحِيلا لِعزَّةَ تَعرفُ منه الطُّلولا

وهو أيضاً يجمع ثمانياً من النغم . وقد تلطف بعض مَن له دُربةٌ وحِذقٌ بهذه الصناعة حتى جمع النغم العشرَ في هذا الصوت الأخير متوالية، وجمعها في صوت آخر غيرَ متوالية، وهو في شعر ابن هَرمة :

فإنّكِ إذ أطمعتِني منكِ بالرضا وأيأستني من بعد ذلك بالغضبْ

وأعجبُ من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله؛ فإنه صنع في رَجز دُرَيد ابن الصِّمّة «يا ليتني فيها جَذَع» لحناً من الثقيل الاول يجمع النغم العشرَ، فأتى به مستوفى الصنعة مُحكَم البناء، صحيحَ الأجزاء والقِسمة، مُشبع المفاصل، كثير الأدوار، لاحقاً بجيِّد صنعة الأوائل . وإنما زاد فضله على من تقدّمه لأنه عمله في ضرب من الرجز قصير جداً، واستوفى فيه الصنعة كلَّها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدّمه؛ إذ تلك عُمِلت في أوزان تامّة وأعاريضَ طِوال يتمكن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرُّف؛ وليس هذا الوزن في تمكُّنه من ذلك فيه مثلَ تلك .

نسبة هذا اللحن

صوت

يا ليتني فيها جَذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ[١]
أَقُود وَطفاءَ[٢] الزَّمَعْ كأنها شاةٌ صَدَعْ[٣]

الشعر لدُرَيد بن الصِّمَّة . والغناء للمعتضد ، ولحنُه ثقيلٌ أول يجمع النغم العشرَ .

(١) الجذع : الصغير السن . والخبب والوضع : نوعان من السير .

(٢) الزمع : هنات شبه أظفار العنز في الرسغ ، ووطفاء : كثيرة الشعر سابغته .

(٣) الصدع من الأوعال والظباء والإبل والحمر : الفتي الشاب القوي منها .

فهرس

المجلد التاسع من كتاب الاغاني

صفحة

ذكر اخبار كثير ونسبه

كنيته وطبقته في الشعراء ونحلته ٤
الحديث عنه وعن شعره ٥
ما كان بينه وبين الحزين الديلي ٧
كان سراقة شاعراً ظريفاً ١٣
قال لعمته انه يونس بن متى ١٩
كان عاقاً لابيه ١٩
بكى لقتل آل المهلب ٢٢
قيل انه لم يكن صادقاً في عشقه ٣١
لقي عزّة في طريقه الى مصر وتعاتبا ٣٢
اغرت عزة به بثينة لتتبين حاله ٣٥
مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة ١٠٥ ٣٦

اخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ذكر مسافر ونسبه

خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من اجله امر النجاشي السواحر فسحرته

كان المكتفي يراسله في الغناء ٥٩

الارمال الثلاثة المختارة

ذكر امرئ القيس ونسبه واخباره

الحارث بن عمرو وتمليكه اولاده على قبائل العرب ٨٠

صفحة

مقتل حجر ابي امرئ القيس ٨١
والمعلى بن تيم ٩٢
ثم ببني نبهان ٩٢

اخبار الاعشى ونسبه

نسبه وكنيته ١٠٤
شاعر جاهلي ١٠٤
اشعر الناس اذا طرب ١٠٤
حديث الشعبي عنه ١٠٨
هريرة عشيقته ١١٠

نسب عمرو بن سعيد بن زيد واخباره

مدن معبد او حصونه ١٣٢

ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

ذكر الشماخ ونسبه وخبره

ذكر قيس بن ذريح ونسبه واخباره

ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر

اغاني الخلفاء واولادهم واولاد اولادهم

ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من اخباره

هو أشج بني مروان ٢٤٦
اشترى موضع قبره ٢٥٩

صفحة

نسب الاشهب بن رميلة واخباره

غناء الواثق ٢٦٧
غناؤه في شعر لذي الرمّة ٢٧٠
تقدير اسحاق لغناء الواثق ٢٧١
امتياز اسحاق على المغنين في مجلسه ٢٧٧
برّز اسحاق عليه في لحن اشتركا فيه ٢٧٨
قصة لاعرابي عاشق مع اسحاق بن سليمان ابن علي ٢٧٨
غناؤه في شعر حسان ٢٧٩
غناؤه لحناً على مثال لحن لمخارق ٢٨١
طرب شيخ لسماع مغنّية فرمى بنفسه في الفرات ٢٨٤
علمه بالغناء وعدد اصواته وذكر المشهور منها ٢٨٥
غنى في شعر لعلي بن الجهم ٢٨٩
يوم له مع المغنين ٢٩٠
شعره في خادم يهواه ٢٩١
ألقى على غلمانه صوتاً فأخذوه عنه ٢٩١
كان إسحاق يصحح له غناءه ٢٩٢
غنّاه اسحاق صوتاً فتطير به ٢٩٣
غناء المنتصر ٢٩٣
شعر الحسين بن الضحاك فيه ٢٩٦

صفحة

شعر يزيد المهلبي فيه ٢٩٧
غناء المعتز بالله ٢٩٨

اخبار عديّ بن الرقاع ونسبه

نسبه ٣٠٠
نقد محمد بن المنجم بيتاً من شعره ٣٠٣
كان من أوصف الشعراء للمطية ٣٠٤
استحسن ابو عبيدة بيتاً له ٣٠٥
استحسن ابو عمرو شعره ٣٠٦
عدّه جرير أنسب الشعراء لشعر له ٣٠٧

اخبار المعتز في الاغاني ومع المغنين وما جرى هذا المجرى

شعره في جارية يهواها ٣١٢
غناء المعتمد ٣١٦

ذكر اخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره

نسبه ٣١٨
هو وجرير والاخطل أشعر طبقات الاسلاميين ٣١٨
هجاه جعفر بن الزبير فنفاه اخوه عن ذلك ٣٢٤
انتحل بيتاً لجميل ٣٣٥

تراجم المجلد التاسع

كثير عزة
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
مسافر بن أبي عمرو بن أمية
أمرؤ القيس
الأعشى
عمرو بن سعيد بن زيد
معبد ومدنه
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة
الشماخ
قيس بن ذريح
الحارث بن خالد المخزومي
أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم
عمر بن عبد العزيز
الأشهب بن رميلة
عديّ بن الرقاع
المعتز بالله
بعض أخبار الفرزدق

وكلاء التوزيع والاشتراكات

لكتاب الاغاني في العالم العربي

الوكلاء العموميون : **دار الثقافة** — ساحة رياض الصلح — بيروت

مصر والسودان	: **مؤسسة المطبوعات الحديثة**	— شارع مسبيرو	القاهرة
العراق	: **مكتبة المثنى**	— قاسم الرجب	بغداد
شرق الاردن	: **مكتبة الاستقلال**	— شارع السلط	عمان
المملكة العربية	: **مكتبة دار الفكر**	— عبد الرحمن المنيعي	الرياض
الكويت	: **مكتبة الطلبة**	— عبدالرحمن الخرجي	الكويت
الخليج الفارسي	: **المكتبة الوطنية**	— ابراهيم محمد	البحرين
تونس	: **دار الكتب الشرقية**	— محمد الخوجة	تونس
الجزائر	: **المكتبة الجزائرية**	— شريفي عمرو	الجزائر
المغرب	: **دار الكتاب**	— ساحة المسجد	الدار البيضاء
طنجة	: **المكتبة العصرية**	— نصرالله الحريشي	طنجة
فرنسا	: **المكتبة الشرقية**	— صموليان	باريس

ثمن النسخة ٦٠٠ غ . ل . او ما يعادلها

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY